# السيف المسلول

# الذاب عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف

أبي عبد الرحمن جمال بن محمد بن محمود



**Title: Al-sayf al-maslūl al-ḍābbu ʿan aṣḥāb al-Rasūl ﷺ**
**(Defending The Prophet's companions)**

**Author:** Jamal ben Muḥammad ben Maḥmūd

**Publisher:** Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

**Pages:** 264

**Year:** 2007

**Printed in:** Lebanon

**Edition:** 1st

**الكتاب: السيف المسلول**
**الذابّ عن أصحاب الرسول ﷺ**

**المؤلف:** أبو عبد الرحمن جمال بن محمد بن محمود

**الناشر:** دار الكتب العلمية ـ بيروت

**عدد الصفحات:** 264

**سنة الطباعة:** 2007 م

**بلد الطباعة:** لبنان

**الطبعة:** الأولى



ISBN 2-7451-5335-8



منشورات محمد علي بيضون





دار الكتب العلمية بيروت لبنان





**الطبعة الأولى**
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah



الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء: ١].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

**أما بعد:**

فإن بحثنا يدور حول صحابة النبى ﷺ، وفضلهم ومنزلتهم، وعلو قدرهم، وما حيك حولهم من مؤامرات فاسدة، وشبهات باطلة، نفندها إن شاء الله تعالى فى ثنايا بحثنا.

نعم عزيزى القارئ فإن مقام الصحابة مقام عالٍ جداً فهم أتقياء الأمة، ورجالها الصلحاء.

(١) فالصحابة أخى المسلم هم من أعظم البراهين والدلالات على عظمة الإسلام وتشريعاته، وكيف لا وقد ربى الإسلام هذا الجيل الفريد الرائع،

فكان منهم الخلفاء الراشدون، والقادة الفاتحون، والفقهاء المجتهدون، والقضاة العادلون، والدعاة الناصحون.

(٢) فالصحابة الكرام هم رفاق حياة النبى ﷺ، وهم حملة تعاليمه، وهديه وإرشاداته، وقد حملوا تلك التعاليم وتلك الإرشادات، وقاموا بها علمًا وعملاً، فكانوا علماء الأمة، وعبادها، وأولياء الدنيا الذين حفظوا لها ميزان صحتها، وعدم فسادها.

(٣) الصحابة الكرام هم أهل السبق إلى الإسلام، فلهم أجر ذلك وفضله، فقد عاينوا غربة الإسلام، ومحنته وقت ظهوره، فارتوت بدمائهم شجرته، وأينعت بتضحياتهم ثمرته، وبفضلهم عَمَّ نور الله على العالمين، وبسط الإسلام خيره وسلطانه على المشارق والمغارب، وما وصل النور إلى الأجيال المتعاقبة إلا عن طريقهم وبفضل تضحياتهم.

فالصحابة يحوزون قصب السبق فى كل مكرمة ومحمدة، ولهم أجور من عمل بالإسلام إلى يوم الدين، بفضل رب العالمين.

وكيف لا يعطون ذلك الأجر وهم ضحوا بأرواحهم من أجل أن ينشروا رسالة الإسلام فى كل ربوع الدنيا وقفارها، وسيرتهم جزء من سيرة النبى ﷺ.

(٤) ومن الخطأ الجسيم، والطامة البحثية الكبرى أن يعتقد أحد أن معرفة تاريخ الصحابة يؤخذ من كتب التاريخ فقط، مثلهم مثل بقية عامة الناس، بل يعرفون من كتاب الله تعالى، وأحاديث سنته، وكتب الاعتقاد، وبيان كلمة الإسلام فى مدحهم، والثناء عليهم، وعموم المغفرة لهم رضوان الله عليهم.

فلقد جعل الإسلام لهم مقامًا خاصًا، وميزة لا تجوز لغيرهم.

ويكفينا فى ذلك قول الله تعالى فى سورة الفتح: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ**

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

(٥) ومن أجل ذلك تفطن أعداء الإسلام إلى أن أكمل السبل للقضاء على هذا الدين أن يعمدوا إلى رموز الخير فى هذه الأمة، فيشوهوا صورتهم، ويشككوا فى عدالتهم، وبذلك يفقدون مصداقيتهم لدى الناس، فينهار بنيان الإسلام من أساسه.

وإذا فقد المسلمون ـ لا قدر الله ـ الثقة بصحابة النبى الكرام فلن يبقى لديهم ثقة بالقرآن الكريم ولا بالحديث الشريف، ولا بأى أصل من أصول الإسلام، ومعنى هذا أن تكون الأمة بلا دين ولا شريعة، وهذا لن يكون إن شاء الله.

(٦) وتلك الحملة على الصحابة، والغرض من ورائها لم تكن وليدة هذا العصر المتردى ـ وخاصة بالثقافة المعرفية الحقة، وإنما كان منذ نشأة الدولة الإسلامية واتساع رقعة الإسلام، فقد اندس وسط صفوف المسلمين أحد اليهود الحاقدين، وهو عبد الله بن سبأ، وذلك فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان فتظاهر باعتناق الإسلام ثم بدأ فى الكيد له عن طريق الطعن فى كبار الصحابة، متظاهرًا بحب آل البيت ومتشيعًا لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه.

فكان ما كان من أحداث الفتنة، وستعالج هذه القضية بالتفصيل إن شاء الله تعالى فى ثنايا البحث الذى بين يديك.

(٧) وأدرك علماء الإسلام الأفاضل ذلك الخطب، وتلك الآفة فتصدوا له دراسة وبحثًا وتصنيفًا وقاموا بواجبهم خير قيام فى الرد عليهم فى حينه،

ولكن أعداء الإسلام لم يفتر لهم حماس، فهم لا يزالون فى منتدياتهم ومؤلفاتهم ينالون من أصحاب النبى رضى الله عنهم، ويجتهدون فى العمل على تضليل الأمة، ويتوسعون يومًا بعد يوم فى دائرة نشاطهم بلادًا كانت أبعد ما تكون عن مؤامراتهم الفكرية.

فجعلوا فى بلاد الإسلام أذناب لهم، تحت دعاوى حرية البحث والنقد، وتحت شعارهم الفاسد، النقد من أجل النقد، والبحث من أجل البحث، وأن البحث لا حدود له، ولا قيم، ولا قيود، وهذا منهج البحث الأوروبى الفاسد، والذى تبناه زمرة من ـ دعاة الثقافة ـ والأدب وغيرهم، وكذا المؤرخون فى التبسيط والتعمُق فى منهجية تحليلية، أقول: الغرض منها هدم الإسلام وبنيانه، وخطورة هذا أن هؤلاء المفسدين ـ حسبوا على الإسلام والمسلمين بكونهم مؤرخين، وأدباء، ومثقفين، ولعمرى أنهم لا يستطيعون نقد حاكم أو سلطان، يعيشون فى كنف نفاقه، ومنتفعين من ورائه بعاجل الدنيا الزائل.

وإزاء ذلك فإن على العلماء والدعاة أن يقوموا بواجبهم فى حراسة عقائد الأمة، ممن يحاولون النيل من دينها فى صورة رموزها الأطهار صحابة النبى ﷺ المختار وأن ينبروا ويشمروا عن ساعد الجد للدفاع عن أسلافهم الصالحين ضد هذا الدنس والعفن الفكرى ـ النقدى ـ الوارد إلينا من الغرب.

وصدق الله تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠]. فأى بيان أنصح من القرآن، وبيان هذه الآية ظاهر جلى للعيان.

وأن يحتسبوا كل معاناتهم، وما قدموه فى ذلك الصراع والذى هو من أعظم أنواع الجهاد من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة، ولا شفاعة. وأقول لهم كما قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقد قسمت بحثى إلى تمهيد وستة أبواب، وهذا التقسيم كالتالى:

- **التمهيد: تعريف مجمل بالصحابة رضى الله عنهم.**

وفيه عدة مباحث مهمة:

**المبحث الأول:** من هو الصحابى؟

**المبحث الثانى:** عدة الصحابة.

**المبحث الثالث:** بما يعرف الصحابى؟

**المبحث الرابع:** طبقات الصحابة.

- **الباب الأول: فضائل الصحابة والنهى عن سبهم.**

وفيه الفصول التالية:

**الفصل الأول:** فضائل الصحابة رضى الله عنهم.

**الفصل الثانى:** معتقد أهل السنة والجماعة فى الصحابة والنهى عن سبهم.

**المبحث الأول:** معتقد أهل السنة والجماعة فى الصحابة رضى الله عنهم.

**المبحث الثانى:** النهى عن سب الصحابة رضى الله عنهم، وحكم من فعل ذلك.

- **الباب الثانى: منزلة عثمان رضى الله عنه وقدره.**

وفيه الفصول التالية:

**الفصل الأول:** مناقب عثمان رضى الله عنه وفضله ومنزلته.

**المبحث الأول:** مناقب عثمان رضى الله عنه.

**المبحث الثانى:** ما ورد على ألسنة الصحابة رضى الله عنهم فى فضل عثمان رضى الله عنه ومنزلته.

**الفصل الثانى:** افتراءات وأكاذيب وشبهات حول عثمان رضى الله عنه، والرد عليها.

**المبحث الأول:** تمهيد.

**المبحث الثانى:** الشبهات والرد عليها.

**الفصل الثالث:** نبذة عن خلافة عثمان رضى الله عنه، وذكر استشهاده.

وفيه عدة مباحث مهمة:

**المبحث الأول:** خلافة عثمان رضى الله عنه.

**المبحث الثانى:** مقتل عثمان رضى الله عنه ظلمًا.

**المبحث الثالث:** من الذين قتلوا عثمان رضى الله عنه ومبدأ الفتنة.

- **الباب الثالث: على بن أبى طالب رضى الله عنه وقدره وخلافته.**

وفيه الفصول التالية:

**الفصل الأول:** خلافة علىّ رضى الله عنه.

**الفصل الثانى:** افتراءات وأكاذيب وشبهات والرد عليها.

- **الباب الرابع: عقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بمشاجرات الصحابة.**

وفيه الفصول التالية:

**الفصل الأول:** المفهوم الشرعى الثابت أن الصحابة كلهم ثقات عدول.

**الفصل الثانى:** سؤال وجواب.

**الفصل الثالث:** الصحابة الكرام ليسوا بمعصومين، ولكن مغفور لهم ومقبول معذرتهم.

- **الباب الخامس: وقائع وأحداث الفتنة.**

وفيه الفصول التالية:

**تمهيد:** بين يدى الباب.

**الفصل الأول:** وقعة الجمل دراسة وتحليل.

**الفصل الثانى:** وقعة صفين دراسة وتحليل.

**الفصل الثالث:** فضائل عمرو بن العاص رضى الله عنه.

**الفصل الرابع:** فضائل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.

**الفصل الخامس:** واقعة التحكيم دراسة وتحليل.

- **الباب السادس: فضل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، ومنزلته.**

وفيه الفصول التالية:

**الفصل الأول:** مناقب معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه.

**الفصل الثانى:** خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه دراسة وتحليل.

وسميته: «**السيف المسلول الذاب عن أصحاب الرسول**».

**وختامًا أقول:** هؤلاء هم أجدادى، وأحبابى، وتيجان رأسى، ومشاعل الهدى، وحماة الدين، ونقلته، صحابة النبى، ليس لى أجداد سواهم، وأتبرأ من كل دعوة سواهم، فكل الدعوات تحت قدمى موضوعة، الفرعونية تحت قدمى موضوعة، وغيرها من أطروحات، فوالله ما ضل الناس وفسدوا إلا بهذه الأطروحات القومية، والأطروحات الإقليمية، وأقول: إننى منها براء، وتحت قدمى موضوعة.

وأدوى بها قائلاً:

فما العز للإسلام إلا بظلهم … وما المجد إلا ما بنوه فشيدوا

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يهدون بالحق وبه يعدلون، وأن يحفظ أمتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهديين لا ضالين ولا مضلين، وأن يجعلنا فى الآخرة فى ركاب النبى ﷺ وصحبه الأطهار - رضى الله عنهم، وأن يجعلنا برفقتهم فضلاً منه ورحمة.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

أبو عبد الرحمن

**جمال بن محمد بن محمود**



# التمهيد

## تعريف مجمل بالصحابة
## رضى الله عنهم

المبحث الأول: من هو الصحابى؟

المبحث الثانى: عدة الصحابة.

المبحث الثالث: بمَ يعرف الصحابى؟

المبحث الرابع: طبقات الصحابة.



# المبحث الأول

## تعريف الصحابى

**لغة:** الصحبة فى اللغة: تتحقق بالملابسة والعلاقة بين شخصين، وتلك الملابسة يدخل فيها الملابسة القليلة أو الكثيرة، حقيقة أو مجازًا.

**مثال ذلك:** قال تعالى: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**﴾ [الكهف: ٣٤].

جاء فى معجم متن اللغة:

صحبه، صحبة، وصحابة، وصاحبه: عاشره[١].

وفى موضع آخر: الصاحب المعاشر، جمع الجمع: أصحاب وصحاب وصحابة[٢].

وعلى هذا، فالصاحب، لو صحب الرجل رجلاً ولو ساعة من نهار، أو لازمه فى أحد أسفاره لدخل فى معنى الصحبة لغة، ومن الوارد فى قول أهل اللغة أن يقال: «صحبت فلانًا فى سفرى ساعة من نهار».

وجاء أيضًا فى المعجم: «اصطحبوا، وتصاحبوا: صحب بعضهم بعضًا».

وجاء أيضًا: ويطلق على الرجل ذى المال: صاحب المال.

ويطلق الصاحب مجازًا على من تمذهب بمذهب أحد الأئمة، وكذا قولهم: استصحبه: دعا إلى الصحبة: لازمه، وكل ما لازم شيئًا فقد استصحبه[٣].

---

(١) «معجم متن اللغة»: مادة (ص ح ب) (٣/ ٤٢١).

(٢) المصدر السابق: (مادة (ص ح ب) (٣/ ٤٢٢).

(٣) «معجم متن اللغة»: مادة (ص ح ب) (٣/ ٤٢٢).

وكذا توسع أهل اللغة فى إطلاق الصحبة بين العقلاء والجمادات، ومن ذلك تسمية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: صاحب السواك، وصاحب النعلين، وصاحب الوسادة[١].

**الصحابى اصطلاحًا:**

المراد بالصحابى: كل من لقى الرسول ﷺ، بعد بعثته، وهو مسلم مميز ومات على إسلامه، وإن تخلل ردة على الأصح.

وأسوق هنا تعريفًا إجماليًا للصحابى اصطلاحًا:

«فهو كل من قابل النبى ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا، ولو أسلم بعد ذلك[٢]، إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا: به يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره كمن لقيه من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل؟ محل احتمال، ومن هؤلاء بحيرة الراهب ونظراؤه، ويدخل فى قوله: «مؤمنًا به»: كل مكلف من الجن والإنس، وخرج بقولنا: «ومات على الإسلام» من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردته ـ والعياذ بالله ـ ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد»[٣]. اهـ.

يقول البخارى فى صحيحه: «ومن صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»[٤].

---

(١) «الإصابة فى تمييز الصحابة» لابن حجر (١/ ٤، ٥).

(٢) المعنى: أى أسلم بعد موت النبى ﷺ فإذا ما أسلم فى حياته ﷺ دخل فى الصحبة.

(٣) «فتح البارى» للحافظ ابن حجر (٧/ ٤).

(٤) الصحيح بالفتح (٧/ ٣).

ونقل الحافظ ابن حجر عن على بن المدينى قوله فى تعريف الصحابى: «من صحب النبى ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبى ﷺ»[١].

يقول ابن حزم: «أما الصحابة رضى الله عنهم فهم كل من جالس النبى ﷺ ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمرًا بعينه، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم - واشتهروا حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه، كهيت المخنث ومن جرى مجراه، فمن كان كمن وصفنا أولاً فهو صاحب»[٢].

وما رُوى عن سعيد بن المسيب فالعمل على خلاف قوله، يقول سعيد: «إنه لا يعد فى الصحابة إلا من أقام مع النبى ﷺ سنة فصاعدًا، أو غزا معه غزوة فصاعدًا»[٣].

وكما أشرنا أن الإجماع والعمل على غير ما قال سعيد، بل ضعف الحافظ العراقى نسبة هذا الأثر إلى سعيد، كما قال فى «فتح المغيث» بذلك[٤].

**ومن خلال تلك النقولات، والتعريفات سابقة الذكر نستطيع أن نخلص إلى أن من توافرت فيه هذه الشروط يعد صحابيًا:**

**الأول:** ملاقاة النبى ﷺ ولو مرة واحدة، قل الزمن أو كثر، ويدخل فى تلك الملاقاة الصحبة الدائمة، السماع منه، الرؤية له ﷺ.

**الثانى:** أن يكون اللقاء بعد ثبوته والجمهور على ذلك، وقال البعض بعدم اشتراط ذلك، فأدخل فى الصحابة من رآه قبل النبوة ومات على الحنفية

---

(١) «فتح البارى» (٧/ ٥).

(٢) «الإحكام فى أصول الأحكام» (٨٦٦).

(٣) «الكفاية وتلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٩٩).

(٤) «فتح المغيث» للعراقى (٣/ ٩٤).

كزيد بن عمرو بن نفيل، وكذا من رآه ﷺ ثم أدرك البعثة وأسلم، وإن لم يره بعدها: وهذا القول ضعيف والأصوب ما اتفق عليه الجمهور أن يكون اللقاء بعد النبوة والبعثة.

**الثالث**: أن يكون حال لقائه بالنبى ﷺ على الإسلام: فمن رآه كافرًا، ثم أسلم بعد موته فلا يعد صحابيًا.

**الرابع**: أن يكون مميزًا حال لقائه بالرسول ﷺ، واختلفوا فيمن رآه وهو غير مميز لا يعقل فقيل هو من التابعين، وعده البعض من صغار الصحابة، والحاصل هنا اشتراط التميز والتعقل، ولا يشترط البلوغ وإلا لخرج جمع كبير من الصحابة أجمعوا على صحبتهم كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وغيرهم.

**الخامس**: أن يكون موته بعد ذلك على دين الإسلام وقد أجمع على أن من مات على الكفر فلا تعد له صحبة.

* * *

# المبحث الثانى

## عدة الصحابة رضى الله عنهم

من الواجب أن نذكر هنا أنه لم يرد قول قاطع فى عدة الصحابة رضى الله عنهم، وأن ما ورد فى الروايات القادمة هو من قبيل الاجتهاد فى الإحصاء.

فلقد توفى رسول الله ﷺ، وقد كتب الله النصرة والغلبة، وفتح بذلك النبى الكريم عليه الصلاة والسلام، وشرعته الغراء قلوبًا غلفًا، وعقولاً صمًا، وقد دخل الناس فى دين الله أفواجًا، كما وعد ربنا تبارك وتعالى نبينا وبشره بذلك، فى قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**﴾ [النصر: ١، ٢].

وسنذكر هنا إن شاء الله تعالى بعض الآثار التى تتحدث عن عدة الصحابة رضى الله تعالى عنهم، فقد ورد عند البخارى ومسلم فى صحيحيهما، فيما ورد فى قصة كعب بن مالك وقصة توبته، قال كعب بن مالك: (والمسلمون كثير لا يجمعهم كتاب حافظ)[١].

ونقل عن الشافعى رحمه الله ورضى الله عنه: «أن النبى ﷺ قبض والمسلمون ستون ألفًا: ثلاثون ألفًا بالمدينة، وثلاثون ألفًا فى قبائل العرب وغيرها».

وقد قال الدكتور فاروق حمادة فى تحقيقه على «فضائل الصحابة» للنسائى: «وعلى أية حال فعددهم كبير جدًا، إلا أن الذين وصلتنا أسماؤهم

---

(١) البخارى مع الفتح (٧/ ١١٣)، كتاب فضائل الصحابة، ومسلم فى «صحيحه» (١٦/ ٨٨)، التوبة.

مع أن بعضهم اختلف فى صحبته لا تصل إلى معشار هذا المقدار»[١]، كما يقول الحافظ ابن حجر فى «الإصابة»، وابن حجر قد جمع فى كتابه هذا جل الكتب المتقدمة التى ترجمت للصحابة مع المختلف فيهم أو الذين قيل فيهم شخصان وهما شخص واحد، فبلغ عددهم رجالاً ونساءً اثنى عشر ألفًا ومائتين وسبعًا وتسعين نفسًا.

ثم إن الرواة للحديث عن رسول الله ﷺ يصلون إلى عشر هذا المقدار أو يزيدون قليلاً، قال الحاكم: «الرواة عن النبى ﷺ أربعة آلاف وتعقبه الذهبى بأنهم لا يصلون إلى ألفين، بل هم ألف وخمسمائة»[٢].

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله ورضى الله عنه: الذين روى عنهم أحمد فى مسنده تسعمائة وثمانون نفسًا، ووقع فى الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابى[٣].

والحاصل مما سبق عرضه من نقولات يتبين لنا أن ليس عندنا إحصاء ثابت أو متقارب بالنسبة لعدة الصحابة، وإذا أردت الأرجح فإن قول الحافظ ابن حجر هو الأقرب للصواب والصحة لباعه الكبير فى علم التراجم، وشهرته الفائقة فى إحصاء كثير من المسائل العلمية، زد على هذا تأخره عن غيره وبهذا فقد جمع علوم السابقين له فهذا يجعل إحصاءه أقرب وأصوب والله أعلم.

* * *

(١) يقصد إحصاء الشافعى الستون ألفًا.

(٢) فضائل الصحابة للنسائى، تحقيق ودراسة الدكتور فاروق حمادة (١٩/ ٢٠).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٣٥٦).

# المبحث الثالث

## الضوابط التى يعرف بها الصحابى
## أو بمَ يعرف الصحابى؟

**أولاً: التواتر:**

ويقطع بالصحة للأثر والنقل المتواتر لكثرة الناقلين، ولنضرب مثالاً على ذلك فقد نقل إلينا التواتر بصحبة أبى بكر الصديق وعثمان وعلى وعمر والعشرة المبشرين بالجنة، رضى الله عنهم جميعًا.

**ثانيًا: الشهرة والاستفاضة:**

وهى الشهرة التى لم تبلغ حد التواتر كعكاشة بن محصن وضمام بن ثعلبة.

**ثالثًا: شهادة من صحابى معلوم الصحبة بالتصريح:**

ومثال ذلك شهادة أبى موسى الأشعرى لحممة الدوسى بالصحبة، وقد مات مبطونًا بأصبهان، فشهد له بسماعه من النبى ﷺ.

**رابعًا: إخبار أحد التابعين الثقات بأن فلانًا صحابى:**

ولو بقول الواحد ـ أى خبر الواحد ـ ضرورة عدالته، وكونه ثقة.

**خامسًا: أن يخبر عن نفسه بأنه صحابى:**

بشرط أن يكون معلوم العدالة كما جزم به الآمدى وآخرون، وأن يكون معاصرًا للنبى ﷺ، وقد انتهى معاصرو النبى بمضى مائة وعشرين سنة من هجرته صلوات الله وسلامه عليه؛ لقوله ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على

رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليه أحد»[١].

**وأحب أن أسوق هنا بعض الملاحظات الهامة على هامش هذه الضوابط والتى بها يعرف الصحابى:**

**الملاحظة الأولى:** أن القرآن تكلم عن صحابى مجاهرة وأضمر صحابيًا آخر.

فقد تحدث عن زيد بن حارثة صراحة فى قوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا**﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وأضمر أبا بكر رضى الله عنه فى قوله: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

**الملاحظة الثانية:** إذا ثبتت الصحبة لأحد فلا يمكن لقائل كان من كان أن يخرج الصحابى عن تلك المنزلة الرفيعة، ولا نقبل قول حاطب ليل، أو منافق أظهر نفاقه، أو أخفاه، أو جاهل لا يعلم قدر الصحابة، ويعتمد على إسرائيليات ضعيفة، فكل هؤلاء مجرَّحون بنفاقهم، وكذبهم، وجهلهم، وعدائهم لرموز الإسلام ألا وهم صحابة النبى ﷺ، وأضرب نموذجًا لذلك:

ثعلبة بن حاطب الأنصارى قالوا عنه هو المقصود بقول الله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [التوبة: ٧٥] الآية.

وحقيقة لا نقبل قول هؤلاء، وذلك للأسباب التالية:

(١) هم مجروحون مقدوح فى نقلهم وعدالتهم، فلا يؤخذ قول أو علم ممن كان على شاكلة هؤلاء.

(٢) هذه القصة لا تصح سندًا ولا متنًا، أما من ناحية السند فهى من

---

(١) رواه البخارى (١/ ٢١١)، كتاب العلم، ومسلم (١٦/ ٨٩، ٩٠)، وأحمد فى «المسند» (١٢)، وأبو داود (٤٣٢٦)، باب: قيام الساعة.

طريق معان بن رفاعة[١] عن على بن زيد[٢] وكلاهما لا يصح حديثهما.

وأما من ناحية المتن، فالنبى ﷺ قد أرسى قواعد الشريعة كاملة فمانع الزكاة إن لم يدفعها طوعًا أخذها منه ولى الأمر قسرًا عنه، وأكبر دليل محاربة أبى بكر لقبائل العرب لرفضهم إخراج الزكاة، وقال قولته الشهيرة: «والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم على منعه».

فكيف يرفض رسول الله أخذ الزكاة: من ثعلبة وكذا أبو بكر وعمر. ما لكم كيف تحكمون.

* * *

(١) هو معان بن رفاعة الدمشقى، صاحب حديث ليس بمتقن، وثقه ابن المدينى، وليَّنه يحيى بن معين، سئل عن معان، قال: ضعيف، وفى «لسان الميزان»، قال: (ليس بحجة، والعمل على ضعفه) «الميزان» (٤/ ٣٤)، «الضعفاء للعقيلى» (٤/ ٢٥٦).

(٢) هو على بن زيد بن جدعان، بصرى ضعيف، كان رفاعًا للحديث، وكان يقلب الأحاديث، قال ذلك عنه سليمان بن حرب، قال سفيان: كتبت عن زيد كتابًا كبيرًا فتركته زهدًا فيه، والحاصل ضعفه ويترك حديثه، «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٢٢، ٣٢٤)، «الميزان» (٣/ ١٢٧، ١٢٩)، «الضعفاء للعقيلى» (٣/ ٢٢٩).

# المبحث الرابع

## طبقات الصحابة

من الجدير هنا أن نذكر المراد من كلمة الطبقة، والطبقة تعنى هنا، هى: تلك الحقب الزمنية، والتى حوت أحداثًا بعينها كالهجرة إلى الحبشة مثلاً، وطبقات الصحابة هنا تشمل المرحلة المكية، والمرحلة المدنية، وإسلام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تتابع فى تلك الحقب الزمنية سابقة الحديث عنها.

ومن المفيد أيضًا أن نذكر هنا أن تفضيل الصحابة رضوان الله عليهم، واختلاف منزلتهم ودرجاتهم، لا يتوقف على هذه الطبقات، فكما أشرنا أن الطبقات هى تلك المراحل الزمنية والتى دخل الصحابة رضوان الله عليهم فيها الإسلام.

**وهذه الطبقات كالتالى:**

**الطبقة الأولى:** أوائل الصحابة الذين أسلموا بمكة، كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وغيرهم كثير رضى الله عنهم.

**الطبقة الثانية:** أصحاب دار الندوة، وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أسلم، وأظهر إسلامه حمل رسول الله ﷺ إلى دار الندوة، فبايعه جماعة من أهل مكة.

**الطبقة الثالثة:** المهاجرة إلى الحبشة.

**الطبقة الرابعة:** الذين بايعوا النبى ﷺ عند العقبة.

**الطبقة الخامسة:** أصحاب العقبة الثانية، وأكثرهم من الأنصار.

**الطبقة السادسة:** أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ، قبل أن يدخلوا المدينة ويبنى المسجد.

**الطبقة السابعة:** أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1].

**الطبقة الثامنة:** المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

**الطبقة التاسعة:** أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨].

**الطبقة العاشرة:** المهاجرة بين الحديبية والفتح، منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبو هريرة وغيرهم.

**الطبقة الحادية عشرة:** الذين أسلموا يوم الفتح، وهم جماعة من قريش.

**الطبقة الثانية عشرة:** صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح، وفى حجة الوداع وغيرها، وعدادهم فى الصحابة، منهم السائب بن يزيد وعبد الله بن ثعلبة بن أبى صعير، ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله[2].

* * *

---

(١) رواه البخارى (٧/ ٣٠٤، ٣٠٥)، المغازى، ومسلم فى «صحيحه» (١٦/ ٥٥، ٥٦)، وأبو داود فى «سننه» (٤٦٢٨)، والدارمى (٢/ ٣١٣)، وابن أبى شيبة فى «مصنفه» (١٢٣٩٦).

(٢) «معرفة علوم الحديث» للإمام الحاكم أبى عبد الله الحافظ النيسابورى (٢٣ـ ٢٦).





# الباب

## فضائل الصحا... هى عن سبهم

الفصل الأول: فضائ... ابة رضى الله عنهم.

الفصل الثانى: معت... السنة والجماعة فيهم

والنهى عن



# الفصل الأول

## فضائل الصحابة رضى الله عنهم

من الحق أن أشاركك معى أيها القارئ الكريم ما أنا فيه من رضًا وسعادة، نعم وكيف لا وأنا أتخيل أمامى ذلك الصحب الطاهر، أصحاب النفوس الذكية، أصحاب النبى ﷺ.

نعم من حقى أن أشعر بالسعادة، وأنا أسعى فى ركاب هؤلاء الأخيار.

نعم ومن حق القلم، والمداد، أن يبتهجا فرحًا، فهما يسطران الكلام عن أذكى البشر بعد النبى ﷺ، نعم أيها الحبيب فالصحابة ليسوا كعامة أفراد الرجال؛ فالصحابة: هم اسم لجماعة لها مكانتها السامية، جماعة هى الواسطة التى امتن الله بها على أمة الإسلام؛ لتكون حلقة الوصل بين رسول الله ﷺ وبين الأمة عامة.

نعم أيها القارئ النجيب فبدون هؤلاء الصحب الأطهار الأخيار لم تكن الأمة بقادرة على أن تفهم القرآن، ولم تكن بقادرة على فهم السنة وحفظها، ولم يكن بمقدور أحد معرفة الرسالة وتعاليمها.

فالصحابة الكرام هم رفاق حياة النبى ﷺ، هم النماذج العليا، والتى طبقت الشريعة بأحكامها ومضامينها.

نعم فالصحابة الكرام هم الذين ضحوا بأرواحهم من أجل أن ينشروا رسالة الإسلام.

بل حياة الصحابة جزء لا يتجزأ من سيرة الرسول ﷺ.

ومن الخطأ أن يعرف عن الصحابة من خلال الكتب التاريخية فقط، بل

من القرآن، وأحاديث سيرة الرسول ﷺ.

من الحق أن أذكر هنا وأنا أخط بقلمى الكلمات عن خير الرجال والنساء بعد نبيهم ﷺ أن أذكر أمرًا ألا وهو أننى أتعبد لربى وأنا أمدح هؤلاء وأقص تاريخهم، وأسأل الله تعالى أن يقبل منى.

فتعال معى أيها القارئ الكريم نقتبس الخير ونحيا فى الخير ونحن نتذاكر سويًا حياة هؤلاء الأطهار رضى الله عنهم.

وأول ما نبدأ من إثبات فضلهم، ومكانتهم أن نذكر بعض آيات القرآن والتى بينت لنا مكانتهم وفضلهم.

**• أولاً: الفضائل من القرآن:**

(١) يقول تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠].

يقول ابن كثير فى تفسيره: «فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وأفضلهم؛ أعنى الصديق الأكبر، والخليفة الأعظم أبا بكر الصديق بن أبى قحافة رضى الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم، ويسبونهم عياذًا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم؟ وأما أهل السنة، فإنهم يترضون عمن رضى الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالى الله، ويعادون من عادى الله، وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون،

ولهذا هم حزب الله وعباده المؤمنون»(١).

(٢) يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

قال التبانى المغربى: «وفيها دليل على صحة الإجماع والعمل به لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعدهم، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين، وقول التابعين حجة على من بعدهم، وإذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم، وقد احتج بها جمهور أهل السنة، وجمهور المعتزلة على حجية إجماع الأمة فقالوا: أخبر الله تعالى عن عدالة هذه الأمة، وعن خيريتهم فلو أقدموا على شىء من المحظورات لما اتصفوا بالخيرية، وإذا ثبت أنهم لا يقدمون على شىء من المحظورات وجب أن يكون قولهم حجة، ومثل هذه الآية، قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فأثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شىء يعدل شهادة الله عزَّ وجَلَّ لهم بذلك، والصحابة كذلك هم المشافهون بهذا الخطاب، فهم خير هذا الخير»(٢).

وهنا أؤكد بعض ما ذكره التبانى المغربى:

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: هم الذين هاجروا مع النبى ﷺ من مكة إلى المدينة.

وهذا ما أكده ابن كثير حينما قال أثناء تفسيره لهذه الآية: «والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٠، ١٩١).

(٢) «إتحاف ذوى النجابة» (١٤/ ١٥)، التبانى المغربى.

(٣) ابن كثير فى «تفسيره» (١/ ٣٩١).

(٣) يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

يقول ابن جرير الطبرى: يقول تعالى ذكره: لقد رضى الله يا محمد عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة يعنى بيعة أصحاب رسول الله ﷺ بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت الشجرة، وكان سبب هذه البيعة، ما قيل إن رسول الله ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه برسالة إلى الملأ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة لحربهم على ما وصفت فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التى تسمى بيعة الرضوان، كان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر فى قول بعضهم ألفًا وأربعمائة، وفى قول بعضهم ألفًا وخمسمائة، وفى قول بعضهم ألفًا وثمانمائة[١].

(٤) يقول تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١١٧].

يقول ابن كثير: قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الآية فى غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا إليها فى شدة من الأمر فى سنة مجدبة، وحر شديد وعسر من الزاد والماء قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك فى لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد ما أصابهم فيها، جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان الثمرة بينهما، وكان النفر يتناولون الثمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم

---

(١) القرطبى فى «التفسير» (٢٦/ ٥٣).

وأقفلهم من غزوتهم[١].

(٥) يقول تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِى منكُم مَّنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا من بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الحديد: ١٠].

يقول القاسمى رحمه الله: ﴿**لا يَسْتَوِى منكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ**﴾، أى من قبل فتح مكة ـ أو صلح الحديبية ـ وقاتل لتعلو كلمة الحق ومن أنفق من بعد وقاتل فى حال قوة الإسلام، وعزة أهله، فحذف الثانى لوضوح الدلالة عليه، فإن الاستواء لا يتم إلا بذكر شيئين على أن أشير إليه بقوله مستأنفًا عنهم زيادة فى التنويه بهم.

﴿**أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾، أى لعظم موقع نصرة الرسول ﷺ بالنفس وإنفاق المال فى تلك الحال.

وفى «الإكليل»: فى الآية دليل على أن للصحابة مراتب، وأن الفضل للسابق، وعلى تنزيل الناس منازلهم، وعلى أن أفضلية العمل على قدر رجوع منفعته إلى الإسلام والمسلمين لأن الأجر على قدر النصب (التعب).

﴿**وَكُلاًّ**﴾ أى وكل واحد من الفريقين.

﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ أى المثوبة الحسنى، وهى الجنة، لا الأولون فقط، وإن كان بينهم تفاوت فى تفاضل الجزاء[٢].

(٦) يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢].

يقول ابن كثير فى تفسيره: وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعث الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على

---

(١) ابن كثير (٢/ ٣٩٦).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمى (٧/ ٣٨، ٣٩) بتصرف.

حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه[١].

(٧) يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

يقول التبانى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ معطوف على النبى ففيه تعريض بمن أخزاهم من الله من أهل الكفر، واستحماد للمؤمنين على أنه عصمهم من حالهم، فأمنهم من خزيه، ولا يأمن من خزيه فى ذلك إلا الذين ماتوا والله سبحانه وتعالى ورسوله عنهم راضٍ، فأمانهم من الخزى صريح فى موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان، وفى أن الله تعالى لم يزل راضيًا عنهم وكذلك رسول الله ﷺ[٢].

(٨) يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

يقول ابن كثير فى التفسير: «وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار فى غير ما آية فى كتابه». وقال: فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لا يختلفون فى ذلك[٣].

(٩) وأختم هنا بآية رائعة عظيمة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

فعن أنس رضى الله عنه قال: نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، قال: الحديبية، قال أصحابه: فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٣).

(٢) «إتحاف ذوى النجابة» (٦١) بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٩).

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥][١].

**وبعد:** أيها القارئ الفاضل، هذه بعض الآيات الخاصة فى فضل النبى ﷺ، وفضل صحابته الأطهار فأما الآيات العامة التى تتحدث عن جميع المؤمنين، وما أعد الله لهم من جنات النعيم، فهم بلا أدنى شك، يدخلون فيهم، فهم أول من أسلموا وآمنوا، هم سادات المؤمنين وأكثر الناس حظًا وعملاً، وفضلاً، بل لا يدانيهم أحد فى التعبد والجهاد والإنفاق وغير ذلك من صفات الخير والرشاد.

وأسوق بعض هذه الآيات:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١٠].

وهذه الصفات السابقة، والأعمال الفاضلة تجزم يقينًا أن أعظم الناس قيامًا بهذه الأعمال وحفاظًا عليها هم ذلك الصحب الطاهر رضى الله عنهم، ولو أقسمت على ذلك ما حنثت.

ومن هذه الآيات: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢٨].

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٥٩٦).

نعم وهل نعتقد أن هناك أخيارًا أو أبرارًا أعظم من صحابة النبى ﷺ كلا والله فهم الأبرار، بل هم أتقياء الأتقياء من الأبرار، بل هم الأخيار المقربون، فلا يدانيهم أحدٌ فضلاً ولا منزلة، بل هم أسياد الناس وأشرفهم بعد النبى ﷺ.

بل وهم خير البرية كما قال رب البرية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة: ٧].

والآيات من هذا القبيل كثيرة لا حصر لها بل ويصعب استقصاؤها، ونقول هذا بل ونعتقد اعتقادًا جازمًا، وهو جزء من إيماننا وإسلامنا أن أولى الناس بهذه الصفات وتلك الألقاب، وبتلك الرحمات، هم أصحاب النبى ﷺ.

فرضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه، وأسأل الله أن يحشرنا تحت لواء النبى ﷺ، وفى جوار أصحابه رضى الله عنهم.

## • ثانيًا: من الأحاديث النبوية:

### • الحديث الأول:

«خير القرون قرنى...» وقد ورد الحديث بألفاظ، وعن جمع من الصحاب:

(أ) عن عبد الله بن مسعود، قال: سُئل رسول الله ﷺ: أى الناس خير؟ قال: «أقرانى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته»، وهذا الحديث متفق عليه، وهو عند البخارى ومسلم فى فضائل الصحابة.

وبلفظ آخر متفق عليه من حديث عمران بن الحصين عن النبى ﷺ: قال: «خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا

أدرى أذكر النبى ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا وقال: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

وهذا أيضًا حديث متفق عليه، أخرجه محمد عن إسحاق عن النضر، وأخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر، كلاهما عن شعبة[(١)].

وعند مسلم لفظ آخر: عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ينشأ قوم يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويفشو فيهم السمن». من طريق محمد بن المثنى عن معاذ بن هشام، عن أبيه[(٢)].

## وجه الاستدلال:

يقول الحافظ فى «فتح البارى»: «والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى أمر من الأمور المقصودة، ويقال إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا فى

---

(١) أخرجه البخارى (٥/ ١٧٠)، كتاب العتق، باب من ملك العرب رقيقًا (٢٥٤٣)، ومسلم (٤/ ١٩٥٧)، كتاب فضائل الصحابة (١٩٨ ـ ٢٥٢٥)، والنسائى (٧/ ١٧، ١٨)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٤٣٨)، والبيهقى فى «الكبرى» (١٠/ ٧٤)، والطبرانى فى «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٢٣)، والحديث فى «فتح البارى» (٥/ ٢٥٨)، و«مشكل الآثار» للطحاوى (٣/ ١٧٧)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ٨)، و«الشفا» للقاضى عياض (١/ ٦٦٤)، و«شرح السنة» (١٤/ ٦٦)، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٢٤٥٧)، والقرطبى فى «تفسيره» (١١/ ٦٧)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٣٩١)، و«شرح معانى الآثار» (١٥١٤)، و«زاد المسير» (٣/ ٥) للسيوطى.

(٢) وهو عند مسلم، المصدر السابق (٢١٥، ٢٥٣٥)، والترمذى (٤/ ٤٣٤)، كتاب الفتن باب ما جاء فى القرن الثالث (٢٢٢٢)، وأبو داود (٤/ ٢١٤)، السنة باب فضل أصحاب الرسول (٤٦٥٧)، وأحمد فى «المسند» (٢/ ٢٢٢٨)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (١٠/ ١٦٠)، والطبرانى فى «المعجم الكبير» (١٨/ ٢١٣)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩)، و«السنة» لابن أبى عاصم (٢/ ٦٢٨)، و«مشكل الآثار للطحاوى» (٣/ ١٧٦، ١٧٧)، و«كنز العمال» (٣٢٤٥٤)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٢٦٠).

زمن نبى أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل، ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا فى تحديدها من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، وقد وضح فى حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة، وهو المشهور، والمراد بقرن النبى ﷺ فى هذا الحديث الصحابة، وقد ظهر أن الذى بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة سنة، وعشرون سنة أو دونها، أو فوقها بقليل على الاختلاف فى وفاة أبى الطفيل[١]، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم، فإن اعتبر فيها كان نحوًا من خمسين فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أهل كل زمان، والله أعلم»[٢]. انتهى.

قلت: وكما تبين من هذا النقل الطيب المبارك توضيح معنى القرن، وأن خير القرون ما كان عهد النبى ﷺ وهم أصحابه الكرام، فهم خير القرون إجماعًا.

ولهذا عنون مسلم حين تخريج هذا الحديث فى فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم. (٤/ ١٩٦٤) (٢٥٣٥).

وأختم ذلك بحديث عائشة: أى الناس خير؟ قال: «القرن الذى أنا فيه»[٣].

**• الحديث الثانى:**

عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[٤].

وهذا حديث متفق عليه وعند مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(١) آخر الصحابة موتًا.

(٢) «فتح البارى» (٧/ ٥) بتصرف.

(٣) رواه مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٦).

(٤) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة، باب: قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣٦٧٣) =

**وجه الاستدلال:**

قال البغوى: ومعنى الحديث أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة مع ما كانوا فيه من شدة العيش والضر أفضل عند الله من الكثير الذى ينفقه من بعدهم[1].

وقال البيضاوى: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد الطعام، أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية.

**• الحديث الثالث:**

ورد فى الصحيحين من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه مرفوعًا: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»[2]. وبلفظ آخر: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3].

**وجه الاستدلال:**

قال النووى: قال العلماء: معناه الغفران لهم فى الآخرة، وإلا فإن توجه

= ومسلم كتاب فضائل الصحابة (باب تحريم سب الصحابة) (٢٢٢/٢٥٤١)، وأبو داود كتاب السنة، باب: النهى عن سب الصحابة ٤٦٥٨)، والترمذى المناقب (باب: فضل من بايع تحت الشجرة) (٣٨٦١)، وابن ماجه (١٦١)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٧٨، ٤٧٩)، و«مصنف ابن أبى شيبة» (١٢/ ١٧٥)، و«كنز العمال» (٣٢٦٣)، «والمغنى عن حمل الأسفار» (٣/ ١٢٢) للعراقى، والخطيب فى «تاريخه» (٧/ ١٤٤)، «وزاد المسير للسيوطى» (٧/ ٤٤٩)، والطبرانى فى «الصغير» (٢/ ٧٦)، و«السنة» لابن أبى عاصم (٢/ ٤٧٨).

(١) «شرح السنة» (٧/ ١٧٣).

(٢) رواه البخارى فى المغازى (باب: غزوة الفتح)، والتفسير، والأدب (٧/ ٣٠٤، ٣٠٥)، ومسلم، فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، باب: فضائل أهل بدر، وأبو داود (٤٦٢٨)، والدارمى فى «سننه» (٢/ ٣١٣)، وابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٢٣٩٦).

(٣) البخارى مع الفتح (المغازى) (٨/ ٣٢)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٧٩، ٨٠)، و«مصنف ابن أبى شيبة» (١٤/ ٣٨٤)، والطبرانى فى «الكبير» (١٢/ ٩٩).

على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه، ونقل القاضى عياض الإجماع على إقامة الحد، وأقامه عمر على بعضهم، قال: وضرب النبى ﷺ مسطحًا وكان بدريًا[١].

وانظر لهذا الحديث الرائع: فعن جابر بن عبد الله أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية»[٢].

● **الحديث الرابع:**

وفيه استكمال لفضل الصحابة عامة، وأهل بدر خاصة:

فعن حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأرجو ألا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرًا أو الحديبية»، قالت: قلت: يا رسول الله! أوليس الله قد قال: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا**﴾ [مريم: ٧١]، قال ﷺ: «فكم تسمعينه يقول: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم: ٧٢]»[٣].

## وجه الاستدلال:

أن أهل بدر والحديبية مغفور لهم، وأنهم من أهل السبق إلى الجنة، الناجين من النار.

يقول النووى: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعًا، كما صرح به فى الحديث الذى قبله، حديث حاطب، وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك[٣].

(١) شرح النووى (١٦، ٥٦، ٥٧) على مسلم.

(٢) رواه مسلم (فضائل أهل بدر) (١٦/ ٥٧)، والترمذى (١٣/ ٢٤٥)، وقال: هذا حديث حسن، وابن أبى شيبة فى «مصنفه» (١٢٣٩٨).

(٣) رواه مسلم (١٦/ ٥٧، ٥٨) وأبو داود من حديث جابر ٤٦٢٧، والترمذى (٣/ ٢٣٤)، وابن ماجه (٤٢٨١)، و«شرح السنة» للبغوى (١٤/ ١٩٣، ١٩٤)، وأحمد فى «المسند» (٢/ ٨٤)، والطبرى فى تفسيره (١٦/ ٨٥)، و«مشكاة المصابيح» للتبريزى (٦٢١٨)، و«كنز العمال» (٣٣٨٩٦).

(٤) شرح النووى على مسلم (١٦/ ٥٨).

**• الحديث الخامس:**

عن جابر بن عبد الله قال: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، وقال لنا النبى ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض».

قال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة[١].

**وجه الاستدلال:**

يقول الحافظ فى «الفتح»: «هذا صريح فى فضل أصحاب الشجرة فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة والمدينة وغيرهما»[٢].

**• الحديث السادس:**

رواه مسلم، من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[٣].

**وجه الاستدلال:**

أن أصحاب النبى ﷺ هم الحواريون له، فكل نبى صلوات الله عليه وسلم امتن الله عليه بأن جعل حواريين له يساندونه ويذودون عنه، وعن دعوته، وهذا ما ذكره النبى ﷺ عن أصحابه فهم القائمون العاملون بسنته، المقتدون بأثره، الناشرون دعوته والمجاهدون فى سبيل دينهم بالغالى

(١) البخارى مع الفتح (٧/ ٤٤٣) (المغازى)، ومسلم (٣/٣)، الإمارة، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٣٠٨)، و«مشكاة المصابيح» (٦٢١٩)، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٠١٤٣)، و«شرح السنة للبغوى» (١٤/ ١٩٥)، و«شرح معانى الآثار» (١/ ٤٥٠)، والحميدى فى «مسنده» (١٢٢٥).

(٢) «الفتح» (٧/ ٤٤٣).

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإيمان (٨٠)، وأحمد فى المسند (١/ ٤٥٨)، والبيهقى فى «الكبرى» (١٠/ ٩٠)، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٥٥٣٢)، وأبو عوانة فى «مسنده» (١/ ٣٦)، والتبريزى فى «مشكاة المصابيح» (١٥٧).

والنفيس، بالمال والروح، وبكل ما يملكون. فخليق بهم أن يكونوا أصحاب وحواريي النبى ﷺ.

• **الحديث السابع:**

فى «الصحيحين» عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: «فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟» فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[1].

**وجه الاستدلال:**

منزلة هؤلاء الصحب الطاهر، أصحاب النبى ﷺ، فهم فيهم الخير، وبالخير تحل بركة النصرة الربانية، نعم فالنصرة الربانية أو المعية من قبل الله تعالى على عباده بالسنن الخارقة لا يلقاها إلا أهل الصلاح والتقى، فحينما يشتد النزال والقتال، ويستطيل أمر العدو، يلجأ الناس إلى ربهم فيمن عليهم بالنصر والفتح القريب، فهؤلاء الفئام يفتح بهم البلاد، والأمصار، فحينما يسأل: فيكم من صحب الرسول، يجاب بنعم فيفتح لهم، بل بركة هؤلاء الأصحاب، وفضلهم وعلو شأنهم عند ربهم يمتد إلى جيل التابعين، وتابعى التابعين، فيسأل فيكم من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيفتح لهم، فاعلم ذلك وانتبه يرحمك الله، فإن مقامهم عظيم وشأنهم عند الله ورسوله شأن جليل، نعم ما بالك بأناس يحبهم الله ويذود عنهم؟!

---

(١) رواه البخارى «فضائل الصحابة» (٧/٣)، وكذلك فى الجهاد والأنبياء، ورواه مسلم (١٩٦٢/٤)، (٢٥٣٢) فى فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (١٧/٣)، وأحمد فى «المسند» (٧/٣)، والبغوى فى «شرح السنة» (١٤/ ٧٣، ٧٤).

**• الحديث الثامن:**

روى مسلم فى «صحيحه» عن أبىْ بردة عن أبيه قال: صليت المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما زلتم هاهنا؟»، قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال: «أحسنتم وأصبتم» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابى، فإذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون»[(١)].

**وجه الاستدلال:**

قال النووى: معنىَ الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت فى القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت.

وقوله ﷺ: «وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يوعدون».

أى من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا، وقد وقع كل ذلك.

وقوله ﷺ: «وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون».

معناه: من ظهور البدع والحوادث فى الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك. وهذه كلها من معجزاته[(٢)].

---

(١) رواه مسلم فضائل الصحابة (٤/ ١٩٦١) (٢٥٣١)، باب: بيان أن بقاء النبى أمان لأصحابه، وأحمد فى «المسند» (٤/ ٣٩)، و«شرح السنة للبغوى» (١٤/ ٧١، ٧٢).

(٢) شرح النووى على مسلم (٤/ ١٩٦).

**• الحديث التاسع:**

عن واثلة عن النبى ﷺ قال: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآنى وصحبنى، والله ما تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآنى وصحبنى»[١].

**وجه الاستدلال:**

هو مقام الصحابة وفضلهم وكونهم حلماء الأمة، وعلماء الأمة، وعقلاء الأمة، الواحد منهم يزن أمة، فكانوا حماة للفضيلة والخير، والخير فى ركابهم فى حياتهم، وبعد مماتهم.

فالأمة ما تزال بخير ما دام فيها أصحاب النبى ﷺ، وكذا من رأى أصحاب النبى، فهم الدرع الواقى لهذه الأمة من الفتن، والبدع، والانفلات عن الدين.

**• الحديث العاشر:**

عن عبد الله بن عمر قال: خطبنا عمر رضى الله عنه بالجابية، فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا مقامى فيكم فقال: «احفظونى فى أصحابى ثم الذين يلونهم» ثلاثًا[٢].

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى الفضائل (٤/١٢٤٦)، ويقول الحافظ فى «فتح البارى» (٧/٥)، وإسناده حسن، ورواه ابن أبى عاصم (١٤٨١)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٦٣٠)، والهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠)، و«المطالب العالية» للحافظ (٤١٩٧)، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٢٥٠٤).

(٢) صحيح بطرقه، أخرجه الترمذى (٢١٦٦) وأحمد فى «المسند» (١/١٨)، والحاكم فى «المستدرك» (١/ ١١٢)، وصححه، وله شاهد من طريق جابر بن سمرة، وأخرجه ابن ماجه (٢٧٦٣)، وأحمد (١/٢٦)، وأبو يعلى فى «مسنده» (١٤١، ١٤٢، ١٤٣)، وأبو نعيم (١٨٤، ١٨٥) تثبيت الإمامة، عن عبد الملك بن عمير عن جابر عن سمرة، قال البوصيرى فى المصباح: «رجال إسناده ثقات إلا أن فيه عبد الملك بن عمير وهو مدلس»، وله طريق أخرجه الحميدى فى مسنده (٣٢)، عن ابن سليمان ابن يسار عن أبيه عن عمر به، قال الألبانى فى «الصحيحة» (٣/ ١١٠)، وجملة القول أن الحديث صحيح مجموع طرقه.

**وبعد:** لم أقصد هنا استقصاء وجمع كل الروايات والأحاديث فى حق مقام الصحابة وعظيم فضلهم، ومناقبهم، وإنما قصدت الإشارة إلى ذلك، ولفت عقول أصحاب الدين، وأولى النهى لمنزلة الصحابة، ولعل وجه الاستدلال لكل حديث يؤكد هذا المعنى، فالصحابة هم أئمة الهدى، وأعلام الرشاد، أمان الدنيا، وأمان الدين، هم الذين نقلوا الإسلام إلينا، وهم الذين جاهدوا فى سبيل ذلك.

هم أحباء الله، وأحباء رسوله، وأحباء المؤمنين، بل وبحبهم نعتقد ونؤمن إيمانًا جازمًا لا يدخله ريب أو شك، فحبهم عبادة وقربة إلى الله تعالى.

وما ذكرته آنفًا من الآيات والأحاديث ليس مدحًا لأصحاب رسول الله أو تبشيرًا لهم برضوان الله وجنته فقط، بل جاء فيها أمر وحكم للأمة بتوقير وتعظيم قدر هؤلاء الصحب الطيب والاقتداء بهم.

❊ ❊ ❊



# الفصل الثانى

## معتقد أهل السنة والجماعة فى الصحابة وكذا النهى عن سبهم

المبحث الأول: معتقد أهل السنة والجماعة فى الصحابة رضى الله عنهم.

المبحث الثانى: النهى عن سب الصحابة رضى الله عنهم وحكم من فعل ذلك.



# المبحث الأول

## معتقد أهل السنة والجماعة فى الصحابة
## رضى الله عنهم

يقول الطحاوى فى عقيدته: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط فى حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[١].

ومن الخير هنا أن أذكر تعليق الألبانى رحمه الله ـ قال: (لا نفرط فى حب أحد منهم)، أى لا نتجاوز الحد فى حب أحد منهم فندعى له الوصية كما تقول الشيعة فى علىّ رضى الله عنه وغيره من أئمتهم.

وأيضًا فى قوله: «ولا نتبرأ من أحد منهم، قال رحمه الله: أى كما فعلت الرافضة فعندهم لا ولاء إلا ببراء أى لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبى بكر وعمر، وأهل السنة يوالونهم جميعًا، وينزلونهم منازلهم التى يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوس والتعصب» اهـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى العقيدة الواسطية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به فى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠]. وطاعة النبى ﷺ: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٥٦) بتعليق وتحقيق علامة زمانه الألبانى.

لو أن أحدًا أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه».

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع، ومن فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق قبل الفتح وهو صلح الحديبية، وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبى ﷺ، رضى الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة المبشرين، وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة)[١].

ويقول إسماعيل الصابونى فى عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، أو أنهم هم الخلفاء الراشدون الذين ذكر النبى ﷺ خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن جهمان عن سفينة: «الخلافة بعدى ثلاثون»، ثم قال: أمسك، خلافة أبى بكر سنتان، وعمر عشر، وعثمان ثنتا عشرة، وعلى ست، وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه ﷺ) إلى أن قال: (فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز فى الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم إليه الروافض والخوارج لعنهم الله، فقد هلك مع الهالكين)[٢].

ما ذكرته آنفًا بعض من معتقد أهل السنة والجماعة فى صحابة النبى ﷺ، وما ذكر هؤلاء الثقات من العلماء إنما هو قائم بالدليل القطعى من كتاب الله وسنة رسول الله، وإجماع المسلمين.

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١١٦، ١١٨)، خليل هراس.

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (١٠٤، ١٠٩).

**وأسوق هنا بعض الآثار الواردة عن صحابة النبى ﷺ:**

* فمن ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إن الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ[1].

* ومن ذلك أيضًا ما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ خير هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله عزَّ وجَلَّ لصحبة نبيه ونقل دينه).

* ومن ذلك أيضًا ما جاء عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال: (والله لمشهد رجل منهم ـ يعنى الصحابة ـ مع رسول الله ﷺ يغير منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمَّر عمر نوح).

نعم، فهذا معتقد أهل السنة والجماعة، أشرنا إليه إشارة، ولم نتجه إلى الاستقصاء، وإلا فما من كتاب اعتقاد مع كثرتها وتنوع حجمها إلا وقد بين معتقد أهل السنة والجماعة فيهم، وأن حبهم إيمان، وقربة إلى الله، وأن بغضهم نفاق عظيم وصاحبه إلى جهنم، والوعيد إليه أقرب إلا من تاب، وآمن وعمل عملاً صالحًا.

أما سبهم، وحكم من سبهم فهذا هو المبحث القادم إن شاء الله تعالى، وأرجو من الله الإعانة والتوفيق والسداد.

* * *

(١) عند أحمد فى «المسند» (٣٦٠٠)، والطيالسى فى «مسنده» و«معجم ابن الأعرابى» (٢/ ٨٤).

# المبحث الثانى

## النهى عن سب الصحابة رضى الله عنهم وحكم من فعل ذلك

### المطلب الأول: النهى عن سبهم

اعلم يرحمك الله وإياى، أن سب الصحابة جرم كبير، وخطب جليل، قد ينقل المسلم إلى دائرة الكفر، والنفاق، فالنهى ثابت.

وأذكرك أخى الفاضل بحديث النبى ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١].

**وأسوق لكم بعض ما ورد عن الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك:**

* فعن ابن عمر قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة - يعنى مع النبى - خير من عمل أحدكم عمره»[٢].

* وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما مثل ذلك، فقال - وإسناد الأثر صحيح - قال: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة - يعنى مع النبى - خير من عمل أحدكم أربعين سنة».

وفى رواية: خير من عبادة أحدكم عمره، وعنه قال: (لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون)[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٢/ ١٢٤٦٣)، وابن ماجه (١/ ٥٧)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٢/ ٤٨٤).

(٣) رواها أحمد فى «المسند» (٤/ ٨٧).

* وورد عن عائشة رضى الله عنها قالت: (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم)[١].

* ولعائشة رضى الله عنها رد جميل عجيب رائع حينما سألها البعض، أن السفهاء يعتدون عليهم بالسب.

فقد قيل لعائشة رضى الله عنها إن إناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبى بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا، انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.

* وبنفس هذا الرد الجميل نرى سعيد بن زيد الصحابى الجليل بعد أن مدح الصحابة قائلاً والله لمشهد رجل منهم ـ يعنى الصحابة ـ مع رسول الله ﷺ، يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمِّر عمر نوح، ثم قال يتوعد من سبهم أو بغضهم: لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله أن لا يقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة والشقى من أبغضهم والسعيد من أحبهم.

**وأختم ذلك ببعض الأحاديث التى تلفت الانتباه واللب على مقام الصحابة، والنهى عن سبهم:**

* فعن عبد الله بن معقل قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضًا من بعدى، من أحبهم فقد أحبنى، ومن أبغضهم فقد أبغضنى، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٢)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٢/ ٤٨٤)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٢٤٦٤)، والهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠) من رواية الطبرانى.

(٢) أخرجه الترمذى (٣٨٦٢)، وأحمد فى «المسند» (٤/ ٨٧) (٥/ ٥٤، ٥٧)، فى فضائل الصحابة، والبغوى (٣٨٦٠)، والبيهقى فى «الاعتقاد» (٣٢١)، والخطيب (٩/ ١٢٣)، «تاريخ بغداد»، وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ٢٨٧)، وفيه عبد الرحمن بن زياد، لا يعرف ومع ذلك، فقد صححه ابن حبان، وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

أيها القارئ الكريم هذا بعض ما ذكر فى النهى عن سب الصحابة رضى الله عنهم فتدبره جيدًا، ففيه الغناء والكفاية.

واعلم أن الأدلة القاطعة والإجماع تؤكد على أن الواجب على كل الأمة محبة الصحابة، والثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضى عنهم، واعتقاد محبتهم وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول).

نعم أما عقوبة من سبهم ففى المطلب القادم إن شاء الله بيان ذلك.

* * *

## المطلب الثانى: حكم من سب الصحابة

من البيان السابق، تبين لنا حرمة سب الصحابة، أو شتمهم، فإن كان سب المسلم محرمًا، فسب الصحابة، أشد حرمة، وانتهاك للدين.

بل وقال العلماء بكفره. والعلماء فى ذلك على قولين:

**الأول**: يكفر بسبه الصحابة.

**الثانى**: لا يكفر بل يفسق، ويقتل أو يعزر بما دون القتل.

**وتعالوا بنا ننقل ملخصًا للقول الأول ألا وهو:**

- **تكفير من سب الصحابة:**

جاء فى «الصواعق المحرقة»، قال ابن حجر الهيثمى: «ثم إن الكلام فى سب بعضهم، أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر، وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابى لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافًا به ﷺ، وعلى هذا يحمل قول الطحاوى «بغضهم كفر» فبغضهم الصحابة كلهم أو بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر، وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر فليس يكفر حتى الشيخين»[1].

(١) «الصواعق المحرقة» (٣٧٩، ٣٨٠).

وجاء أيضًا فى الصواعق عن أبى بكر بن عبد العزيز فى المقنع، فأما الرافضى فإن كان يسب فقد كفر فلا يزوج[1].

ويقول عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة: «ليس للرافضة شفعة لأنه لا شفعة إلا لمسلم».

وهنا أحب أن أشير إلى مسألة أثيرت بين العلماء فيمن سب الصحابة رضوان الله عليهم ألا وهى التفريق بين الاستحلال وعدم الاستحلال.

والمعنى من استحل سبهم، ورضيه وتعبد به، ومنهم من لم يستحل سبهم، وسبهم.

**فالأول**: من استحل سبهم، وسبهم فقد كفر إجماعًا.

**والثانى**: من لم يستحل سبهم، وسبهم يفسق ويقتل ولم يكفر.

يقول أبو يعلى الحنبلى: الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة، إن كان مستحلاً لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلاً، فسق، ولم يكفر[2].

وعن أحمد بن يونس، قال: (لو أن يهوديًا ذبح شاة، وذبح رافضى - الذين يسبون الصحابة - لأكلت ذبيحة اليهودى، ولم آكل ذبيحة الرافضى لأنه مرتد عن الإسلام، قال: وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراء من علىّ وعثمان، وبكفر الرافضة لسب جميع الصحابة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم).

ويقول القاضى حسين: من سب النبى ﷺ يكفر، ومن سب صحابيًا فسق، وأما من سب الشيخين أو الختنين ففيه وجهان:

**أحدهما**: يكفر لأن الأمة أجمعت على إمامتهم.

**والثانى**: يفسق ولا يكفر.

---

(١) «الصواعق المحرقة» (٣٨٣).

(٢) «الصواعق المحرقة» (٣٨٣).

وأما سب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فقد جاء عن مالك رحمه الله قال: (من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل).

وسئل محمد بن يوسف الفريابى عمن شتم أبا بكر قال: كافر، قيل: يصلى عليه؟ قال: لا[(١)].

* ومن الصواب هنا أن أقرب إليك أيها القارئ الكريم أدلة القائلين بكفر من سب الصحابة.

**• أدلة القائلين بكفر من سب الصحابة:**

(١) أن الساب لهم منكر لما أجمعت عليه الأمة من حرمة سبهم ورادٌّ لما هو معلوم من الدين بالضرورة، من حسن إسلامهم ومخالفٌ لما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة فى فضل الصحابة ومنزلتهم الرفيعة عند الله عزَّ وجَلَّ.

(٢) يقول تعالى: ﴿**يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [الفتح: ٢٩].

فالكفار يغاظون بصحابة رسول الله ﷺ، فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أخزاهم الله به، وقوله تعالى: ﴿**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ تعليق للحكم بوصف مشتق مناسب لأن الكفر مناسب لأن يغاظ صاحبه، فإذا كان هو الموجب لا يغيظ الله صاحبه بأصحاب محمد فمن غاظه الله بأصحاب محمد فقد وجد فى حقه موجب ذلك الكفر، وممن أخذ بذلك الفهم مالك رحمه الله فى رواية عنه، ووافقه عليها جماعة من الأئمة.

**• المسألة الثانية: القول الثانى تفسيق من سب الصحابة وقتلهم:**

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن سب الصحابة فسق ليس بكفر، وعمدتهم فى ذلك فعل صحابة النبى ﷺ، مع من عاداهم أو سبهم أو

---

(١) «الصواعق المحرقة» (٣٨٣).

انتقص منهم، أو بغضهم من الطوائف الضالة كالناصبة «المعاندين لأهل البيت» والخوارج الطاعنين فى الصحابة، لذا لم يكفر جمهور العلماء الخوارج، أو الناصبة رغم ما اقترفوه فى حق أئمة أهل البيت وفضلاء الصحابة.

يقول ابن حجر الهيثمى: وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق[١].

وعلى ذلك فسبهم وبغضهم ليس بكفر وهو كبيرة من الكبائر العظيمة تستوجب التعزير والعقوبة وفى الحديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

وقد اختلفوا فى عقوبة الساب وتعزيره فذهب البعض إلى وجوب قتله، وذهب آخرون إلى تعزيره بما دون القتل من جلد وحبس وضرب ونحوه.

والفتاوى الواردة بقتل من سب الصحابة ذكرها ابن حجر الهيثمى، فقال: (فتاوى أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة)[٢].

وكذا ورد عن عمر بن عبد الرحمن بن أبزى، الصحابى القول بوجوب القتل على من سب أبا بكر.

**• أدلة القائلين بقتل من سب الصحابة:**

(١) أن بغض الصحابة وسبهم آذية لله ورسوله، وذلك يستوجب القتل، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧].

ومن ذلك قتل كعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله.

وفى الحديث: «من لكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله».

---

(١) الصواعق المحرقة (٣٨٤).

(٢) الصواعق المحرقة (٣٨٣).

(٢) أن سب غير الصحابى كبيرة تستوجب التعزير، فسب الصحابى يستحق تعزيرًا أشد وأكبر، وأقصى تعزير هو القتل حدًا، حفظًا للأمة فى أفضل قرونها وتعظيمًا لصحابة النبى ﷺ ونصرة لهم، ومن العلماء من يجيز التعزير بالقتل وليس أحد أحق بالقتل تعزيرًا من ساب الصحابة.

(٣) فى الحديث المرفوع: «لعن المؤمن كقتله»، واللعن سب وشتم قاتل، والقاتل يقتل، فسب الصحابة يستوجب القتل.

(٤) إن سب الصحابة من الإفساد فى الأرض، فالإفساد، إما إفساد دنيوى فى الدماء أو الأموال أو الفروج، وإما إفساد فى الدين، وسب الصحابة والطعن فيهم منه، بل هو من أعظم الفساد وتعزير صاحبه بالقتل، لإفساده من أعظم الإصلاح فى الأرض[1].

**• التعزير بما دون القتل من جلد وحبس وغير ذلك:**

وهذا هو مذهب مالك أن السب يوجب الجلد، وليس بكفر.

وهنا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: من سب أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيره فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضربًا نكالاً، وتوقف عن قتله وكفره، قال أبو طالب: سألت أحمد عن شتم أصحاب النبى ﷺ، قال: القتل أَجْبُنُ عنه، ولكن أضربه ضربًا نكالاً.

وقال أبو عبد الله: سألت أبى عمن شتم أصحاب النبى ﷺ، قال: أرى أن يضرب، قلت له حد؟ فلم يقف على الحد، إلا أنه قال: يضرب، وقال: ما أراه على الإسلام.

وقال إسحاق بن راهويه: من شتم أصحاب النبى ﷺ يعاقب، ويحبس. وهذا قول كثير من أصحابنا، منهم: أبو موسى.

---

(١) راجع الصارم المسلول (٣٨٣ ـ ٣٨٤).

قال: ومن سب السلف من الروافض ليس يكفر ولا يزوج، ومن رمى عائشة رضى الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين، ولم يعقد له نكاح مسلمة إلا أن يتوب ويظهر توبته، وهذا فى الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين(١).

**• المسألة الثالثة: حكم من فسق الصحابة:**

الكلام فيما سبق كان فيمن سب الصحابة رضى الله عنهم، أما من فسقهم زيادة على سبهم أو طعن فيهم أو نسبهم إلى الظلم؛ فذهب البعض إلى كفر من فسق الصحابة: وعند من كفّر من سب الصحابة فتكفيره عندهم بتفسيقه أو نسبتهم إلى الظلم أولى.

**• الأدلة فى تكفير من فسق الصحابة:**

(١) أن تفسيق الصحابة معارض للنصوص الشرعية الثابتة فى عدالتهم، وأنهم من أهل الجنة، خاصة العشرة المبشرين، وجحد النصوص الشرعية كفر.

(٢) أن تفسيقهم مخالف لإجماع الأمة على عدالتهم وحسن إسلامهم وعظم إيمانهم ورد الإجماع كفر.

(٣) من لوازم هذا الطعن فيهم الطعن فيما نقلوه لنا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يستوجب رد أحكام الشرع الثابتة وهذا يستوجب الكفر.

(٤) من لوازم ذلك أذيتهم بذلك وأذية النبى ﷺ وأذية الله عزَّ وجَلَّ، وهذا كله من الكفر.

---

(١) ابن تيمية من المجموع.

**• المسألة الرابعة: حكم من كفر الصحابة:**

العلماء لهم فى هذا المعاند، الفاسد اعتقاده قولان:

**الأول:** تكفير من كفر الصحابة، فقد كفروا الساب لهم، فمن كفرهم أولى.

وعن مالك رواية بتكفير الخوارج لتكفيرهم صحابة النبى ﷺ، فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر، وإلا كفر، وعن مالك قال: (من شتم أحدًا من أصحاب النبى ﷺ أبا بكر وعمر أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال أو كفر قتل)(١).

**القول الثانى:** بقتله.

قال ابن حجر الهيثمى: (يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى كفر لأنه ﷺ شهد لهم بالجنة).

وما قيل فى الأدلة السابقة من التفسيق والتكفير ذكروها هنا فى أدلة تكفير الصحابة وحكمهم ولا أرى الحاجة لإعادتها مرة أخرى.

وختامًا: يا من تجرأت على أصحاب النبى ﷺ، فسببت، أو كفرت، أو لعنت، أو فسقت. فهذا هو حالك، فأنت كافر حلال الدم، أو فاسق مفسد فى الأرض حلال الدم أو تجلد حتى تتوب. أو تحبس حتى تتوب. أو تقتل حدًا.

وأرى أن هذا الوعيد لمثل هؤلاء الزنادقة المبتدعين حق فيهم، وهم يستحقونه، وله أهل. وفى الآخرة عذاب وعقاب مهين.

اللهم إنا نشهدك على حبنا للنبى ﷺ، وحبنا للصحابة رضوان الله عليهم، وهذه هى عقيدتنا، وإيماننا، فارحمنا اللهم بذلك، أنت ولى هذا، والقادر عليه.

---

(١) الصواعق المحرقة (٣٨٢).

# الباب الثانى

## منزلة عثمان رضى الله عنه وقدره

وفيه الفصول التالية:

**تمهيد.**

**الفصل الأول: مناقب عثمان رضى الله عنه.**

**الفصل الثانى: افتراءات وشبهات حول عثمان رضى الله عنه والرد عليها.**

**الفصل الثالث: نبذة عن خلافة عثمان وذكر استشهاده.**

**خاتمة.**



# تمهيد

إنه عثمان رضى الله عنه، ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه رقية ثم أم كلثوم، ولا يعلم أحد نال هذه الفضيلة على مدار التاريخ غيره.

إنه عثمان رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

إنه عثمان رضى الله عنه أتم الناس حفظًا للقرآن وللحديث، وأعظم الناس خلقًا وعملاً.

إنه عثمان رضى الله عنه المنفق فى سبيل الله ولم يعلم أحد فى عصر الصحابة وأيام النبى ﷺ أنفق مثله.

إنه عثمان رضى الله عنه الذى هاجر الهجرتين، الهجرة الأولى: هجرة الحبشة، والهجرة الثانية: المدينة المنورة.

من حقى هنا أن أشعر بالسعادة والسرور وأنا أحيا بقلمى ووجدانى مع هذا الصحابى الجليل، محاولاً أن أخط كلمات، ووالله أريد بها التقرب إلى الله والتعبد له، نعم فحب صحابة النبى قربة إلى الله أسأل الله تعالى أن ننال أجرها.

وأود أيها القارئ الطيب، رزقنا الله وإياك محبة النبى ﷺ، ومحبة أصحابه رضوان الله عليهم، أن أشير هنا إلى أمرين أحسبهما ركيزة هامة ونحن نتناول الحديث عن الصحابى الجليل عثمان بن عفان رضى الله عنه:

**الأمر الأول:** ستلاحظ، أيها القارئ الطيب أن الخط العام فى تصنيف هذا الكتاب هو ذكر الفضائل لأعلام الصحابة والذين لاحقتهم الفتنة ووجدوا أنفسهم فى ركابها، وحاولوا جاهدين الخروج بالأمة سالمة من ذلك المعترك الشديد، والنار المحرقة، التى بدأ فى إشعالها اليهود، والسبئية بقيادة هذا

الكافر الحاقد على الإسلام وأهله، عبد الله بن سبأ، فكان الكلام عن فضائل عثمان، وعليّ، وعمرو بن العاص، وأبى موسى الأشعرى، ومعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهم جميعًا.

ثم الكلام عما أثير حولهم من شبهات، وادعاءات كاذبة والرد عليها.

فعندما تقرأ الفضائل، وتعلم منزلة هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم، ثم تقرأ تلك الأكاذيب التى أثيرت حولهم، والرد عليها، تعلم يقينًا الحق، وأن فضائل هؤلاء الأطهار تمنعهم، وتمنع عنهم ما أثير حولهم.

**الأمر الثانى:** تفضيل وتقديم عثمان رضى الله عنه على علىّ بن أبى طالب فى المنزلة والفضل، وكذا فى أمر الخلافة.

فقد أجمع أهل السنة على إثبات خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، واستقر الرأى عندهم على تفضيل عثمان على علىّ رضى الله عنهما كما ذكرنا.

بل هو عثمان رضى الله عنه أعلم بالقرآن من علىّ، وعلىّ أعلم منه بسنة النبى ﷺ وحديثه.

وعثمان رضى الله عنه أعظم جهادًا بماله وعلىّ أعظم جهادًا بنفسه، وعثمان أزهد فى الرياسة، وعلىٌّ أزهد فى المال.

وقال صاحب «المنتقى»: «وسيرة عثمان أرجح وهو أسن من على ببضع وعشرين سنة، وأجمعت الصحابة على تقديمه على علىٍّ فثبت أنه أفضل»[(١)].

وقد يثير بعض من أصابه سحر التشيع الباطل، وغلاة الناس فى على، أن عليًا هو زوج فاطمة الزهراء بنت النبى ﷺ.

وهنا ألفت النظر أن عثمان أيضًا تزوج رقية، فلما توفيت تزوج أم

(١) «المنتقى» (٥٣١).

كلثوم، وإنهما أختان لفاطمة، فعثمان أعلى ميزة من علىٍّ فى هذه.

نعم أيها القارئ الكريم فهذا التمهيد وما ورد فيه من أصول، أحسب أنه إضاءات شرعية، لتقرأ معى تاريخ عثمان وخلافته بذهن واعٍ، وعقلٍ معافى من ضلالات المنحرفين.

فيعظم أمر عثمان رضى الله عنه وتتفتح لك أحد المداخل والجوانب الهامة لدراسة أحداث الفتنة، ولنخرج سويًا بمعتقد أهل السنة والجماعة.

* * *



# الفصل الأول

## مناقب عثمان رضى الله عنه
## وفضله ومنزلته

المبحث الأول: مناقب عثمان رضى الله عنه.

المبحث الثانى: ما ورد على ألسنة الصحابة فى فضل عثمان ومنزلته.



# المبحث الأول

## مناقب عثمان رضى الله عنه

**أولاً: بشرى النبى له بالجنة:**

ففى الحديث المتفق على صحته عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ فى حديقة بنى فلان، والباب علينا مغلق ومع النبى ﷺ عود ينكت به فى الأرض إذا استفتح رجلٌ، فقال النبى ﷺ يا عبد الله بن قيس قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «قم فافتح الباب، وبشره بالجنة»، فقمت، ففتحت له الباب، فإذا أنا بأبى بكر الصديق، فأخبرته بما قال النبى ﷺ، فحمد الله ودخل وسلم، فرد عليه، وأغلقت الباب، فجعل النبى ﷺ ينكت بذلك العود فى الأرض، فاستفتح آخر فقال: «يا عبد الله ابن قيس قم فافتح له الباب وبشره بالجنة»، فقمت ففتحت له الباب، وإذا بعمر بن الخطاب، فأخبرته بما قال النبى ﷺ فحمد ودخل وسلم، وأغلقت الباب وجعل النبى ﷺ ينكت بذلك العود فى الأرض إذا استُفْتِح الباب، فقال النبى ﷺ: «يا عبد الله بن قيس! قم فافتح له الباب، وبشره بالجنة على بلوى تكون»، فقمت، ففتحت له الباب، فإذا بعثمان بن عفان، فأخبرته بما قال النبى ﷺ، فقال: المستعان الله، أو: على الله التكلان، ثم دخل فسلم.

(١) أخرجه البخارى، كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عثمان (٣٦٩٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل عثمان) (٢٨/٣/٢٤٠٣)، والترمذى، كتاب المناقب (باب مناقب عثمان) (٣٧١٠)، وأحمد فى «المسند» (٤/٣٩٣ ـ ٤٠٦، ٤٠٧)، و«شرح السنة للبغوى» (١٤/١٠٨)، =

**ثانيًا: جهاد عثمان بالمال والنفس:**

نعم الجنة عطية الله لمن يرضى عنه، ولا نرى أحق بهذا العطاء من النبى ﷺ وأصحابه، ومنهم عثمان رضى الله عنه، ولكن لله نواميس يهتدى بها العباد، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

لقد أحسن عثمان لنفسه بالعمل الصالح، ولدينه بجعل نفسه وماله فداء لهذا الدين، ولرسوله بالطاعة المطلقة والمحبة الكاملة وتقديم حب الله ورسوله فوق كل محبة.

ولهذا استحق عثمان رضى الله عنه الجنة.

وأسوق هنا بعضًا من جهاد عثمان بالمال والنفس:

روى الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب السلمى، قال: شهدت النبى ﷺ حض على جيشٍ، فقام عثمان بن عفان، فقال: علىَّ مائة من الإبل بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، قال: ثم حض النبى ﷺ، فقال عثمان: على مائة من الإبل بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله. قال: ثم حض النبى ﷺ، فقال عثمان: علىَّ مائة من الإبل بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، قال: فنزل النبى ﷺ عن المنبر، وهو يقول: «ما على عثمان بن عفان ما عمل بعد اليوم»[1].

وهذا الجيش كان جيش العسرة.

فهذه يد عثمان، وهذا بعض من إنفاقه وسيأتى المزيد من الأدلة على سخائه رضى الله عنه فى النقاط التالية:

---

= و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٦٣٢٣)، والخطيب فى «تاريخه» (٩/ ٣٤٠، ٤٤٠)، و«السنة» لابن أبى عاصم (٢/ ٥٤٦، ٥٥٧).

(١) صحيح: علقه البخارى (٢٧٧٨)، فى كتاب الوصايا: باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا، ووصله الترمذى (٣٦٩٩)، والنسائى (٦/ ٢٣٦، ٢٣٧)، وعمر بن شبة فى «تاريخ المدينة» (٤/ ١١٩٥)، والدارقطنى=

**ثالثًا: تقديم عثمان على سائر الصحابة بعد أبى بكر وعمر:**

روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: «كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخيّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان رضى الله عنهم».

وبلفظ آخر عند البخارى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كنا فى زمن النبى ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبى لا نفاضل بينهم»(1).

**رابعًا: عثمان شهيد، ببلاغ النبى ﷺ:**

لقد بشر النبى ﷺ عثمان رضى الله عنه فى عدة مواضع سبق الإشارة إلى أحدها، وأسوق إليك موضعًا آخر، فيه البشارة بهذه الشهادة:

فعند البخارى من حديث أنس بن مالك أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا أحدًا، فرجف بهم، فضربه رسول الله ﷺ برجله، وقال: «اثبت أحد نبىٌّ، وصديق، وشهيدان»(2).

ومن طريق آخر عن سهل بن سعد الساعدى أن أحدًا ارتج وعليه النبى ﷺ، وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبى ﷺ: «اثبت، أحد ما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان»(3).

---

= (٤/ ١٩٩)، والبيهقى (٦/ ١٦٧) كلهم من طريق أبى إسحاق عن أبى سلمة بن عبد الرحمن به، وأخرجه أحمد (١/ ٥٩)، فضائل الصحابة (٧٥١)، والنسائى (٦/ ٢٣٦)، وابن أبى عاصم (١٣٠٩) فى «السنة»، والدارقطنى (٤/ ١٩٨)، عن إسرائيل عن أبى إسحاق، قال الدارقطنى (٣/ ٥٢) «العلل»، وقول شعبة: ومن تابعه أشبه بالصواب، ويقول الحافظ فى «الفتح» (٥/ ٤٧٩)، وفى هذا الحديث من الفوائد لمناقب عثمان رضى الله عنه.

(١) البخارى مع الفتح (٧/ ٥٤)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه البخارى، فضائل الصحابة، مناقب عثمان (٣٦٩٦)، والترمذى، المناقب (مناقب عثمان) (١٣٦٩٧)، وأبو داود، السنة، باب فى الخلفاء (٤٦٥١).

(٣) أخرجه أحمد فى «المسند» (١٥/ ٣٣١)، والحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٢)، عن أبى يعلى وصحح إسناده.

**خامسًا: عثمان صحابى تستحى منه الملائكة:**

نعم بل واستحى منه الرسول ﷺ، أفلا يحق لنا أن نستحى لرجل استحت منه الملائكةُ وخيرُ البشر ﷺ.

وأسوق لكم إن شاء الله تعالى الدليل على ذلك:

فعند مسلم فى «صحيحه»، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا فى بيته كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، فدخل وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة يا رسول الله: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «ألا أستحى من رجلٍ تستحى منه الملائكة»[١].

وبلفظ آخر: «إن عثمان رجل حيى ولو أنى أذنت له على تلك الحال خشيت ألا يقضى حاجته»[٢].

**سادسًا: عثمان من أئمة الهدى:**

وتلك المنقبة، شهد له بها النبى ﷺ وبين أن عثمان من الحكماء الذين سيحقنون دماء المسلمين زمن الفتنة، وأنه على الحق والهدى والرشاد.

والدليل: حديث أخرجه الترمذى من حديث مرة بن كعب، قال: ذكر النبى ﷺ الفتنة فقربها، فمر رجل متقنع بثوبه، فقال: «هذا يومئذٍ وأصحابه على الهدى»، فقمت إليه وأخذت بمنكبيه فأقبلت بوجهه على رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم فى «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان (٢٦/ ٢٤٠١)، من طريق على بن حجر.

(٢) أخرجه مسلم (فضائل الصحابة، باب: من فضائل عثمان) (٢٦/ ٢٤٠١)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٧١) (٤/ ٣٥٣، ٣٥٤)، و«السنة» لأبى عاصم (٢/ ٥٨٩)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٣)، و«السلسلة الصحيحة» (١٦٨٧).

ﷺ فقلت هذا؟ قال: «نعم»، فإذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه[1].

**سابعاً: الذين قتلوا عثمان شهدوا له بالحق ومع هذا قتلوه:**

نعم حرى بك أيها القارئ اللبيب أن تتدبر معى تلك الرواية الرائعة، ففيها بيان لمناظرة تمت بين عثمان، وبعض قاتليه، فأقروا له بالحق، وإنما فعلوا فعلتهم، لحقدهم على الإسلام، وبغية إشعال نار الفتن.

فعن ثمامة بن حزن القشيرى، قال: شهدت الدار ـ أحداث الفتنة فى دار عثمان ـ حين أشرف عليه عثمان، فقال: «ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم علىَّ؟».

قال: فجىء بهما كأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: «أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: «من يشترى بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها فى الجنة؟»».

فاشتريتها من صلب مالى، فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر؟

قالوا: اللهم نعم.

فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله ﷺ: «من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة؟». فاشتريتها من صلب مالى، وأنتم اليوم تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين؟

قالوا: اللهم نعم.

---

(١) أخرجه الترمذى (المناقب مناقب عثمان) (٣٧٠١)، وأحمد فى «المسند» (٤/ ٢٧٥)، وابن ماجه (١١١)، و«مشكاة المصابيح» (٦٠٦٧)، للتبريزى، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢١٠)، والطبرانى فى «المعجم الكبير» (١٩/ ١٦٢).

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله، فقال: «اسكن أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان».

قالوا: اللهم نعم.

قال: «الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد ثلاثًا»[1].

**وبعد:** أيها القارئ الطيب اللبيب، ها هم قتلة عثمان، الذين أحاطوا بداره يقرون بفضله، ونزاهته وحسن إسلامه، وعظيم قدره، ومع ذلك أجازوا لنفوسهم المريضة استباحة دم هذا الشهيد رضوان الله عليه. وإن هذا العجب نبين سره إن شاء الله مع بقية الأحداث الماثلة، فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، وسترى بنفسك أن هؤلاء القتلة جماعة مجرمة، موتورة العقل، لا إيمان فى قلوبهم، بل كفر ونفاق، وابتداع وزندقة، مالت نفوسهم لليهودى عبد الله بن سبأ، فصاروا عونًا له وللشيطان، فكانت هذه الفجيعة، قتل عثمان رضى الله عنه.

وبعد لقد ذكرت لك قليلاً من كثير فى مناقب عثمان وفضله، من خلال الأحاديث الصحيحة الثابتة، وسأسوق لك إن شاء الله تعالى بعد ذلك ثناء الصحابة الذين عاشروا عثمان، وعاشوا معه، وعاصروه، عليه فيكتمل الفضل بإذن الله، وتتجمع فى قلبك، وعقلك صورة رائعة لا غبار عليها لهذا الصحابى الجليل.

والله المستعان.

* * *

(١) رواه الترمذى (٣/ ٢٠٩)، والنسائى وصححه الألبانى فى «صحيح النسائى» (٢/ ٧٦٦، ٧٦٧).

# المبحث الثانى

## ما ورد على ألسنة الصحابة فى فضل عثمان ومنزلته

لقد جمعت الأقوال التى وردت على ألسنة جمع من الصحابة فى فضل عثمان ومنزلته والأحداث الجارية فى زمنه؛ فوجدت هذه الأقوال تدور حول ثلاثة أمور هامة، أسوقها إليك أيها القارئ الكريم فى نقاط متتابعة ثم أسوق أقوال بعض الصحابة، فيكون قولهم دليلاً بيِّنًا قاطعًا على هذه النقاط الثلاثة:

(١) فضل عثمان ومنزلته وتقديمه على علىٍّ رضى الله عنهما.

(٢) براءة علىٍّ رضى الله عنه من دم عثمان.

(٣) ما قصر عثمان فى خلافته، بل كانت خلافته، خلافة عدل ورشد، وسماحة، وجهاد، ونشر للإسلام.

**• من أقوال على رضى الله عنه:**

**القول الأول:** رواه ابن عساكر، عن محمد بن حاطب عن علىٍّ رضى الله عنه، قال: عثمان منهم، من الذين قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ [الأنبياء:١٠١][1].

**القول الثانى:** عن محمد بن حاطب قال: كنت مع علىٍّ بالبصرة، فلما هدأت الحرب، قلت: يا أمير المؤمنين، ما أردُّ على قومى إذا سألونى عن قتل هذا الرجل - أى عثمان -؟ قال: «أنا وعثمان مثلما وصف الله فى كتابه: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ [الحجر:٤٧]، وإذا قدمت فأبلغهم أن عثمان من الذين آمنوا ثم اتقوا، ثم آمنوا ثم اتقوا، ثم آمنوا ثم اتقوا وعلى

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى (٣/ ٢٨٥)، «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٥).

ربهم يتوكلون»[١].

**القول الثالث**: عن رافع بن خديج، قال: قال عليّ: دخلت على بناتى وهن يبكين، فقلت: ما يبكيكنَّ؟ فقلن: لانقطاعنا من أرضنا، ولموت - أو لقتل - ابن عفان. فقال: إنى لأرجو أن أكون أنا وابن عفان ممن قال الله: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾[٢].

قلت: هذه بعض الأقوال فى منزلة عثمان رضى الله عنه وردت على لسان علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وفيها بيان فضل عثمان، وتقدير على له، وأنه ما بينه وبينه أدنى كره أو ضغينة، لكونه سابقًا له بالخلافة، بل كان علىٌّ رضى الله عنه من أول من بايعوا عثمان على الخلافة كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله.

**القول الرابع**: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أشهد على علىٍّ أنه قال فى عثمان: ما قتلت، ولا أمرت، ولقد كنت له كارهًا[٣].

**القول الخامس**: عن ابن عباس رضى الله عنهما عن على بن أبى طالب قال: (إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم، فحلفت لهم بالله ما قتلت عثمان، ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصونى)[٤].

**القول السادس**: عن خليد بن شريك قال: سمعت على بن أبى طالب وهو على منبر الكوفة، يقول: أى بنى أمية، من شاء نفلت له يمينى[٥] بين المقام والركن ما قتلت عثمان ولا شركت فى دمه[٦].

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٦).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١٩٣)، «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٦).

(٣) «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٣٥٢)، «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٣).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٣)، (١٦١/ ٤٩٢).

(٥) نفلت: أى حلفت خمسين يمينًا على البراءة من دمه.

(٦) «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٣).

**القول السابع**: جاء فى تاريخ ابن عساكر: عن سالم بن أبى الجعد، قال: كنا مع ابن الحنفية فى الشعب فسمع رجلاً ينتقص عثمان رضى الله عنه، وعنده ابن عباس فقال: يا ابن عباس، هل سَمِعت أو سُمِّعت، أمير المؤمنين عشية سمع الضجة من قبل المربد فبعث، فقال: نعم عشية بعث ـ فلان ابن فلان، فقال: اذهب فانظر ما هذا الصوت، فجاء فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان، والناس يؤمنون، فقال علىٌّ: وأنا ألعن قتلة عثمان فى السهل والجبل، اللهم العن قتلة عثمان، اللهم العن قتلة عثمان فى السهل والجبل. ثم أقبل ابن الحنفية عليه وعلينا فقال: أما فىَّ وفى ابن عباس شاهدا عدل؟ قال: قلنا بلى، قال: قد كان هذا[1].

قلت: وفى هذا الدليل الدامغ لبراءة علىّ رضى الله عنه من دم عثمان، لا قتل ولا شارك، ولا حث، بل كان لقتله كارهًا، غاضبًا، وقد لعن قاتليه ثلاثًا، فاعلم ذلك، وانتبه، فتلك الشبهة قد أثيرت حول على رضى الله عنه وهو منها براء.

**القول الثامن**: جاء فى التمهيد والبيان:

عن سويد بن غفلة، قال: سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: أيها الناس الله الله إياكم والغلو فى عثمان وقولكم: حرّاق المصاحف، فوالله ما أحرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ، جمعنا فقال: ما تقولون فى هذه القراءة التى قد اختلف فيها الناس، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول قراءتى خير من قراءتك، وقراءتى أفضل من قراءتك، وهذا شبيه بالكفر، فقلنا: ما الرأى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشدَّ اختلافًا. فقلنا: فنعم ما رأيت، فأرسل إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، فقال:

(١) «مختصر تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ٢٥٤).

يكتب أحدكما، ويملى الآخر، فإذا اختلفتما فى شىء فارفعاه إلىَّ، فكتب أحدهما، وأملى الأخير، فما اختلفا فى شىء من كتاب الله إلا فى سورة البقرة، فقال أحدهما: التابوه بالهاء، وقال الآخر: التابوت بالتاء.

فرفعاه إلى عثمان رضى الله عنه فقال: التابوت.

قال: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: والله لو وليت مثل الذى ولى لصنعت مثل الذى صنع.

قال: فقال القوم لسويد: الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا من علىٍّ؟ قال: الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا من على رضى الله عنه[1].

قلت: وهذا الأثر دليل قاطع دامغ عن حسن سيرة عثمان فى خلافته، وأنه خليفة راشد سار فى الأمة بمنهج أبى بكر وعمر فما غيّر ولا بدّل، ولا ابتدع، رضى الله عنهم جميعًا.

**• من أقوال عائشة رضى الله عنها:**

وردت أقوال عدة عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فى بيان فضل عثمان رضى الله عنه، وأنه قتل مظلومًا، وأن سيرته فى الخلافة سيرة حسنة، على منهاج النبوة ومن سبقه من الراشدين.

**القول الأول:** عن ابن سيرين، قال: قالت عائشة: مصصتموه مصَّ الإناء ثم قتلتموه.

والمعنى: أخذتم من فضله وماله وسخائه وإحسانه حتى ما بقى له شىء ثم قتلتموه[2].

**القول الثانى:** ورد عن مسروق مثل هذا الأثر، فعنه قال: قالت عائشة حين قتل عثمان: (تركتموه كالثوب النقى من الدنس ثم قتلتموه).

---

(١) «التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان» (٦٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٥)، «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٩٥).

فقلت: هذا عملك، كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه.

قالت: والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى هذا.

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب عنها وهى لا تعلم[١].

**• بعض أقوال ابن عباس رضى الله عنهما:**

**القول الأول**: جاء فى تاريخ دمشق: عن ابن عباس رضى الله عنهما لما قتل عثمان بن عفان رأيت رسول الله ﷺ فى منامى، فمر بى فسلم علىّ، فقلت: يا حبيبى يا رسول الله ألا تقف حتى أشتف منك بالنظر. قال: إنى متعجل، إن أبى إبراهيم، وأخى موسى منتظرون لزفاف عثمان الليلة»[٢].

**القول الثانى**: عن زهدم الجرمى قال: (خطب ابن عباس فقال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء)[٣].

قلت: وهذا دليل لحق معاوية رضى الله عنه فى طلبه بدم عثمان، وقتاله على هذا.

**• بعض أقوال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:**

**الأول**: عن أبى حازم قال: كنت عند عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكر عثمان، فذكر فضله ومناقبه وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم ذكر على بن أبى طالب فذكر فضله وسابقته وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم قال: من أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليدع[٤].

**الثانى**: عن عبد الله بن بابيه قال: كنت مع ابن عمر فجاءه رجل سأله

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٥)، «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٦١)، «أنساب الأشراف البلاذرى» (٤/١/ ٥٩٧).

(٢) «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٧٣).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٣)، ابن عساكر (١٦/ ٢٦٠).

(٤) ابن عساكر «مختصر تاريخه» (١٦/ ٥٠٦).

عن عليٍّ وعثمان فدفعه حتى تباعد الرجل، فقال: ما حملك على هذا؟ سألتنى عن رجلين كلاهما كنت أجله وأعظمه، أفترانى أمدح أحدهما وأذم الآخر[١].

**• قول أنس بن مالك:**

جاء فى مختصر تاريخ دمشق عن حميد الطويل، قال: قلت لأنس بن مالك: يدعى ناس أن حب على وعثمان لا يجتمعان فى قلب واحد، فقال: كذبوا والله لقد جمع الله حبهما فى قلوبنا[٢].

**وبعد:** أيها القارئ الطيب هذه بعض النقولات والأدلة الدامغة على طهر عثمان ونقائه، وحسن سيرته فى خلافته، ومناقبه، أردت بها التمهيد لمنزلة هذا الصحابى الجليل، فإذا ما تناولنا الافتراءات والأكاذيب التى أثيرت حوله فى الماضى، ويثيرها الآن أعداء الإسلام وخاصة العلمانيين، والملحدين، والشيعة، تبين لك الحق من الباطل، فعثمان رضى الله عنه كالزجاجة النقية، وهو ثالث الراشدين رضى الله عنه وأرضاه.

* * *

---

(١) ابن عساكر «مختصر تاريخه» (١٦/٥٠٧).

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٦/٥٠٨).



# الفصل الثانى

## افتراءات وأكاذيب وشبهات حول عثمان رضى الله عنه والرد عليها

أولاً: التمهيد.

ثانياً: الشبهات والرد عليها.



## أولاً: التمهيد

حرى بنا أن نعرف من الذى خرج عن دينه، وترك فضيلة العقل جانبًا، وأصبح قلبه مليئًا بالنفاق والرياء، وكراهية الإسلام، والمسلمين.

هذا الصنف من الناس هو من تجرأ على صحابة النبى ﷺ، وسبهم، ولعنهم، وكفرهم، وهو بكل ذلك أحق وأولى.

نعم إنها الفرق الضالة التى حاولت أن تجد لها ذريعة لما هم عليه من زندقة، وضلال، وابتداع. فراحوا يثيرون الشكوك، والافتراءات والأكاذيب على أصحاب النبى ﷺ، ولم يسلم أحد من ذلك حتى على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعًا.

وحقيقة بالبحث والنظر فى مناهج تلك الفرق الضالة وجدنا أن هناك أربع فرق هى التى تاهت عن الحق المستقيم طريق أهل السنة والجماعة.

**• الفرقة الأولى: (الناصبة):**

وهم الذين عادوا آل البيت خاصة علىّ بن أبى طالب وأبناءه فى صراعهم مع معاوية، وخلال العهد الأموى، فوقع منهم السب والشتم والإيذاء لجماعات من آل البيت خاصة عليّا وذريته، وللخوارج نصيب من ذلك.

فقد كفروا فيمن كفروهم من الصحابة جماعات من آل البيت، منهم على ابن أبى طالب، وأولاده حتى إن شقيهم ابن ملجم قتل عليًا رضى الله عنه.

ونحمد الله تعالى أن هذه الطائفة قد ضعفت وقلّت وزالت عن الوجود، شيئًا فشيئًا، حتى اختفت تمامًا.

**• الفرقة الثانية: (الراوندية):**

وهم طائفة من المغالين فى بعض آل البيت، وقد غالوا فى العباس عم

النبى ﷺ، وأبنائه، فجعلوا العباس أفضل الصحابة، وقدموه على سائرهم، بل ودعت إلى حصر الإمامة، والخلافة فى أبنائه من بعده.

وقد اشتد أمرها وقويت شوكتها مع ازدياد الصراع بين الدولة الأموية، والدعاة للعباسيين من أهل البيت، وظهور دولة العباسيين وزوال دولة بنى أمية، وبضعف دولة بنى العباس وزوالها زالت هذه الطائفة، وانقرضت ولله الحمد والمنة.

**• الفرقة الثالثة: (الرافضة أو الشيعة):**

وهم أشهر الغلاة فى أهل البيت ابتدعوا فى سبيل ذلك موبقات، وضلالات حادت كل الحيد عن الإسلام، والمنهج القويم.

فقد حصروا الإمامة فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين وأولادهما خاصة، وقد ثبت يقينًا سبهم للصحابة، واشتهر عنهم ذلك خاصة الكراهية الشديدة لأبى بكر وعمر وعثمان، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم، بل ووصل الأمر إلى تكفير الصحابة إلا قليلاً منهم كأبى ذر الغفارى مثلاً.

وتعلقت مناهجهم بالمسميات التى أطلقوها على أنفسهم وأطلقها عليهم الناس.

**المسمى الأول: الشيعة:**

لمشايعتهم عليًا رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بنصية الإمامة له، وكذا بالوصية، بل واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

**المسمى الثانى: الرافضة:**

لأنهم رفضوا الإقرار بإمامة أبى بكر وعمر وعثمان وقيل لهم لما سمعوا زيد بن على زين العابدين أحد أئمة أهل البيت يثنى على أبى بكر وعمر

وعثمان: تفرقوا عنه، فقال لهم: رفضتمونى، فسموا الرافضة.

ومن العلماء من يطلق لقب الرافضة على غلاة الشيعة، دون غيرهم.

وأغلب أهل السنة على إطلاق لقب الرافضة على الجميع غلاتهم ومن دونهم.

وأستطيع أن أنقل تقسيمًا لهؤلاء الروافض عن العلماء وأحسبه تقسيمًا مفيدًا:

**الأول: غلاة الرافضة:**

أصحاب الغلو فى أهل البيت والذين أضفوا خصائص الألوهية فكفروا بذلك.

**الثانى: المعتدلون من الرافضة:**

وهم من خلت مقالاتهم الشيعية من الغلو فى آل البيت بالدرجة التى ترفعهم إلى مرتبة الألوهية، وإن كانت لهم عقائد أخرى مخالفة لأهل السنة والجماعة، وهى كثيرة كسب عائشة ورميها بالزنا وغير ذلك.

الحاصل، من هذا التقديم أن الشبهات التى أثيرت حول عثمان رضى الله عنه وغيره من الصحابة، هى من إنشاء أفكارهم، وخارجة من الكره، والبغض الذى امتلأت به قلوبهم، لصحابة النبى ﷺ، ويحسبون أنهم على شىء، ووالله إنهم أشد من الشيطان فسادًا وضلالاً، وإلقاءً وافتراءً على أطهر الخلق بعد النبى ﷺ، وهم صحابته، والجولة القادمة إن شاء الله، فى الرد على افتراءاتهم الكاذبة على عثمان رضى الله عنه، أما بقية الأكاذيب التى قالوها على بقية الصحابة رضى الله عنهم، فعليك بالرجوع إلى منهاج السنة لابن تيمية ففيه غناء لك وحامٍ وواقٍ من هذا الضلال الظاهر البين.

* * *

## ثانيًا: افتراءات وأكاذيب حول عثمان رضى الله عنه والرد عليها

إذا تكلم الغوغاء، السفهاء، أصحاب الحلوم المريضة، التى أصابها العطب والجهل والتعصب فى حق عظماء الرجال، ومغاوريهم، وصناديدهم، وأتقيائهم فهذا الكلام، لا قيمة له ولا شأن، بل هو صراخ قزم صغير، أراد به إخافة عملاق كبير.

وإنما نحونا هنا أن نورد الشبهات والرد الإجمالى عليها، سدًا لذريعة، ألا وهى رؤية بعض السفهاء المرضى من المتعالمين، الشيعة، ومن سار على نهجهم من العلمانيين، والمستشرقين فى تلك الشبهة موردًا للطعن على صحابة النبى ﷺ.

نقول لهم: إن هذه أوهام عقول مريضة والقلوب السقيمة امتلأت نفاقًا بدل الإيمان، وجهلاً حل مكان العلم فتلك نصيحة لهم، وإرشاد لعلهم يعودون ويتوبون من قريب فيغفر الله لهم، أما إن ماتوا على ما هم فيه من زيغ وضلال فمصيرهم إلى الله، وحسابهم عسير شديد.

وسأذكر هنا الشبه إجمالاً، ثم نرد عليها أيضًا إجمالاً، وذلك مخافة الإطالة.

• **الشبهة الأولى:**

فإنه ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية، حتى ظهر من بعضهم الفسوق، ومن بعضهم الخيانة، وقسم الولايات بين أقاربه، وعوتب على ذلك مرارًا فلم يرجع، واستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر، وصلى بالناس وهو سكران. وولى عبد الله بن أبى سرح مصر حتى تظلم

منه أهلها، وولى عبد الله بن عامر البصرة، ففعل من المناكير ما فعل.

**• الشبهة الثانية:**

ولى معاوية الشام فأحدث من الفتن ما أحدث.

**• الشبهة الثالثة:**

كان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال؛ دفع إلى أربعة نفر من قريش زوجهم بناته ـ أربعمائة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار.

**• الشبهة الرابعة:**

كان ابن مسعود يطعن عليه ويكفره، ولما حكم ضربه حتى مات، وضربه عمارًا حتى صار به فتق، ونفى أبا ذر إلى الربذة وضربه ضربًا وجيعًا.

**• الشبهة الخامسة:**

ضيع حدود الله فلم يقتل عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه.

**• الشبهة السادسة:**

زاد الأذان الثانى يوم الجمعة، وهو بدعة، وصار سنة إلى الآن، وخالفه المسلمون كلهم حتى قتل.

**• الشبهة السابعة:**

عابوا عليه بعض الأفعال كغيابه عن بدر وعدم اشتراكه فى أحد، ولم يشهد بيعة الرضوان.

**• الشبهة الثامنة:**

تحريق المصاحف وجمع المسلمين على مصحف واحد.

حقيقة أخى القارئ، هذه معظم الشبهات التى قالها الرافضة، وغيرهم وأرادوا بها النيل من عثمان، وسبه، وجعل هذه الشبه لهم مستندًا، وتبريرًا لفعل ما فعلوه، وهذا والله أوهام حاطب ليل.

وإليك أخى القارئ الرد الإجمالى على تلك الشبه:

• **الرد على الشبهة الأولى:**

من عدة وجوه:

**الوجه الأول:** سبق أن ذكرنا أن هذه الشبه والافتراءات من أكاذيب إنما هى من وضع الشيعة، الروافض المغالين فى علىٍّ رضى الله عنه.

فنقول إن كنتم أخذتم على عثمان رضى الله عنه أنه ولى بعض أقاربه، فإن عليّا ولى من أقاربه حين تولى الخلافة أكثر من عثمان رضى الله عنهم جميعًا.

يقول ابن تيمية فى منهاج السنة: ومن العجيب أن الشيعة ينكرون على عثمان ما يدعون أن عليًا أبلغ فيه من عثمان، فيقولون: إن عثمان ولى أقاربه من بنى أمية ومعلوم أن عليًا ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه، كعبد الله وعبيد الله ابنا العباس، فولى عبيد الله بن العباس على اليمن، وولى مكة والطائف قثم بن العباس، والمدينة ولى عليها سهل بن حنيف، وقيل ثمامة ابن العباس، وأما البصرة فولى عليها عبد الله بن العباس، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبى بكر الذى رباه فى حجره. اهـ.

وبالمقارنة العددية ترى أن عليّا رضى الله عنه قد ولى من آل بيته وأقاربه أكثر من عثمان رضى الله عنه.

فإن كانت تولية الأقربين منكرًا، فبماذا تدفعون ذلك عن علىٍّ رضى الله عنه؟!

تقولون: إنه معصوم لكونه إمامًا بالنص، قلنا: إن الثابت والمجمع عليه أن العصمة للرسول ﷺ والطاعة المطلقة إنما تكون له ﷺ.

ولهذا اتفق أهل العلم ـ أهل الكتاب والسنة ـ على أن كل شخص سوى الرسول فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فإنه يجب تصديقه

فى كل ما أخبر وطاعته فى كل أمر، فإنه المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

**• الرد على الشبهة الثانية:**

**قولهم: ولى معاوية الشام فأحدث من الفتن ما أحدث.**

أقول بتوفيق الله جل وعلا: إن تولية معاوية رضى الله عنه ليس فيها ميل من عثمان أو تجنٍّ على أحدٍ، بل إنه لا ينسب إليه تعصب إلى البيت الأموى، فعثمان رضى الله عنه أجل من ذلك وأعظم، فإذا كانت ولاية معاوية وصمة سيئة فى خلافة عثمان، فلا ريب أن تكون وصمة سيئة أيضًا فى خلافة عمر بن الخطاب، وما يقول بذلك إلا مجنون أو مريض العقل، فعمر ولاه الشامات كلها، وأقره عثمان، وأنقل هنا قول أبى بكر بن العربى فى «العواصم من القواصم»: وأما معاوية فولاه عمر وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه فأقره لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف واليه، وتعلق عثمان بعمر فأقره؛ فانظر إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها ولن يؤتى بمثلها أبدًا.

وأقول هنا: مما سبق يتضح عدة مسائل وهى:

(١) قدر يزيد بن أبى سفيان وأخيه معاوية بن أبى سفيان وما تمتعا به من قدرات ومزايا طوت لهما أعناق إدارة البلاد، وجعلتهما أحب ما يكونان إلى رعيتهما.

(٢) قدرة معاوية بن أبى سفيان على الخصوص وأنه أحبه أهل الشام، وكان خير قائد لهم، وهنا نورد حديثًا للنبى ﷺ ليوضح أمرًا هامًا ألا وهو أن خيار الأئمة الذين تحبهم الرعية، فقد ثبت عن النبى ﷺ فى الصحيحين أنه قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم».

(٣) أن أبا بكر وعمر كانا يتمتعان بالنظرة السليمة، والسجية الطيبة التى تسير بهدى من الله، ونور منه فكانا يختاران الرجال، ويكشفان عن مناقبهم وسجاياهم وعناصر الميزة فيهم عن غيرهم فيبوئونهم مقاعد السيادة والقيادة، والإمارة.

وقد سار عثمان رضى الله عنه على نهج سابقَيْه رضى الله عنهما.

(٤) النقطة الهامة هى علو إيمان معاوية وسمو قدره وذلك عكس ما يقوله أهل الأهواء ويروِّجونه، ونترك ذلك لفضائل معاوية، ولكن أكتفى هنا بما قاله ابن منبه الصنعانى وكان ثقة، وهذا الأثر أخرجه ابن كثير عن عبد الرزاق، قال: سمعت ابن عباس يقول: ما رأيت رجلاً أخلق بالملك من معاوية.

قلت: وهل يكون الرجل خليقًا بالأمر إلا إذا جمع نوابع الحكمة، والحلم والعدالة، مما يحسن به الدفاع عن ملكه، وحسن السيرة مع رعيته، ويستطيع نشر دعوة الله فى الممالك الأخرى، وقد فعل معاوية رضى الله عنه، وكيف يكون الحال بمقارنة الصحابى الجليل بما يقال عن حكام هذا الزمان، وأولياء الأمور فانتبه؟!

وأنقل هنا قولاً لأحد العلماء المحدثين الذين ساروا على نهج السلف الصالح ألا وهو محب الدين الخطيب قال: (سألنى مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأيى فى الرجال ما تقول فى معاوية؟ فقلت: ومن أنا حتى أُسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة، وصاحب من خيرة أصحاب محمد ﷺ، إنه مصباح من مصابيح الإسلام، لكن هذا المصباح سطع إلى جانب أربع شموس ملأت الدنيا بأنوارها، فغلبت أنوارها على نوره).

فوالله ما أجمل هذا التشبيه الجميل الرائع، وإنه لحق بين، وهذا قول أهل السنة والجماعة، أهل الجادة والخير من علماء الأمة الصالحين، لا الذين

يشوهون صورة سيدنا معاوية رضى الله عنه، وهم بجانبه أقزام فكرية، وإيمانية، ويحسبون أنهم من أهل العلم، فوالله والحق أقول إنهم لأهل السفه والجهل ولو تحصلوا على علوم الدنيا، ومراتبها، وألقابها، ومئات الشهادات باختلاف أنواعها، فعند أهل السنة الرجال يعرفون بالحق، والحق لا يعرف بالرجال. وحسبى الله ونعم الوكيل فيمن يؤذى صحابة النبى ﷺ، ورضى الله عنهم جميعًا.

• **الرد على الشبهة الثالثة:**

**إيثار أهله بالأموال من بيت المال.**

الرد على ذلك من وجوه:

**الوجه الأول:** نعم كان عثمان رضى الله عنه يعطى أقاربه ولكن يعطيهم العطيات المفروضة لهم من بيت مال المسلمين، مثلهم فى ذلك كبقية أهل الإسلام، فإن لهم عطاءً مفروضًا.

**الوجه الثانى:** العطاء معلوم ومدون، ويعلمه جميع المسلمين، ومن قال بأن عثمان أعطى مثل هذه المبالغ الكبيرة، أربعمائة ألف دينار، وغير ذلك من أقوال إنما هو محض أكاذيب وادعاءات وإلا فإنى أتحدى أن يأتينا أحد بنقل ولو ضعيف فى ذلك، بخلاف أكاذيب الشيعة عليهم من الله ما يستحقون.

**الوجه الثالث:** مثل هذه العطاءات مدونة فى كتب التاريخ، ومعلومة، كعطاء معاوية رضى الله عنه للحسن بن على رضى الله عنهما، مائة ألف دينار، أو ثلاثمائة ألف درهم، وذكر فى كتب التاريخ أنه لم يعط أحد قدر هذا قط، ومعلوم أن هذا العطاء بعد عثمان بزمن مديد.

**الوجه الرابع:** أن هؤلاء الذين قيل عنهم ذلك هم عاملون فى ذلك المال، والله تعالى قال: ﴿**وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا**﴾ [التوبة: ٦٠]، والعامل على الصدقة له أن

يأخذ ولو كان غنيًا وذلك بعمالته باتفاق المسلمين.

**الوجه الخامس:** رد عثمان هذه التهم عن نفسه حينما نادى فى الناس: الصلاة جامعة، ورد على هذه الأكاذيب، فقال: وقالوا: إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم، فأما حبى فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإنى ما أعطيتهم إلا من مالى، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى، ولأحد من الناس، ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ، وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وأنا يومئذٍ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى، وفنى عمرى، وودعت الذى لى فى أهلى، قال الملحدون ما قالوا، وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم، وما قدم علىّ إلا الأخماس، ولا يحل لى منها شىء، ولقد تولى المسلمون تقسيم تلك الأخماس ووضعها فى أهلها، ووالله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فلسًا فما فوقه، وإنى لا آكل إلا من مالى، ولا أعطى أهلى إلا من مالى[1].

**قلت:** فى رد عثمان رضى الله عنه الكفاية، والغناء، فهو لم ينتفع من بيت مال المسلمين، ولم يأخذ منه شيئًا، لنفسه حتى وقت خلافته، فكيف يجيز لنفسه أن يعطى أقاربه ما لا يستحقون، وإنما كان يعطيهم فرض بيت المال وإذا كان من زيادة فمن صلب ماله رضى الله عنه.

**• الرد على الشبهة الرابعة:**

**الجزء الأول فيها: أن ابن مسعود يطعن فى عثمان ويكفره.**

والرد على ذلك من وجوه:

**الوجه الأول:** أين النقل الثابت فى ذلك، ولم تحفظ كتب التاريخ مع

---

(١) «تاريخ الطبرى» (٤، ٣٤٦، ٢٤٣٨)، «التمهيد والبيان» (١٠٤، ١٠٦).

كثرتها، بمثل هذا الكلام، اللهم إلا كلام الشيعة الضلال فقط، وهم متهمون فى دينهم، فكيف نعول على كلامهم.

**الوجه الثانى:** بل أنقل قولاً عن ابن مسعود حينما ولى عثمان أمر الخلافة، كان فى الكوفة فقال: ولينا أعلانا ذا فوق، ولم نأل.

والمعنى: بايعنا أفضلنا، وأعلانا مكانة، ومنزلة ولم نأل جهداً فى ذلك فهو أحق وأولى.

**الوجه الثالث:** إنما حقيقة الأمر لما كلف عثمان رضى الله عنه زيد بن ثابت لكتابة المصحف، وجد بعض الشىء فى نفسه من ذلك، وإنما كان لعثمان حجة أوضح ألا وهى أن زيد بن ثابت قد حفظ العرضة الأخيرة، فكان اختيار عثمان لذلك وكذلك كان اختيار صاحبيه من قبل.

يقول ابن تيمية فى «منهاج السنة»: ومن جملة ذلك أمر ابن مسعود، فإن ابن مسعود بقى فى نفسه من أمر المصحف، لما فوض كتابته إلى زيد دونه، وأمر الصحابة أن يغسلوا مصاحفهم، وجمهور الصحابة كانوا على ابن مسعود مع عثمان، وكان زيد قد انتدبه قبل ذلك أبو بكر وعمر لجمع المصحف فى الصحف، فندب عثمان من ندبه أبو بكر وعمر، وكان زيد بن ثابت قد حفظ العرضة الأخيرة، فكان اختياره هذا أحب إلى الصحابة، فإن جبريل عارض النبى ﷺ بالقرآن فى العام الذى قبض فيه مرتين.

**الجزئية الثانية: ضربه عماراً حتى فتق أمعاءه:**

والرد من وجوه عديدة:

**الوجه الأول:** كذب ذلك الأمر، وأنه لم يحدث، وأنه محض افتراء وادعاء.

وهنا يقول القاضى أبو بكر بن العربى فى «العواصم من القواصم»: وأما

ضربه ابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدًا[١].

قلت: وهذا الكلام رائع جيد، فيه حجة دامغة على بطلان أكاذيب الشيعة، وادعاءاتهم.

**الوجه الثانى:** قد يثبت بعض العلماء مثل هذه الحوادث ويحاولون إيجاد التحليل المبرر لمثل ذلك، وهنا يرد عليهم أبو بكر بن العربى، بأن الأفضل ترك ذلك، لأنه محض كذب، وما بنى على باطل فهو باطل، يقول: وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغى أن يشتغل بها لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا نذهب الزمان فى مماشاة الجهال، وإن ذلك لا آخر له.

قلت: وهذا قطع منه رحمه الله بعدم وقوع مثل هذه الحوادث.

**الوجه الثالث:** أورد الشيخ محب الدين الخطيب ردودًا رائعة فى الرد على من أثبت مقولة الضرب، كأسبقية عثمان، وتقديمه على عمار وابن مسعود، وأنه فعل ذلك من باب التعذير، وأنه لم يكن بالضرب المبرح الذى وصفه هؤلاء الكاذبون، وأن عمر بن الخطاب كان يضرب بعض الصحابة بالدرة، تأديبًا كضربه أبى بن كعب لما رأى الناس يمشون خلفه، وغير ذلك من ردود أوردها فى تعليقه على «العواصم من القواصم»، أما ما أميل إليه فهو قول أبى بكر بن العربى بعدم وقوع مثل هذه الأحداث، وما بنى على باطل فهو باطل، وهذا أمتن، وأجود. والله أعلم.

ومن أراد المزيد فى الرد على هذه الشبهة فليرجع إلى «العواصم من القواصم»[٢].

(١) «العواصم من القواصم» (٦٤).

(٢) «العواصم من القواصم» (٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦).

## الجزئية الثالثة: نفى أبى ذر إلى الربذة وضربه ضربًا وجيعًا.

الرد من وجوه عدة:

**الوجه الأول:** كذب المدعى بذلك وتوصيفه الحدث التاريخى على وفق هواه ومعتقده وجهله، فعثمان رضى الله عنه لم ينف أبا ذر إلى الربذة، بل هو اختيار أبى ذر، واستأذن عثمان رضى الله عنه، فوافق وجهزه بما فيه عون له، ومساعدة.

يقول ابن حبان فى «موارد الظمآن»: وإنما اختار أبو ذر أن يعتزل فى الربذة، فوافقه عثمان على ذلك، فأكرمه عثمان وجهزه بما فيه راحته[1].

**الوجه الثانى:** سبب مثل هذه الحادثة وتصعيد الأمر بين أبى ذر وعثمان، يوضحه صاحب «العواصم من القواصم» يقول: «وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة، فلم يفعل، كان أبو ذر زاهدًا، وكان يقرع عمال عثمان، ويتلو عليهم: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة: ٣٤]، ويراهم يتسعون فى المراكب والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم، قال ابن عمر وغيره من الصحابة: إن ما أديت زكاته فليس بكنز، فوقع بين أبى ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: لو اعتزلت، معناه: إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فإن للخلطة شروطًا، وللعزلة شروطًا، ومن كان على طريقة أبى ذر فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم لكل أحد مما ليس بحرام فى الشريعة، فخرج إلى الربذة زاهدًا فاضلاً وترك جلة فضلاء، وكل على خير وبركة وفضل، وحال أبى ذر أفضل، ولا تمكن

(١) موارد الظمآن (١٥٤٩).

لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل[١].

قلت: تدبر جيدًا، أخى القارئ هذا التحليل العلمى الدقيق، تتبين حقيقة الأمر، وجملته أن ولاة عثمان كان يظهر عليهم مظاهر الغنى، ولكن من حل مالهم، وقد أدوا زكاة أموالهم، ولم ينهبوا بيت المال، أو يسرقوه، وإلا رأينا موقفًا من أبى ذر غير هذا الموقف، بل كان أشد فى رد فعله، وإنما أبو ذر رجل عابد زاهد، أراد منهم تفريق المال الزائد على المسلمين وذلك غير لازم كما بين ابن العربى، فأبو ذر على طريق، وهم فى طريق، وكلا الطريقين لم يخرجا على شريعة الإسلام، فلِمَ المفاصلة والنزاع.

**الوجه الثالث**: الناظر والباحث فى المراجع التاريخية يرى بذرة اليهود، وفتنة عبد الله بن سبأ، ومحاولة استغلال مثل هذه الأمور لزرع الفتنة بين المسلمين، وقد كان، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وأدلل على كلامى بما جاء فى تاريخ الطبرى وغالب المصادر التاريخية، لما ورد ابن السوداء، عبد الله بن سبأ، الشام لقى أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية، يقول المال مال الله، ألا إن كل شىء لله، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين، فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله[٢]، قال معاوية: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله، والمال مال الله، والخلق والأمر أمره؟

قال أبو ذر: فلا تقله، قال معاوية: فإنى لا أقول إنه ليس لله، ولكن سأقول مال المسلمين، وأتى ابن السوداء ـ عبد الله بن سبأ ـ أبا الدرداء، فقال له أبو الدرداء: من أنت؟ أظنك والله يهوديًا، فأتى عبد الله بن سبأ عبادة بن الصامت، فتعلق به ابن الصامت، فأتى به معاوية، فقال: هذا

(١) «العواصم» (٧٣، ٧٤، ٧٥).

(٢) أى ذهب أبو ذر إلى معاوية، وناقشه فى الأمر، وقال: لماذا تسمى مال المسلمين مال الله؟

والله الذى بعث عليك أبا ذر[١].

**قلت: والله إنى لا أستطيع أن أغادر هذه الرواية قبل أن أقرر عدة مسائل هامة، فيها العون والمساعدة لكى تتكشف لنا الحقائق:**

(١) عداوة اليهود الثابتة ومحاولة زرع الفتن بين المسلمين، والتفريق بينهم، ولقد كان لفتنة عبد الله بن سبأ اليهودى، الدور الأكبر فى إشعال الفتنة الكبرى بين الصحابة، وقتل عثمان وغير ذلك، عليه وعلى اليهود لعائن الله المتتابعة.

(٢) التفسير الجيد، وفقه معاوية رضى الله عنه، حينما بين لأبى ذر أن المال مال الله، بل الأدلة القاطعة تشير إلى أن ما ذهب إليه معاوية رضى الله عنه أدق من قول أبى ذر رضى الله عنه، أن المال مال المسلمين.

(٣) أعتقد أن مثل هذه الكلمات لا تستوجب شقاقًا ونزاعًا وخروجًا على أولياء الأمور، ولا سيما فمعروف عن معاوية عدله، وحسن سيرته فى الرعية.

(٤) تمتع كلا الصحابيان الجليلان أبو الدرداء وعبادة بن الصامت بالحكمة، وبعد النظر، والفراسة النجيبة، فقد علما بأن هذا اليهودى يريد الشر بالإسلام والمسلمين، فكان ردهما أبلغ وأسلم من رد فعل أبى ذر رضى الله عنه، فأما أبو الدرداء فقد تركه، واكتفى بزجره، وقال: ما أراك إلا يهوديًا، وأما عبادة بن الصامت، فقبض عليه ورفعه إلى معاوية، ونبهه أن هذا مشعل الفتن، وهو الذى ألب عليه أبا ذر، ويا ليت معاوية قتل هذا اليهودى لأراح الأمة من شر مستطير، ولكن أقدار الله غالبة.

وأكتفى بهذه الردود الإجمالية على تلك الشبهة والحمد لله أولاً وآخرًا.

---

(١) «تاريخ الطبرى» (٥/ ٦٦).

• **الشبهة الخامسة: ضيع حدود الله فلم يقتل عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين بعد إسلامه.**

الرد على الشبهة من وجوه عدة:

**الوجه الأول:** أن الهرمزان مشترك فى قتل عمر ومدبر له.

يقول صاحب العواصم: وقد قيل إن الهرمزان سعى فى قتل عمر، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه.

ويؤكد ذلك الطبرى فى تاريخه من حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال غداة طعن عمر مررت على أبى لؤلؤة أمس، ومعه حفينة ـ وكان نصرانيًا من أهل الحيرة ظئرًا لسعد بن أبى وقاص، والهرمزان، وهم نجى[١]، فلما رهقتهم ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه، فانظروا بأى شىء قتل وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم فرجع إليهم التميمى وقد كان ألظَّ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه، وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله[٢].

قلت: وهذا دليل قطعى على مشاركة الهرمزان فى دم عمر رضى الله عنه.

**الوجه الثانى:** حينما قتل عمر لم يكن عثمان وليًا لأمور الناس، ولم يُختر للخلافة بعد، فكيف يتهم بأنه لم يقم حد الله، أو ضيعه.

وانظر معى إلى هذه الرواية التى تؤكد ذلك:

جاء فى تاريخ الطبرى: «جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله

(١) يتحدثون سرًا ويجتمعون لقتل عمر.

(٢) «تاريخ الطبرى» (٥/ ٤٢).

وكان محبوسًا فى دار سعد بن أبى وقاص، وهو الذى نزع السيف من يده، فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا علىَّ فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق، فقال على: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس، ويقتل ابنه اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إن الله أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان، إنما كان الحدث ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم، وقد جعلتها دية واحتملتها من مالى»[1].

**وجه الشاهد:** قول عمرو بن العاص: إنما كان الحدث ولا سلطان لك، وأقره الصحابة على ذلك.

**الوجه الثالث:** أن عثمان مكن القماذبان بن الهرمزان ـ بأخذ الحق من عبيد الله بن عمر وسلمه إياه لقتله، ولكنه عفا عنه، لعلمه بجريمة أبيه واشتراكه فى قتل عمر، ثم فضل عمر رضى الله عنه، ويكفيه أن المسلمين خلوا بينه وبين عبيد الله بن عمر.

والرواية القادمة تؤكد ذلك:

روى الطبرى عن سيف بن عمر بسنده إلى منصور قال: سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه، قال: فلما ولى عثمان دعانى فأمكننى منه ـ أى من عبيد الله بن عمر بن الخطاب ـ ثم قال: «يا بنى هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله، فخرجت به وما فى الأرض أحد إلا معى، إلا أنهم يطلبون إلىَّ فيه[2]، فقلت لهم: أإلىَّ قتله؟ قالوا: نعم، وسبوا عبيد الله، فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا. وسبوه. فتركته لله ولهم، فاحتملونى فوالله ما بلغت المنزل إلا على رءوس الرجال وأكفهم.

(١) «تاريخ الطبرى» (٥/ ٤١).

(٢) أى يطلبون العفو عنه.

قلت: انظر إلى تعليق الشيخ محب الدين الخطيب قال: هذا كلام ابن الهرمزان وإن كل منصف يعتقد ـ ولعل ابن الهرمزان كان يعتقد أن دم أمير المؤمنين عمر فى عنق الهرمزان، وأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا آلة فى يد هذا السياسى الفارسى، وأن موقف عثمان وإخوته أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الحادث لا نظير له فى تاريخ العدالة الإنسانية.

قلت: ويكفى هذه الأوجه الثلاثة فى رد هذا الادعاء الكاذب أن عثمان ضيع حدود الله، فلم يقتل عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان، والله أعلم.

**• الشبهة السادسة:**

## أنه زاد الأذان الثانى يوم الجمعة وهو بدعة وصار سنة إلى الآن.

الرد من وجوه:

**الوجه الأول:** نعم زاد عثمان الأذان، وإنما ذلك اجتهاد منه، لكثرة المصلين، وكثرة أعدادهم، ولا سيما أن الزيادة لم تكن إلا يومًا، يوم الجمعة، والمراد بها الإرشاد والإعلام، ولا سيما أن الأذان المقصود كان قبل وقت الجمعة، ومعلوم أن المجتهد له أجر إن أخطأ، وأجران إن أصاب.

وأسوق رواية من الروايات التى ورد فيها ذكر الأذان الثانى، وكلها فيها علة الحكم، ألا وهو وكثرة أهل المدينة وتشتتهم، زد على هذا، الأذان الثانى كان بالزوراء، وليس قلب المدينة أو المسجد نفسه.

روى البخارى فى صحيحه: باب الأذان يوم الجمعة، من حديث الزهرى عن السائب بن يزيد، قال: كان النداء يوم الجمعة أوله: إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى ﷺ، وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما كان عثمان رضى الله عنه ـ وكثر الناس ـ زاد النداء الثالث على الزوراء.

**الوجه الثانى:** وافق جمع كبير من الصحابة رضوان الله عليهم عثمان بن

عفان فى فعله هذا، مما قد يجعل ذلك من الإجماع السكوتى المصحوب بعلة ألا وهى كثرة الناس، ولم أعلم مخالفًا له فى ذلك إلا عبد الله بن عمر رضى الله عنه، الذى قال ببدعية الأذان يوم الجمعة، كما أخرج الحافظ فى الفتح والأثر فى مصنف ابن أبى شيبة عن ابن عمر قال: الأذان الأول يوم الجمعة بدعة، وكما أسلفت القول فإن أصاب العالم فى اجتهاده فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد.

فمن يقول أن يؤخذ مثل هذا الأمر علة لقتل الخليفة الراشد، عثمان بن عفان، فما يقول بهذا إلا يهودى أو حاقد على الإسلام.

**الوجه الثالث:** أن الأذان الثانى اجتهاد من عثمان رضى الله عنه لحالة زمانية بعينها، وما سمعنا عثمان ولا نقل عنه أنه قال إنه سُنَّة ثابتة لكل زمان ومكان، بل الشيعة هى التى قالت بذلك، ونرى بعض المتعصبين من الفقهاء هم الذين يصرون على وجود الأذان الثانى، كمؤسسة الأوقاف، والأزهر تقليدًا لأسلافهم، والعجب أن يكون هذا الإصرار مع وجود آلات التكبير الصوتية ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والتى تجعل الجميع يعلمون بدخول وقت الصلاة.

أما عثمان رضى الله عنه فقد كان عنده من الأسباب ما يجعله يفعل ذلك، وقد زال السبب، وبطلت العلة، فالأذان الواحد الذى كان على عهد رسول الله ﷺ هو الأولى بالعمل به.

- **الشبهة السابعة:**

**عابوا عليه بعض الأفعال كغيابه عن بدر، وعدم اشتراكه فى أحد، ولم يشهد بيعة الرضوان.**

فكلها محض أكاذيب وافتراءات وتدبر معى هذه الرواية عن عبد الله بن عمر وكفى بها ردًا: عن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر

وحج البيت، فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا هؤلاء قريش، قال فمن الشيخ فيهم، قالوا: عبد الله بن عمر.

قال: يا ابن عمر إنى سائلك عن شىء فحدثنى عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟

قال: نعم.

فقال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟

قال: نعم.

قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟

قال: نعم.

قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبين لك.

أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له.

وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت بنت رسول الله ﷺ مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدر وسهمه.

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلي مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان.

فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

قلت: هذا رد بليغ من عبد الله بن عمر رضى الله عنه، على دعاة الفتن، مثل هذا الرجل الذى جاء من مصر حاجّا، وفى قلبه ضغينة لعثمان، وكبر حينما أقره ابن عمر على التهم قبل أن يبين له ويوضح له بطلانها.

(١) «فتح البارى» (٧/ ٥٤)، والترمذى، وأحمد فى «المسند» (٥٧٧٢، ٦٠١١).

فأقول لك الآن أيها القارئ: إما أن تكون على نهج السلف كعبد الله بن عمر، وإما أن تكون على درب الضلال كهذا المصرى، وأحسبك مسلمًا، صحيح الاعتقاد، لا تلتفت لمثل هذه الأكاذيب، ولا تعلق بذهنك، وإن حدث فالرد معك شافيًا واضحًا جعلنا الله وإياك ممن يتعبدون بحب النبى وأصحابه.

**• الشبهة الثامنة:**

## تحريق المصاحف وجمع المسلمين على مصحف واحد.

والرد من وجوه عدة:

**الوجه الأول:** سبق بيان أن ابن مسعود رضى الله عنه كان فى نفسه شىء حينما ولى عثمان رضى الله عنه زيد بن ثابت، أمر كتابة المصحف دونه، بل وأمر الصحابة بغسل مصاحفهم، وحرقها، وكان اجتهاد عثمان فى ذلك خيرًا، وفى الاختيار لمن يتولى أمر هذه المهمة كان هو على صواب، ووافقه جمع الصحابة رضى الله عنهم جميعًا، بل كانوا مع عثمان رضى الله عنه، على ابن مسعود رضى الله عنه.

**الوجه الثانى:** أسوق هنا إجمالاً صحة اختيار عثمان لزيد بن ثابت ورفيقه، وتقديمه على ابن مسعود فى نقاط سريعة، وهى كالتالى:

(١) تم الجمع بالمدينة المنورة، وابن مسعود عندئذٍ بالكوفة، والأمر لا يحتمل التأخير ريثما يرسل إليه عثمان ليحضر الجمع.

(٢) ثم إن عثمان إنما أراد نسخ المصاحف التى كانت فى عهد أبى بكر، وأن يجعلها مصحفًا واحدًا، وكان الذى نسخ فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحى، فكانت له فى ذلك أولية ليست لغيره.

(٣) وزيد شهد بيقين العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى، وكتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وكان يقرئ الناس بها حتى مات،

ولا يضيره أنه كان فى صلب رجل كافر عندما كان ابن مسعود يحفظ بضعًا وسبعين سورة.

(٤) ثم إن ابن مسعود قد أخذ من فم النبى ﷺ بضعًا وسبعين سورة، واستكمل القرآن من الصحابة فيما بعد، بينما حفظ زيد القرآن كله والنبى ﷺ حى، وهذا مما يضاف إلى مبررات عثمان بالاعتماد على زيد.

(٥) ثم إن زيدًا كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ فهو إمام فى الرسم - الكتابة - كتابة المصحف - وابن مسعود إمام فى الأداء، وجمع عثمان كان يقتضى الميزة التى عند زيد، لذا أمر بالكتابة، وأمر سعيد بالإملاء عليه، وسعيد أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ، فتوفرت للجمع العثمانى كافة الشروط، الرسم، والإملاء، وهذا يعنى أن عدم حضور ابن مسعود لن يحدث خللاً فى كفاءة وتكامل لجنة الجمع العثمانى.

(٦) ثم إن ابن مسعود رضى الله عنه يقرأ بلهجة هذيل، والمصحف كتب بلغة قريش، عند الاختلاف، وليس لعبد الله أن يحمل الأمة على أن يقرءوا بلهجته، بل لهجة النبى ﷺ، أولى بذلك، علمًا بأن لعبد الله قراءات شاذة مثل: «عتى حين» بدلاً من «حتى حين».

(٧) وناحية هامة هى أن رضى الصحابة رضى الله عنهم بصنيع عثمان فى تحريق المصاحف دليل على خيرية الفعل وصوابه، فأمة رسول الله ﷺ لا تجتمع على ضلالة، ومما يؤكد هذه الناحية إجماع الخلفاء الراشدين على جمع المصحف، واتفاق آخر خليفتين منهم على تحريق ما سوى المصحف الإمام، وفعلهم هذا واجب الاقتداء به كما قال ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى».

(٨) زد على ذلك أنه لما علم الصحابة بموقف عبد الله ذاك، وأنه أمر بغسل المصاحف، كرهوا ذلك منه، وما رضوه، فقد قال الزهرى:

فبلغنى أن ذلك كرهه من قول ابن مسعود رجال من أصحاب رسول الله ﷺ.

**الوجه الثالث:** أؤكد الإجابة على سؤال هام وهو لماذا اتجه عثمان رضى الله عنه إلى جمع المصاحف كلها على مصحف واحد، وحرق جميع المصاحف الأخرى؟

الإجابة على هذا السؤال من خلال رواية هامة أرجو منك أيها القارئ تدبرها حق التدبر، والله المستعان، ففيها بيان الباعث على إقدام عثمان رضى الله عنه على جمع القرآن:

يروى البخارى فى صحيحه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط من القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[١].

(١) «فتح البارى» (١١١٩).

**• الشبهة التاسعة:**

**استعماله الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر، وصلى بالناس وهو سكران، وولى عبد الله بن عامر البصرة، ففعل فيها المناكير.**

الرد على هذه الشبهة من وجوه عديدة:

**الوجه الأول**: الافتراء الكاذب على الوليد بن عقبة بأنه مدمن شارب للخمر، وهذا باطل من وجوه، ذلك بأنه لم يقل ذلك إلا مجموعة من الكذابين الذين استعملهم الوليد على الرعية، وقد أساءوا إلى الناس، فعزلهم.

وملخص القصة: أن ثلاثة نفر، هم: جندب، وأبو زينب، وأبو المورع، وكانوا عمالاً في حكومة الوليد ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم فجعلوا يكيدون له المكائد، ودخلوا عليه ليلاً وكان عنده طبق به بعض تفاريق العنب - قليل من العنب - فاستحى أن يقدمه لهم، ولم يكن لداره باب، فاقتحموا الدار وأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا إذن من صاحب الدار، فلما أخرج ذلك الشيء من تحت السرير، إذا هو طبق عليه تفاريق عنب، قالوا عنه: خمرًا، ثم سرقوا خاتم الوليد، وذهبوا إلى عثمان وادعوا أنه شارب للخمر، وهذا خاتمه أخذوه منه، وهو يقيء الخمر من كثرة شربها، فقال عثمان نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار.

نعم أقيم الحد ظلمًا على الوليد، وسيبوء شهاد الزور إلى النار، إن شاء الله تعالى، وعثمان رضي الله عنه كان يعلم أن الوليد بريء من هذه التهمة، ولكن ماذا يصنع بتهمة عليها شهود زور يحلفون بالله كذبًا، وقد حلف الوليد أنه ما شرب الخمر وما فعل[١].

**الوجه الثاني**: الوليد بن عقبة، صاحب دين، ومروءة ونجدة، وشوكة،

---

(١) «تاريخ الطبري» أحداث سنة ٣٠ هجرية.

وكان عزًا للدين، وسيفًا من سيوف الإسلام، وكان عاملاً لأبى بكر من قبل، وعمر من بعده، فكيف نعيب على عثمان اختياره، ولم ينفرد عثمان بتوليته الإمارة كما سبق.

**وهذا هو ماضى الوليد، وبعض جهده للإسلام:**

**أولاً:** استعمله أبو بكر لصدقه وأمانته، وسمو إيمانه، وخلفه فجعله موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين خالد وبين أبى بكر فى وقعة المذار مع الفرس(١).

**ثانيًا:** وجهه أبو بكر مددًا إلى قائده عياض بن غنم الفهرى.

**ثالثًا:** ولاه أبو بكر صدقات قضاعة سنة ١٣ هجريًا.

**رابعًا:** لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة، والثقة، والكرامة، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد فسار عمرو إلى فلسطين بلواء، وسار الوليد بن عقبة قائدًا إلى شرق الأردن(٢).

**خامسًا:** عينه أميرًا على بلاد بنى تغلب وغرب الجزيرة يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يأتوا من خلفهم، وذلك فى ١٥ هجريًا، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ - مسلمهم وكافرهم - وكان حسن السيرة فيهم.

**سادسًا:** استغل وجوده فى هذه البلاد ودعا نصارى هذه البلاد إلى الإسلام، ولكنهم أبوا وحاولوا التمرد عليه، فغضب غضبًا شديدًا، وكان ذلك فى زمن عمر وخلافته، فخاف عمر من أن يحمله غضبه بأن يبطش بهؤلاء الخارجين فيفلت زمامهم، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقتهم.

(١) الطبرى فى «تاريخه» (٤/ ٧).

(٢) الطبرى (٤/ ٢٩، ٣٠).

**الوجه الثالث:** تولى الوليد بن عقبة فى خلافة عثمان رضى الله عنه الكوفة وكان لهم من خير الولاة عدلاً ورفقًا وإحسانًا، وكانت جيوشه فى مدة ولايته تسير فى آفاق الشرق فاتحة ظافرة إلى بلاد ما وراء النهر.

قلت: هذا هو الوليد بن عقبة، وهذا ماضيه، وهذه سيرته، وهذا جهاده، فأى لوم على عثمان رضى الله عنه فى اختياره، سيقولون: قريبه ومن آل بيته.

فأنقل لك أيها القارئ قول صاحب «العواصم» فتدبره جيدًا، يقول: «قال عثمان: ما وليت الوليد لأنه أخى، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوءمة أبيه.

قلت: انظروا يا دعاة الشيعة، فالوليد من آل عبد المطلب، فكيف تجرءون على الافتراء على عثمان بعد ذلك.

**الوجه الرابع:** ولاية عبد الله بن عامر بن كريز:

فأقول بحمد الله وتوفيقه: ما ولاه عثمان رضى الله عنه إلا لأنه له سابقة الإسلام، وله جهده الخارق الذى أعز الله به الإسلام وأهله، وهؤلاء الرجال ذوو البصيرة الثاقبة الحقة، يضعون أهل الحق فى مكانهم اللائق بهم، ونبرهن على الاختيار الجيد بعدة أدلة:

(١) جاء فى «الإصابة» عن ابن عبد البر: (ولما ولد عبد الله بن عامر بن كريز أتى به إلى النبى فقال النبى لبنى عبد شمس: «هذا أشبه منا بكم».

ثم تفل فى فيه فقال ﷺ: «أرجو أن يكون مسقيًا» فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر منها الماء[1].

(٢) هاشمى الأصل وليس من بيت بنى أمية حتى يرمى عثمان بالتحزب إليه وهذا يدل على نسبه فهو عبشمى الآباء هاشمى من ناحية الأم، فجدته

---

(١) «الإصابة» (٦١٧٩)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٨٨).

من جهة الأم هى: البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ.

(٣) نشأ ابن كريز كريمًا شجاعًا ميمون النقيبة كثير الفضائل، ومن أعماله أنه افتتح خراسان كلها، وأطرافًا من فارس، وسجستان، وكرمان حتى بلغ أعمال غزنة وقضى على يزدجرد بن بريار آخر ملوك الفرس.

فهلا نظرت أيها القارئ الكريم إلى ماضى وحاضر ذلك الفتى المجاهد التقى عبد الله بن كريز، وانظر إلى أعماله، والتى لا ينكرها إلا جاحد، كاره للإسلام والمسلمين، كاره لصحابة النبى ﷺ.

قلت: هذه هى جملة الشبه التى أثيرت حول عثمان رضى الله عنه، وهذه هى الردود الإجمالية وليست التفصيلية، تدبرها، وانظر إليها نظر الباحث المتجرد من شبه الزيغ والضلال، تر الحق واضحًا جليًا، فهذا هو عثمان بن عفان الخليفة الراشد، رضى الله عنه، صفحة بيضاء نقية، لا يراها سوداء إلا أعمى النظر، مريض القلب، فاقد العقل، ضعيف الإيمان، أو فاقده، والله المستعان.

* * *



# الفصل الثالث

## نبذة عن خلافة عثمان رضى الله عنه
## وذكر استشهاده

وفيه عدة مباحث:

**المبحث الأول: خلافة عثمان بن عفان.**

**المبحث الثانى: مقتل عثمان بن عفان ظلماً.**

**المبحث الثالث: من الذين قتلوا عثمان ومبدأ الفتنة.**



# المبحث الأول

## خلافة عثمان رضى الله عنه

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، واستقر الرأى عندهم على تفضيل عثمان على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ولقد كان عثمان أعلم بالقرآن من علىّ وعلىّ أعلم بالسنة، وعثمان أعظم جهادًا بماله، وعلىّ أعظم جهادًا بنفسه، وعثمان أزهد فى الرياسة، وعلى أزهد فى المال.

وسيرة عثمان أرجح وهو أسن من علىّ ببضع وعشرين سنة، وأجمعت الصحابة على تقديمه على علىّ فثبت أنه أفضل.

فإن قيل: على زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فإن عثمان تزوج رقية بنت النبى ﷺ، فلما توفيت زوجه ﷺ ابنته الثانية أم كلثوم رضى الله عنهما، ولذا سمى بذى النورين، ولقد كانت خلافة عثمان رضى الله عنه، خلافة هادئة ساكنة، كثيرة الجهاد، فيها زادت الفتوحات، كثيرة الفىء ولكنها لا تقارب خلافة من قبله.

وقد وقعت البيعة لعثمان رضى الله عنه بإجماع الأمة، وذلك أن عمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسى وخشى عليه الناس قالوا له: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف.

فقال: ما أجد أحق بالأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى: عليًا، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن، فجعل الزبير أمره إلى على، وجعل طلحة أمره إلى عثمان،

وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف، فتبرأ عبد الرحمن بن عوف من هذا الأمر، وارتضيه عثمان، وعلى حكمًا بينهما فأشار عبد الرحمن المسلمين فوجد أن أمر الناس قد اجتمع على عثمان رضى الله عنه، فبايعه على الخلافة وبايع له علىّ وبايعه الناس، والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد[1].

وعثمان له فضائل ومميزات خاصة كثيرة، نعيد إلى الذاكرة منها: أنه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه رقية، وأم كلثوم، ولا يعلم أحد ممن تزوج ابنتى نبى مثل عثمان.

وهو من العشرة المبشرين بالجنة.

وكان ممن استكملوا حفظ القرآن.

وكان من أتم الناس حفظًا للحديث إلا أنه كان يهاب الرواية عن النبى ﷺ، وجهز جيش العسرة.

وكان من السابقين فى دخول الإسلام، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة المنورة، وتعد فترة خلافته من أكثر الفتوحات الإسلامية وارتبط اسمه بجمع الناس على المصحف العثمانى لما خشى من اختلاف الأمة فى القرآن والاختصام فيه، فكان عمله من أعظم الأسباب لحفظ القرآن، وأقره الصحابة على ذلك.

هذا هو عثمان، وتلك إشارة لفضله وخلافته رضى الله عنه وأرضاه.

* * *

(١) «شرح الطحاوية» (٣٦٥، ٣٦٩).

# المبحث الثانى

## مقتل عثمان رضى الله عنه ظلماً

شهدت خلافة عثمان رضى الله عنه بداية ظهور الفتن على أمة الإسلام، وحقيقة أرى أن الفتنة بدأت تطل برأسها بعد مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقد كان رحمه الله سدًا منيعًا، وبابًا مغلقًا دونها، وانفتح بموته.

وفى عهد عثمان رضى الله عنه، كثرت الفتوحات، ودخل أهل البلاد المفتوحة الإسلام، ولم يكونوا مثل الصحابة رضى الله عنهم فى الدين والتقى والأدب، والتربية، ومنهم من دخل الإسلام طمعًا فى طلب السلامة، وأبغض الإسلام وأبطن فى قلبه الكفر، وطبيعى أن من هؤلاء الذين دخلوا الإسلام جديدًا لم يعرفوا حق الصحابة وقدرهم، زد على هذا لم يثبت الإيمان فى قلوبهم، فظهرت فيهم أمور من الجاهلية، منها: الطعن فى ولاة الأمصار، والتجنى عليهم، والنكير على عثمان رضى الله عنه بسبب ذلك، وكان رأس الفتنة اليهودى عبد الله بن سبأ الذى أظهر الإسلام للدس لأهله وإيقاع الفتنة، فتبعه على مذهبه الكثير من أهل الأهواء، الذين لهم قلوب عمياء لا يرون بها، ولا يفقهون بها، حتى فشا الفساد فيهم، وكثر الطعن على عثمان رضى الله عنه وولاته، وبلغت هذه الأخبار المدينة فبعث عثمان رضى الله عنه من يستفسر عن أحوال ولاته فما نقلوا له عنهم إلا الخير، ثم إنه دعا عماله فى موسم الحج فشاورهم فى أمر هؤلاء المنحرفين من أهل الأمصار، ثم استقر رأيه على استعمال اللين معهم منعًا لتحريك الفتنة، ولكنهم اجتمعوا فى المدينة، مظهرين الخروج للحج، فلما

لم يجدوا من يوافقهم على عزل عثمان، وتولى الخلافة، وقد كان عثمان قد استجاب لهم بعزل من رضوا عزله من ولاة الأمصار، إلا أنهم قد حركهم الشيطان وهذا اللعين ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودى وأحاطوا بدار عثمان رضى الله عنه مدعين أنهم اكتشفوا كتابًا مع خادم عثمان يأمر عامله فى مصر بقتلهم، وأنكر عثمان ذلك، فحاصروه ومنعوه عن الصلاة، ومنعوا عنه الماء، وكل ذلك وعثمان يأبى قتالهم، ولا يأمر بقتالهم، حفاظًا على دماء المسلمين، ولأنه ورد عن حبيبه ﷺ أنه سيموت شهيدًا فى تلك الحال وأنه يقتل مظلومًا، كما سبق الإشارة إلى ذلك، واكتفى بتوجيه النصح لهم، ورد مزاعم الكذب التى قالوها، وإرسال الرسل إلى أولئك القابعين حول الدار، حتى دخل عليه الذين كتب الله عليهم الشقاء فى الدنيا والآخرة، فقتلوه ظلمًا وعدوانًا، فى الشهر الحرام فى مدينة رسول الله ﷺ، ففتحوا بذلك باب الفتنة والشقاق بين المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وجاء فى «صفة الصفوة»: (حصر فى منزله أيامًا ثم دخلوا عليه يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة، ويقال لثمانى عشرة خلت من سنة خمس وثلاثين، واختلف فى قاتله هل هو الأسود التميمى، من الخوارج، أو جبلة بن الأبهم، وقيل سودان بن رومان عليهم لعنة الله)[1].

* * *

(١) «صفة الصفوة» (١٥٩، ١٦١).

# المبحث الثالث

## من الذين قتلوا عثمان ومبدأ الفتنة

انظر - رحمك الله - معى فى هذا الأمر بشىء من التركيز والانتباه، لما يكاد للإسلام من أعدائه، وخاصة اليهود، واربط تلك الكلمات بالأحداث الجسام التى حدثت بعد ذلك من الخلاف بين على ومعاوية رضى الله عنهما وعن سائر صحابة النبى أجمعين.

نعم فالسبئية هم مشعلو الفتنة بقيادة اليهودى الخبيث الذى أعلن إسلامه ظاهرًا وأبطن الكفر والنفاق.

وهنا نستطيع أن نقسم الناس فى الفتنة إلى صنفين: الصنف الأول هم أهل القمة والورع والنجدة وهم أصحاب رسول الله ﷺ، رضى الله عنهم أجمعين.

وأهل الزيغ والضلال من أصحاب الفتنة باختلاف طوائفهم وبلادهم ممن ضعفت نفوسهم، وذهبت عقولهم، وفقدوا إيمانهم فأصبحوا صيدًا سهلاً ثمينًا سهل المنال لليهودى عبد الله بن سبأ صاحب ومشعل الفتنة.

وأسوق هنا ترجمة لأحد هؤلاء الفسقة القتلة لتعلم ما أريد أن أوضحه.

جبلة بن الأبهم أحد المشتركين فى قتل عثمان:

هو جبلة بن الأبهم الغسانى كان من المتنصرة العرب وقاتل مع الروم ضد المسلمين فى موقعة «اليرموك»[(١)].

أرأيت - رحمك الله - من قاتل عثمان، ومن الذى أشعل الفتنة بين

(١) «شذرات الذهب» (١١٧٢).

الصحابة، إنهم أعداء الإسلام الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ولا يرضون عن زوال الإسلام من الحياة بديلاً.

فها هو قاتل عثمان، قاتل مع الروم ضد المسلمين فى موقعة اليرموك للقضاء على الإسلام والمسلمين، فهذا يبين لنا الفرق الشاسع بين أهل الحق، وأهل الضلال مشعلى الفتنة.

ولكن أحب أن أبين هنا دافعًا آخر غير القضاء على الإسلام، وتمزيق شمل المسلمين، ألا وهو وقف الفتوحات الإسلامية، والمد الإسلامى الذى ملأ الآفاق شرقًا وغربًا، وخاصة فى زمن عثمان رضى الله عنه.

وهذا لا يكون إلا بشغل المسلمين بأنفسهم، نعم، ولقد نجحوا فى تعطيل سيوف المسلمين عن الجهاد خمس سنوات، ألا وهى زمن الفتنة، كان أهل الإسلام قادرين على تحقيق الخير للبشرية فيها، ولكن الله غالب على أمره.

وأنقل لك هنا نقلاً رائعًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه القيم «منهاج السنة»، قال: إن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم فى دم عثمان، لا قتل، ولا أمر بقتله، وإنما قتله طائفة من المفسدين، من أوباش القبائل، وأهل الفتن، وكان علىّ رضى الله عنه يقول: «اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر والسهل والجبل»[1].

وفى موضع آخر بين لنا رحمه الله الفئات المشتركة فى قتل عثمان، وهم أول من أشعلوا الفتن لعن الله من أشعلها.

يقول: «الذين شاركوا فى الجناية على الإسلام يوم الدار طوائف على ما رأيت فيهم إلا الذين غلب عليهم الغلو فأكبروا الهنات، وارتكبوا فى إنكارهم الموبقات، وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية دفينة على شيوخ الصحابة من قريش، ولم تكن لهم فى الإسلام سابقة، فحسدوا أهل السابقة

---

(١) «منهاج السنة» (٢/ ١٦٨).

من قريش على ما أصابوا من مغانم شرعية جزاء جهادهم، وفتوحاتهم فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة، ولا جهاد، وفيهم الموتورون فى حدود شرعية، أقيمت على بعض ذويهم فأضمروا فى قلوبهم الحقد والغل لأجلها، وفيهم الحمقى الذين استغل السبئيون ضعف عقولهم، فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة، وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم، بسبب نشأته فى أحضانه، وفيهم من أصابهم عثمان بشىء من التعزير لبوادر منهم تخالف أدب الإسلام، فأغضبهم التعزير الشرعى من عثمان وولاته، ولو نالهم من عمر رضى الله عنه أشد منه رضوا به طائعين، وفيهم المتعجلون بالرئاسة قبل أن يتأهلوا لها اغترارًا منهم بحالهم من ذكاء خلاب، أو فصاحة لا تغذيها الحكمة فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانه، وبالإجمال فإن الرحمة التى جُبل عليها عثمان، وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثير فيه أرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم».

قلت: انظر لكلام العلماء، الثقات كابن تيمية، وانظر إلى تشريحه للعديد من الأصناف الذين شاركوا فى الفتنة، وقتلوا عثمان رضى الله عنه، وقد أحسن عندما بين أن الذى جعل لهم شأنًا وزاد من شوكتهم هو تلك الرحمة المجبول عليها عثمان، وذلك الرفق واللين الغالب عليه فى جميع أحواله، ووالله لو أن السوط والسيف كان مؤدبًا لهم من أول الأمر لتغير الحال، ولكن الله غالب على أمره وكل شىء عنده بقدر سبحانه وتعالى.

نعم أخى القارئ، أطل النظر والتدبير ثم خذ العبرة والدرس من هؤلاء الفسقة، القتلة، نعم أربعون ألفًا من الفسقة والقتلة، وأهل الغوغاء، وأهل الضلال والزيغ، يلتفون حول دار عثمان بعد أن أصبحوا عبيدًا لأهوائهم وأهواء الشيطان، أضحوكة وألعوبة فى يد عبد الله بن سبأ اليهودى.

فارتكبوا جرمًا لن ينساه التاريخ وفتحوا على الأمة الإسلامية نارًا، وفتنة ـ لا يعلم ضررها وخطرها إلا الله سبحانه وتعالى.

فإن أحسنت النظر تبين لك، يقينًا من هم قتلة عثمان، ومن هم أصحاب الفتنة، ومن هم الذين أشاعوا فى الأرض الفتن والفساد.

نعوذ بالله من الشر كله علمنا منه وما لم نعلم، ونسأل الله الخير كله علمنا منه وما لم نعلم.

* * *

# الباب الثالث

## منزلة على بن أبى طالب
## وقدره وخلافته

وفيه:

**الفصل الأول: فضائل على رضى الله عنه ومناقبه.**

**الفصل الثانى: خلافة على رضى الله عنه.**

**الفصل الثالث: شبهات والرد عليها.**



# الفصل الأول

## فضائل على رضى الله عنه ومناقبه

أقدم لهذه المناقب بأوصاف جامعة ذكرها أهل الفضل والتقى، على أمير المؤمنين، وصهر رسول الله ﷺ.

إنه علىّ بن أبى طالب، وكيف لا أفتخر أن عليًا رضى الله عنه هو الذى يدور عليه الحديث، ويسطر القلم عن حياته، نعم هنيئًا للقلم حينما يسطر الكلمات عن علىٍّ رضى الله عنه، وأسأل الله الأجر والمثوبة حينما أتحدث عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه، محاولاً بيان الحق، والرد على هؤلاء الجهلاء الذين انتقصوا من قدر الصحابة عامة وعلى رضى الله عنه خاصة.

نعم أقدم بكلمات لأهل الفضل والعلم عنه، وعن منزلته ثم أتبع ذلك بأحاديث فى مناقبه، وفضله.

إن عليًا أحبه الجميع، وقدره الجميع، حتى خصمه الذى قاتل ضده، معاوية رضى الله عنه، كم كان يحبه ويجله ويعظمه.

وإذا أردت الدليل فتابع معى هذا الأثر عن أبى صالح قال: قال معاوية ابن أبى سفيان لضرار بن حمزة صف لى عليًا، فقال: أوَتعفينى؟ قال: بل تصفه، فقال: أوَتعفينى؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إن لا بد فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا،

يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا، وقربه منا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه تعظمة، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لرأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضًا، على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، وكأنى أسمعه وهو يقول: «يا دنيا إلىَّ تعرضت أم لى تشوفت؟ هيهات غرى غيرى، قد بنتك ثلاثًا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».

قال: فذرفت دموع معاوية فما يملكها إلا وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[1].

هذا هو وصف على رضى الله عنه إجمالاً، فكيف بهؤلاء الذين يتهمون معاوية بسبه، ولعنه، والأمر ليس بذلك بل هو مترحم عليه، يبكى حينما تأتى ذكراه.

* وأسوق هنا أيضًا قولاً لابن الجوزى فى «التبصرة» قال: كان عليه السلام خليقًا بالسيادة إن نظرت إلى علمه فقد احتاج إليه السادة، وإن نظرت إلى زهده، فلا فراش ولا وسادة:

أهـــوى عليًا وإيمــــان محبته كم مشـرك من سيفــه وكفا
إن كنت ويحك لم تسمع مناقبه فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

كان يشبه القمر الزاهر، والبحر الزاخر، والأسد الحادر، والربيع الباكر،

(١) «التبصرة» (١/ ٤٤٢، ٤٤٥).

أشبه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الغراب حذره، ومن الديك سخاءه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الربيع خصبه وماءه.

بادر الفضائل فكان من الأوائل، وخاض بحر الشجاعة فلم يرض بساحل، وحاز العلوم فحار لجوابه السائل، ولازم السهر ليسمع هل من سائل، وزهد فى الدنيا لأنها أيام قلائل.

سبحان من جمع له بحر من البراعة، ونجم من الشجاعة ثاقب.

طالت عليه أيام الحياة، وكان يستبطى القاتل حبًا للقاء ربه، فيقول: متى يبعث أشقاها، وجىء إليه فقيل له: خذ حذرك فإن الناس يريدون قتلك، فقال: إن الأجل جُنَّةٌ حصينة، فلما خرج لصلاة الفجر يوم قتل ألهم أن ترنم:

أشد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذ حلَّ بواديك

رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه.

هذا هو على رضى الله عنه فانظروا معى كيف هو قدره عند الله ورسوله:

**• الحديث الأول:**

أخرج البخارى فى صحيحه عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًا فقال: أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى»[1].

**وجه الاستدلال:**

(١) يقول البغوى: هذا مثل ضربه عليه السلام لعلىّ رضى الله عنه حين

---

(١) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب علىّ (٣٧٠١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علىّ (٣٤ ـ ٢٤٠٦)، وأحمد فى «المسند» (٥/٣٣٣)، والترمذى (١٣/١٧٥) والبغوى فى «شرح السنة» (١٤/١١٤).

استخلفه على أهله حال غيبته كما استخلف موسى أخاه هارون حين خرج إلى الطور فكانت تلك الخلافة فى حياته فى وقت خاص.

(٢) على رضى الله عنه خليق بالإمارة، والرئاسة والقيادة وهو لها أهل، وند، فهو أمير المؤمنين، وحقيق به أن يكون كذلك.

(٣) حبه للجهاد، والنزال فى سبيل الله، فها هو يقول للنبى ﷺ: أتخلفنى فى النساء والصبيان.

(٤) يستفاد أيضًا من القول السابق أن جميع صحابة النبى ﷺ حالهم كحاله فهم جنود الله لا يتخلفون أبدًا عن نصرته، ونصرة النبى ﷺ، والجهاد فى سبيل دينه.

(٥) مقام علىّ ومنزلته عند الله، وعلو شأنه فأخلاق علىٍّ كأخلاق الأنبياء، وقدره عظيم رفيع إلا أنه لا نبى بعد رسول الله ﷺ.

(٦) حب النبى ﷺ، وتقديره له، فهو يقول له: «ألا ترضى»، فهذا فيه بيان قدر على رضى الله عنه عند الرسول ﷺ.

**• الحديث الثانى:**

أخرج مسلم فى صحيحه عن على رضى الله عنه قال: عهد إلىَّ النبى ﷺ: «أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[1].

وبلفظ آخر عند الترمذى عن زر بن حبيش قال: سمعت عليًا يقول: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى إلىَّ أنه: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[2].

---

(١) أخرجه مسلم فى «صحيحه» (١/ ٨٦)، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلىّ من الإيمان (١٣١/ ٧٨)، والنسائى (٨/ ١١٤)، وابن ماجه (١١٤).

(٢) الترمذى (٣٧٣٦)، والنسائى (١٨/ ١٦)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٣)، و«شرح السنة» (١٤/ ١١٤) و«كنز العمال» (١٧٨، ٣٢)، و«مصنف ابن أبى شيبة» (١/ ١٣٥)، والحميدى فى «مسنده» (٥٨)، والخطيب فى «تاريخه» (٨/ ٤١٧).

## شرح الحديث: أوجه الاستدلال:

(١) معرفة علىّ رضى الله عنه قدره ومنزلته، وأن هذا القدر إنما هو عطية من الله، لعظيم صنعه ورفعة دينه.

(٢) بيان أن حب الصحابة جميعًا من الإيمان، وخاصة عليّا رضى الله عنه، وذلك بالترتيب الذى أجمعت عليه الأمة؛ أبو بكر، عمر، عثمان، على، رضى الله عنهم جميعًا.

(٣) فليحذر أهل الشقاق والنفاق من الاستطالة على الصحابة، وخاصة عليّا وإلا فإن هذا من النفاق، ومن يدخل فى هذه المجاهل منافق معلوم النفاق.

(٤) قسم على رضى الله عنه بالله تعالى، وأنه فالق الحبة وبارئ النسمة، والمقسوم عليه هو حب على إنما هو توجيه منه رضى الله عنه إلى أحد ثوابت العقيدة والإيمان ألا وهى محبة أصحاب النبى ﷺ، وآل بيته وهو خاصة، رضى الله عنهم جميعًا.

فاشهد يا ربنا وكلكم شهود على أنى أحب عليًا رضى الله عنه، محبة تفوق محبتى لنفسى ولولدى وزوجى، رضى الله عنه وأرضاه.

**• الحديث الثالث:**

روى الترمذى عن أبى سريحة أو عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه»[١].

**• الحديث الرابع:**

وعن حبش بن جنادة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «على منى وأنا من على ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على»[٢].

---

(١) رواه الترمذى (١٣/ ١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد فى المسند (٤/ ٣٦٨، ٣٧٠) وابن أبى عاصم فى «السنة»، وقد صححه الشيخ عبد القادر الأرناءوط فى تحقيق «جامع الأصول».

(٢) روى الترمذى (١٣/ ١٦٩)، المناقب، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وأحمد (٤/ ١٦٤، =

**• الحديث الخامس:**

أخرج البخارى عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: «أين على بن أبى طالب؟»، قالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، قال: «فأرسلوا إليه»، فأُتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرئَ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علىٌّ: يا رسول الله أقاتلهم على أن يكونوا مثلنا؟ قال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[1].

**أوجه الاستدلال من هذا الحديث:**

**الوجه الأول:** الجهاد فى سبيل الله تعالى طريق لجلب محبة الله تعالى، فالله يحب المجاهد فى سبيله وأعد له منزلة وأجرًا عظيمًا وعلىّ كان من المجاهدين فى سبيله.

**الوجه الثانى:** صفة خاصة بعلىٍّ، ومنقبة خاصة به فى هذا الحديث ألا وهى تبشير النبى ﷺ لمحبة من سيفتح الله خيبر على يديه بعد أن حاصرها الرسول ﷺ وصحبه مدة طويلة، واختار النبى ﷺ عليًا رضى الله عنه لذلك.

---

= ١٦٥)، وحسنه عبد القادر الأرناءوط فى تحقيقه على «جامع الأصول» (٨/ ٦٥٢)، والألبانى (١١٩) «صحيح ابن ماجه».

(١) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب علىّ بن أبى طالب (٣٧٠١)، ومسلم فى الفضائل، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علىّ بن أبى طالب (٣٤، ٢٤٠٦)، وأحمد فى «المسند» (٥/ ٣٣٣).

**الوجه الثالث:** على بن أبى طالب مجاهد ومقاتل، وقائد من الطراز الأول، وعلى يديه تفتح المدائن، وبحسن قيادته يزال الصعب وتفتح الحصون، وقد كان فتح خيبر على يديه بإذن الله، بعدما استعصى على المسلمين.

**الوجه الرابع:** منقبة أخرى لعلى ألا وهى أنه وعاء، لمعجزة من معجزات ﷺ، فقد كان فى عينيه مرض شديد فبصق النبى فى عينيه فشفيت بإذن الله نعم فالنبى ﷺ يشفى المرضى بإذن الله، ومن المناقب الرائعة أن يكون علىّ وعاء لأحد معجزاته ﷺ.

**الوجه الخامس:** السمع والطاعة لله ورسوله فعلى رضى الله عنه من أعظم الناس اتباعًا وسمعًا وطاعة لله ورسوله، فها هو يقود الجيش متوجهًا لنصرة الإسلام، ويقف متسائلاً علامَ يقاتل الناس؟ فدله الرسول ﷺ أن يقاتلهم على الإسلام، وبما يجب عليهم من حق الله، وإن أبوا فالسيف أو الجزية.

**الوجه السادس:** يقول البغوى: قوله: (يدوكون) أى: يخوضون، يقال: الناس فى دوكة، أى فى اختلاط وخوض، وأصله من الدوك، وهو السحق، وتسمى صلابة الطيب مداكًا، شبه الأمر فيه بمن دق شيئًا ليستخرج لبه ويعلم باطنه، وأراد بحمر النعم: حمر الإبل، وهى أعزها وأنفسها يريد، لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك أجرًا وثوابًا من أن تكون لك حمر النعم فتتصدق به.

هذا هو على رضى الله عنه، وهذا بعض من فضائله، وإلا فالمقام لا يسع لسرد فضائله وكرمه وشجاعته، وغير ذلك من الصفات التى احتباه الله بها وميزه وقدمه على غيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأختم تلك الفضائل بمقولة رائعة للحافظ ابن حجر فى «الفتح» فقال: (قال أحمد وإسماعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى لم يرد فى

حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فى على، وكأن السبب فى ذلك أنه تأخر[١]. ووقع الاختلاف فى زمانه، وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا فى انتشار مناقبه من كثرة من كان بينها من الصحابة ردًا على من خالفه)[٢].

هذا هو على رضى الله عنه، وحرىٌّ بهذا الصنديد الشجاع، أمير المؤمنين صهر النبى ﷺ زوج فاطمة، رضى الله عنه، وحبيبها، وأبى الحسن وأبى الحسين، وأبى محمد بن الحنفية، ولىّ رسول الله ﷺ، بل وربيب الرسول ﷺ، فقد تربى فى بيت النبى وحجره، وشب وكبر على يد النبى ﷺ، أول من أسلم من الشباب، صاحب الانتصارات، الجواد، الصنديد الشجاع، قاتل ومجندل عمرو بن ود أعظم فرسان العرب، على الذى نام فى فراش النبى مقدمًا حياته فداء للنبى ﷺ، على الأمين الذى رد أمانات مشركى قريش حينما هاجر النبى ﷺ، على هاجر من مكة إلى المدينة على قدميه حتى تقيحت قدماه، فعالجها النبى ﷺ ومسح عليها فشفى بإذن الله، ألم أبين لك أن عليًا وعاء لبعض معجزاته ﷺ. ورابع الأمة فى الفضل والمنزلة، حبه إيمان، بغضه نفاق وشقاق، سبه كفر عياذًا بالله من ذلك.

يكفينى أنه على بن أبى طالب الشريف المؤمن المجاهد الصابر، ويكفينى أنه من النبى بمنزلة هارون من موسى، ولا نبى بعد النبى ﷺ فرضى الله عنك يا علىّ، ورضى الله تعالى عن سائر الصحابة أجمعين.

* * *

(١) أن صار الخليفة الراشد الرابع.

(٢) «فتح البارى» (٧/ ٧١)، فضائل الصحابة.

# الفصل الثانى

## خلافة علىّ رضى الله عنه

أود قبل البدء فى الحديث عن خلافة على رضى الله عنه إثبات عدة مقدمات هامة:

**● المقدمة الأولى:**

أحب أن أشير إلى أن المنهج الأسمى حين الحديث عن أحداث الفتنة الإجمال وترك التفصيل وهذا ما جرى عليه دأب أهل السير، وهذا هو المنهج الدقيق المحمود، الذاكر للحقائق، الدافع للزور والبهتان حول هذه الفتنة.

**● المقدمة الثانية:**

أن خلافته رضى الله عنه، لم تكن خلافة مستقرة، ولم يكن أتباعه بمطوعين له بل بعد ذلك، لما أمضى على الحق فيهم، صنعوا معه مثل ما صنع مع عثمان، وخرجوا عليه، واتهموه بما ليس فيه، بل تجمعوا لقتاله فكان قتال موقعة النهروان والذى بشر به الرسول ﷺ، فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»[1].

بل أقول إن الثابت وتكاد أن تجمع عليه الروايات أن معظم أتباع علىّ وخاصة جيشه هم الذين بايعوه على الخلافة، وهم قتلة عثمان وسبحان من

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (الزكاة: ١٥٠)، وأبو داود (٤٦٦٧)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٣٢، ٩٧)، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٩٤٨)، و«دلائل النبوة» (٥/ ١٨٩).

يقدر الأقدار، لو نظرنا إلى حال معاوية بن أبى سفيان لرأينا الأمر على النقيض تمامًا، فأتباع معاوية، لم يخالفوه، وكانوا فى ركابه، وأكثر ولاءً له مما أغرى معاوية رضى الله عنه، بالثبات على مطلبه بتمكينه من قتلة عثمان، حتى يبايعه ـ أى على ـ على الخلافة.

**• المقدمة الثالثة:**

تبين لك آنفًا أن عليًا رضى الله عنه كان فى وضع لا يحسد عليه، وحاول جاهدًا رأب الصدع فى الأمة، وجامعًا لكلمتها رضى الله عنه، وأنه اجتهد فى ذلك اجتهادًا كبيرًا.

واستدل على ذلك بحديث ورد عند أبى داود قبل صفين، عن قيس بن عباد، قال: قلت لعلىّ رضى الله عنه: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله، أم رأى رأيته؟ فقال: ما عهد إلىَّ رسول الله بشىء، لكنه رأى رأيته[1].

فهو يجتهد رضى الله عنه، محاولاً جمع الأمة، ولم يمهله القدر والأيام ذلك، وإنما كان جمع أمرها على يد ابنه الحسن بن على، ومعاوية رضى الله عنهما، كما أخبر الصادق المعصوم.

وبعد فإنى محدثك أيها القارئ اللبيب الطيب عن خلافة علىّ رضى الله عنه إجمالاً:

فهو على أمير المؤمنين الخليفة الراشد الرابع يثبت أهل السنة والجماعة الخلافة له، بعد خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم جميعًا، واستقر رأيهم على أفضلية أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم جميعًا.

وأذكر ذلك خلافًا للشيعة فإنهم يقدمون عليّا على غيره، وكونه أولى

---

(١) أبو داود فى سننه (٤٦٦٦)، كتاب السنة.

بالخلافة منهم، ولذا سول لهم ضلالهم، وزيغهم إنكار خلافة من سبقه من الخلفاء الثلاثة.

والطامة الكبرى أنهم يتهمون كل من يقول بغير ذلك بالناصبة، أى مناصبة العداء لعلىّ، وآل البيت.

بل وصل الحال ببعض فرقهم بتكفير الصحابة، وتفسيقهم لذلك.

ولقد كذب علىٌّ رضى الله عنه كل ذلك.

* فهو رضى الله عنه قد بايع الخلفاء الثلاثة عن طيب خاطر ورضا، ومحبة، وهو يعلم أنهم مقدمون عليه فى المنزلة، وما كره قط خلافة أحدهم.

* وهو الذى بايعهم على السمع والطاعة، وكان خير عون لهم، وخير مرشد، ويكفينا قول عمر بن الخطاب لولا على لهلك عمر، حينما أفتاه فى إحدى القضايا.

* وهو الذى صلى خلفهم، وجاهد معهم بماله وسيفه وولده، فكان نعم السند والمعاون.

بل أقول لو كان عند علىٍّ نص بالخلافة لنفسه، ما سكت، وما ترك الأمر أبدًا، فإن كان قد أصر على قتال معاوية لعدم مبايعته له، فكيف لو أن هناك نصّا على خلافته.

ولو كان هناك نص لكان الصحابة جميعًا علموه، ووقفوا بجواره حتى يأخذ حقه، ألم يخرج طلحة والزبير إلى وقعة الجمل طلبًا بدم عثمان رضى الله عنه، وهم قد بايعوا قبلاً عليًا.

نعم هذا هو علىّ بن أبى طالب الخليفة الرابع الراشد، وهو من أفاضل صحابة النبى ﷺ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين، والشجعان

الصناديد الماهرين وهو الزاهد، العابد، أفصح الخطباء، وأبلغ البلغاء، زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، بويع لعلى رضى الله عنه بالخلافة بعد مقتل عثمان، رضى الله عنه ذلك أن المسلمين ظلوا حيارى بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، فلم يجدوا أفضل من على رضى الله عنه، ولكنه رفضها بشدة، كراهة أن يتولاها بعد عثمان الذى قتل مظلومًا، فلما ألحوا عليه قبل خشية بقاء المسلمين بدون إمام وبايعه الناس على ذلك، وثبتت له البيعة، أما ما قيل عن تخلف البعض عن بيعته، فسنورد ردًا تفصيليًا على ذلك عند الحديث على الشبهات حول على والرد عليها.

وأقول: إن عدم بيعة البعض له، وخاصة معاوية وأهل الشام، فلا يضر ذلك لأن البيعة لا يشترط لها الإجماع التام، بل الأكثرية، وقد حظت بيعته بذلك.

ولقد بدأ خلافته رضى الله عنه بتغيير ولاة عثمان على العديد من الأمصار، لتهدئة الثائرين وليس لعلة فيهم كما سبق بيان ذلك.

**والحق ما كان عليه أهل السنة والجماعة وأسوق هذا المذهب الحق فى نقاط متتابعة، سيأتى لها مزيد من البيان، فى معرض كتابنا إن شاء الله:**

- **النقطة الأولى:**

أهل السنة والجماعة يميلون إلى الكف عن الخوض فيما شجر من الخلاف بين على رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، ويرون أنهما بين محق مأجور ومخطئ معذور، وأن لكل منهما من الأعمال العظيمة ما يكفر أخطاءهم ولا يطيلون الحديث عنها إلا لرد افتراءات المفترين، وتمحيص الحق والدفاع عن سيرة سلف الأمة من الصحابة الأولين.

وأقول نحن على هذا الهدى سائرون، وبالشروط، والنيات السابقة نتناول هذا الخلاف، إحقاقًا للحق، ودفاعًا عن أصحاب النبى ﷺ، هذا الرعيل

الأول سادة الأمة بعد نبيهم ﷺ، ورضى الله عنهم.

**• النقطة الثانية:**

على بن أبى طالب خليفة مبايع من قبل عموم الأمة، وكان يرى أن معاوية قد خرج عن طاعته بعدم البيعة له، فاجتهد رأيه على أن يقاتله.

يقول الشيخ الخضرى فى كتابه إتمام الوفاء:

وقد عد علىّ خلاف معاوية بغيًا وخروجًا على طاعته لأنه رأى أن بيعته قد انعقدت بمن بايع فلزمت من لم يبايع، وأرسل أهل الأمصار يستنفرهم لقتال معاوية(١).

**• النقطة الثالثة:**

أما معاوية رضى الله عنه فكان يرى عدم البيعة، لأن عليًا لم يمكنه من قتلة عثمان وأنه هو الولى القادر على الأخذ بثأره وأن الأمة كلها حينذاك كانت تطالب بإقامة الحد على قتلة عثمان، وأن الأمر لا يحتمل أدنى تأجيل.

ونحن نعتذر لعلى عن ذلك إجمالاً فنقول: على لم يفعل ذلك لأن الظروف لم تكن مطواعة له، وأن قتلة عثمان كانوا مع الثوار فى المدينة، ولهم منعة وقوة فى قبائلهم، فأراد أن يستقر الأمر له أولاً ثم القصاص بعد ذلك.

وتفصيل ذلك نذكره إن شاء الله حين الحديث عن أحداث الفتنة.

**• النقطة الرابعة:**

وهنا تبرز أهمية هذه النقطة ألا وهى خروج طلحة وعائشة والزبير كان لجمع الكلمة، ولتمكين على بالجيش الذى كان عندهم من أن يأخذ بثأر عثمان، ويقيم الحد على قتلته.

---

(١) «إتمام الوفاء فى سيرة سيد الخلفاء» (١٧٢)، دار الكتب العلمية.

ولكن أصحاب الفتن أشعلوا نار الحرب بين الجيشين فى الجمل كما سيأتى بيان ذلك، خشية اتحاد الكلمة، وإقامة الحد عليهم، فأشعلوا الحرب كما بينا فى وقعة الجمل.

**• النقطة الخامسة:**

لم يقتصر إشعال نار الحرب فى الجمل، بل سعوا ونجحوا فى إشعال وتزكية نار الحرب فى معسكر أهل الشام فى صفين، وبين على وعسكره، فكانت تلك الوقعة وما جرى فيها على ما سيأتى بيانه.

**• النقطة السادسة:**

ثم كان اتجاه على رضى الله عنه وموافقته على التحكيم لحقن دماء الأمة ورأب الصدع، فكان جزاء ذلك أن أصحاب الفتنة انقلبوا على علىّ رضى الله عنه، وكونوا فرقة الخوارج، فكفروا الصحابة، وكفروا عليًا، فكان من على رضى الله عنه أن قاتلهم لكسر شوكتهم ولعلمه أنهم سبب الفتن، واشتعالها.

بقى صنف من الناس فى زمن على رضى الله عنه لم نتحدث عنه، وهم الذين اعتزلوا الفتنة ورأوا أن الاعتزال أفضل فى هذه الفتن المتلاحقة، وكرهوا قتال إخوانهم المسلمين وانتهاك الدماء، والأموال فآثروا مجانبة الفريقين عملاً بحديث النبى ﷺ: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الراكب».

وتلك كانت بداية النهاية فى خلافة على رضى الله عنه، فلقد عزم بعض من بقى من الخوارج بعد أن قاتلهم على رضى الله عنه، عند النهروان، أن يقتلوا عليًا رضى الله عنه، وعمرو بن العاص، ومعاوية فى الشام، فى ليلة واحدة، فكان مقتل على بن أبى طالب بواسطة عبد الرحمن بن ملجم عليه لعنة الله تعالى، ونجاة كل من معاوية وعمرو بن العاص.

وبهذا العرض يتبين لك وسطية منهج أهل السنة والجماعة فى كل قضايا الدين، حتى فى أحداث الفتن كانوا هم أهل الحق، المذهب الوسط، وهذا هو شأنهم وهذا هو دأبهم، جعلنا الله على هدى سلفنا الصالح، وهدى نبينا ﷺ وحشرنا معهم جميعًا آمين.

* * *

# الفصل الثالث

## شبهات وافتراءات أثيرت حول علىّ والرد عليها

الناظر فى أحوال تلك الفترة، وما جرى فيها من أحداث وفتن، يرى أن معظم ما أثير حول على رضى الله عنه من شبهات لا تتعدى أربعة أمور:

**الشبهة الأولى:** أن طلحة والزبير بايعا له مكرهين.

**الشبهة الثانية:** تخلف عن بيعته بعض الصحابة، كسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة وابن عمر وأسامة بن زيد.

**الشبهة الثالثة:** الادعاء بأنه كان طامعًا فى الخلافة ساعيًا لها، مما أثار عليه أمرين:

**أولاً:** الادعاء باشتراكه فى قتل عثمان.

**ثانيًا:** التقاعص والتقاعد عن نصرة عثمان، والتقاعص والتقاعد عن الأخذ بثأره.

**الشبهة الرابعة:** الشبهات والأكاذيب التى أثيرت حوله حينما قبل بالتحكيم.

وهذهً هى جملة ما أثير من شبهات حول هذا الصحابى الخليفة الراشد، صهر النبى ﷺ، وحبيبه وحبيب الله تعالى.

وإليك الرد إجمالاً، أخى الكريم والله هو المستعان وعليه التكلان.

**• الشبهة الأولى:**

**إن طلحة والزبير بايعا له مكرهين، وقيل عن طلحة خاصة أنه بايعته يد شلاء.**

والإجابة على هذه الشبهة من وجوه عدة:

**الوجه الأول:** الناظر فى أحكام البيعة، أو الأحكام الخاصة بعقد البيعة لولى الأمر يرى أن من هذه الأحكام إذا تمت البيعة بقبول الجميع، وخالف النذر اليسير؛ أشخاص عدة لا تنتقص البيعة ولا ترد، بل هؤلاء الأشخاص ملزمون على البيعة للإمام نزولاً على حكم الأغلبية.

يقول أبو بكر بن العربى فى «العواصم من القواصم»:

«فإن قيل بايعا - أى طلحة والزبير - مكرهين قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحدًا أو اثنين تنعقد البيعة بها، وتتم، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعًا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ولا فى بيعة الإمام[1].

**الوجه الثانى:** أن ذلك من الادعاءات والأكاذيب فإن طلحة والزبير رضى الله عنهما قد سارعا بمبايعة على رضى الله عنهم جميعًا ولم يتأخرا عن بيعته.

**الوجه الثالث:** ويستمر الشيعى المدعى فى أكاذيبه فيقول: إنهما بايعا بشرط أن يقتل قتلة عثمان.

والرد عليهم أن هذا الشرط لا يصح فى شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البينة ويقع الحكم، فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام فليس ذلك فى دين الإسلام»[2] اهـ.

قلت: نعم بايع طلحة والزبير عليًا رضى الله عنهم جميعًا بلا شروط، وعلى السمع والطاعة وما كانت الفتنة تقع منهم أبدًا، فإن قيل خرجا بجيش

---

(١) «العواصم من القواصم» (١٤٣، ١٤٤).

(٢) «العواصم من القواصم» (١٤٥، ١٤٦).

فيه عائشة لقتال على بعد ذلك، قلنا هذا هو الكذب، وقلب الحقائق، وإنما كان الخروج لجمع الكلمة، وتقديم العون لعلىّ على الأخذ بدم عثمان، ولولا إشعال الفتنة يوم الجمل على ما سيأتى بيانه، لكان الأمر خيرًا، ولم يقع القتال.

**الوجه الرابع**: أكذوبة أخرى يرددها هؤلاء الغلاة الكذابون من الشيعة والرافضة، ألا وهى أن طلحة قال: «بايعت واللجُّ على قفىّ» أى بايعت والسيف على قفاى.

فقد قال صاحب «العواصم»: إن هذا كذب بين وافتراء واضح، فقال: «فكانت كذبة لم تدبر».

**الوجه الخامس**: قولهم على طلحة: «يد شلاء» أى يد مشلولة عاجزة.

قلنا: والله هذا من جحودهم، بل بيان لمدى بغضهم، وكرههم للصحابة جميعًا، فإن هذه اليد الشلاء شلت حينما كانت تدافع عن الرسول ﷺ، يقول أبو بكر بن العربى: فإن يدًا شلت فى وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر ويتوقى بها كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه، وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه.

نعم لقد اخترع الكاذب حجة اليد الشلاء، وأقام بذلك الحجة على نفسه، وسأنقل لك تفسير ذلك: يقول الشيخ محب الدين الخطيب فى تعليقه على «العواصم»: «كان طلحة من العصابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون، فصبروا ولزموا، ورمى مالك بن زهير الجشمى بسهم يريد رسول الله ﷺ ـ وكان لا يخطئ رمية ـ فاتقاه بيده عن رسول الله ﷺ، فكان ذلك سبب الشلل فى يده من خنصره، وأقبل رجل من بنى عامر يجر رمحًا على فرس كميت أغر، مدجج فى الحديد يصيح أنا أبو ذات الوداع دلونى على محمد، فضرب طلحة عرقوب فرسه،

فاكتسعت، ثم تناول رمحه فلم يخطئ به عن حدقته، فخار كما يخور الثور، فما برح طلحة واضعًا رجله على خده حتى مات، قالت بنتاه - عائشة وأم إسحاق -: جرح أبونا يوم أحد أربعًا وعشرين جراحة فى جميع جسده، وقد غلبه الغشى، وهو مع ذلك محتمل رسول الله ﷺ حين كسرت رباعيته يرجع به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب، فكان النبى ﷺ يقول إذا رأى طلحة: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله».

هذا هو طلحة، وهذا هو من وصموه باليد الشلاء وأنها والله له لشرف، وفخر تلك اليد الشلاء وإن يدًا كهذه بملايين الأيادى الأخرى، فهذه اليد شلت دفاعًا عن النبى ﷺ وحفاظًا عليه، رضى الله عنه وأرضاه.

• **الشبهة الثانية:**

**تخلف عن بيعته جماعة منهم - أى من صحابة الرسول - منهم: سعد بن أبى وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وسواهم من نظرائهم.**

والرد عليها من وجوه:

**الوجه الأول:** لم ترد رواية صحيحة على ذلك، بل هو محض ادعاء، وكذب، وهذه هى العادة المتأصلة عند الرافضة فى قدح خصومهم.

**الوجه الثانى:** الثابت أن هؤلاء جميعًا بايعوا ولم يتخلفوا، بل كانوا من أوائل المبايعين لعلى رضى الله عنه.

**الوجه الثالث:** إنما الثابت أن هؤلاء سعد بن أبى وقاص، وابن عمر، وأسامة بن زيد لم يقاتلوا مع على فى الجمل، وصفين، وهم من الذين اعتزلوا الفتنة، وذلك اجتهاد منهم، وهم أهل لذلك الاجتهاد، وكان على دربهم كثير من الصحابة، وهم الذين اعتزلوا الفتنة.

• **الشبهة الثالثة:**

## أن عليًا كان طامعًا فى الخلافة، ساعيًا للحصول عليها.

مما أثار عليه أمرين:

**الأول:** اشتراكه فى قتل عثمان.

**الثانى:** التقاعد عن نصرته، والأخذ بثأره.

والرد من وجوه عدة:

**الوجه الأول:** مقام علىّ وفضله، وأنه من الطراز الأول من صحابة النبى ﷺ، وأنه فى مقام عالٍ، فلا حاجة له بأن يطمع فى أمر الخلافة فلا هو يريد الدنيا، ولا زينتها، ولا هو يطمع فى منفعة مادية من وراء ذلك، فهو أزهد الناس فيها، وهذا معلوم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

**الوجه الثانى:** أن عليًا رضى الله عنه رفض الخلافة أول ما عرضت عليه ولولا خشيته من أن تظل الأمة بلا إمام، ويحدث من ذلك مفاسد ما فعل ولا تقدم للبيعة.

جاء فى «تاريخ الطبرى» عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه، قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة وأميرها الخافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى الأمر فلا يجدونه، يأتى المصريون عليًا فيختبئ ويلوذ بحيطان المدينة، أى يختبئ فى البساتين، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم، مرة بعد مرة.

ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً فباعدهم وتبرأ من مقالتهم، ويطلب البصريون طلحة، فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالتهم فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص، وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع، فأقدم نبايعك، فقال: إنى وابن عمر خرجنا منها، فلا حاجة لى فيها.

ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله، فقالوا: أنت ابن عمر، فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقامًا، والله لا أتعرض له فالتمسوا غيرى[١].

وهكذا نلمح من تلك الرواية أن عليًا رضى الله عنه كان يتهرب من أمر الخلافة فكيف يدعى عليه أنه كان محبًا لها ساعيًا من أجلها، طالبًا أن يكون أميرًا، وهو فى منزلة تفوق كل أمير.

**الوجه الثالث:** قالوا: إن هذا الحب ولد سعيًا فى اشتراكه فى قتل عثمان رضى الله عنه.

والرد فى نقاط عديدة:

(١) قول على رضى الله عنه، رواه ابن عباس قال: أشهد على علىّ أنه قال فى عثمان: ما قتلت، ولا أمرت، ولقد كنت له كارهًا[٢].

(٢) بل كان ينهى عن ذلك، ولكن أنى للغوغاء القتلة السفهاء أن يرجعوا ويرضخوا لصوت الحق وانظر معى لهذا الأثر، عن ابن عباس عن على بن أبى طالب، قال: إن شاء الناس قمت خلف مقام إبراهيم، فحلفت لهم بالله ما قتلت، ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصونى[٣].

(٣) بل هو رضى الله عنه رد صراحة على هذه الشبهة فقال: عن قيس بن عباد قال: سمعت عليًا يوم الجمل يقول: «اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسى وجاءونى للبيعة، فقلت: والله إنى لأستحى من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلاً، قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة»، وإنى لأستحى من الله أن أبايع، وعثمان قتيل الأرض، لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس

---

(١) الطبرى (٥/ ١٥٥).

(٢) «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٣)، ابن عساكر (٤٦٣).

يسألوننى البيعـة فقلت: اللهم إنى لمشفق مما أقدم عـليه، ثم جاءت عزمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين، فكأن صدع قلبى، وانسكبت بعبرة[1].

قلت: أثبت هذا الأثر عدة أمور:

(أ) أن الذين بايعوا عليًا هم قتلة عثمان، ولم يدفن عثمان بعد.

(ب) على رفض أمر الخلافة وظل كارهًا لها فلـما وجد حاجة المسلمين للخليفة قد وجبت وخاصة بعد أن رفضها طلحة وسعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهم، جاءته عزمة، فبايع الناس.

(جـ) حزن علىّ الشديد على عثـمان، وأنه كاد أن يطيش عقله، ويذهب فؤاده حينما سمع بمقتل عثمان، ولما قالوا لعلى أمير المؤمنين كأنما انقطع قلبه، وبكى، فهو لم يفرح بها، ويسعد فكيف يكون طالبًا وساعيًا لها.

**الوجه الرابع:** قالوا إنه تقاعص وتقاعد عـن نصرة عثمان رضى الله عنه، ولم يدافع عنه حـال حصاره فى الـدار والرد سيكون إن شاء الله فـى نقاط متتابعة:

(١) إن عليًا لم يتـقاعص عن عثمان رضى الله عـنه بل ذهب إليه ودخل الدار عارضًا الدفاع عنه هو وولداه الحسن والحسين، فأبى عثمان عليه ذلك واستسلم للقـدر ولبشرى رسول الله ﷺ له بالجنة على بلوى تـصيبه، وأنه سيفطر الليلة فى الجنة، وقد كان.

(٢) بل أقول: إن عليًا ألزم الحسن بن على ابنـه بملازمة عثمان، وعدم تركه، فكان الحسن رضى الله عنه آخر الذين خرجوا من الدار، وبعدها قتل عثمان رضى الله عنه.

(٣) لم يتقاعص الصحابة المهاجرون ولا الأنصار عن نصرته، ولكنه أبى عليهم ذلك، واستـحلفهم بالله ألا يفعلوا، وكلما دخل علـيه واحد للدفاع

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٥٢).

عنه أبى، وأسوق هنا رواية جامعة لذلك: «روى عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: كنت مع عثمان فى الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه، ثم قال قم يا ابن عمر وعلى ابن عمر سيفه متقلدًا، فأخبر به الناس فخرج ابن عمر والحسن بن على، ودخلوا فقتلوه»[1].

(٤) أما الأنصار فقد جاءوه فعزم عليهم أن يرجعوا ويكفوا أيديهم.

جاء زيد بن ثابت فقال: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين قال عثمان: لا حاجة لى فى ذلك كفوا[2].

قلت: وأعتقد بعد هذه الردود، لا يستطيع أن يتهم أحد عليًا، والصحابة بالتقاعص عن نصرته والدفاع عنه.

**الأمر الثانى: تقاعد وتقاعص عن التمكين من قتلة عثمان وقتلهم.**

وسأسوق الرد على لسان الشيخ محب الدين الخطيب فى تعليقه على «العواصم» فقال: وحقيقة على من قتلة عثمان أنهم عند البيعة له كانوا هم المسئولين عن زمام الأمور فى المدينة، وفى حالة الإرهاب التى كانت سائدة يومئذ لم يكن فى استطاعة علىّ ولا غيره أن يقف منهم مثل موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان مع الفارق العظيم بين دم أمير المؤمنين الخليفة الراشد، والأسير الحربى المجوسى الذى قال: إنه أسلم بعد وقوعه فى الأسر، ولما انتقل على من المدينة إلى العراق، ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان ولا سيما أهل البصرة والكوفة منهم فلما صاروا فى بصرتهم وكوفتهم صاروا فى معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، ولا شك أن عليًا أعلن البراءة منهم وأراد أن يتفق مع أصحاب الجمل على

---

(١) «العواصم من القواصم».

(٢) «أنساب الأشراف» (٥/ ٧٣)، «العواصم» (١٣٣).

ما يمكن الاتفاق عليه فى هذا الشأن، فأنشب قتلة عثمان القتال بين معسكر علىّ ومعسكر أصحاب الجمل، وتمكن أصحاب الجمل من قتل البصريين من قتلة عثمان إلا واحدًا من بنى سعد بن زيدة مناة بن تميم، وقد حمته قبيلته فلما اتسعت الأمور، وسفكت الدماء كان علىّ فى موقف يحتاج فيه إلى بأس هؤلاء المعروفين بأنهم من قتلة عثمان، وفى مقدمتهم الأشتر وأمثاله، وأن كثيرين منهم انقلبوا على علىّ بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره، ويقول علماء السنة والمؤرخون: إن الله كان بالمرصاد لقتلة عثمان فانتقم منهم بالقتل والنكال واحدًا بعد واحد، حتى طال بهم العمر إلى زمن الحجاج كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاء بما قدمت أيديهم والله أعدل الحاكمين[1] اهـ.

قلت: انظر لذلك التحليل العلمى الدقيق وتدبره، ينجلِ لك الحق، وكذا عذر علىّ رضى الله عنه، وأنه لم يكن باستطاعته التمكن من قتلة عثمان لقربهم من قبائلهم، ولم يكن يملك القوة الكافية لردعهم، فانتبه وتذكر يرحمنا الله وإياك.

**• الشبهة الرابعة:**

**ما أثير حوله من شبهات حينما قبل التحكيم.**

أما التحكيم فسيأتى بيانه فى فصل مستقل، وأما ما أثير عليه من شبهات، فإنا نسوقها إجمالاً وكذا الرد عليها إجمالاً من مناقشة ابن عباس لها، لقد دارت شبهات الخوارج إلى ثلاث شبه رئيسية:

**أولا:** حكم الرجال ـ الحكمين ـ فى دين الله، وقد قال الله: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ [الأنعام: ٥٧].

**ثانيًا:** قاتل ولم يغنم ولم يسب، ولئن كانوا كفارًا حلت أموالهم، وإن

(١) «التمهيد» للباقلانى (٢٣١، ٢٣٣)، «العواصم من القواصم» (١٤٦).

كانوا مؤمنين حرمت عليه دماؤهم.

ومرادهم أنه قاتل فى الجمل ولم يغنم ولم يسب أم المؤمنين عائشة، وكذا فى صفين.

**ثالثًا:** محا نفسه من أمير المؤمنين.

والمعنى حينما اجتمعوا للصلح أبى عليه عمرو بن العاص أن يدعى أمير المؤمنين لأنهم لم يبايعوه.

وإليك أخى القارئ الرد على هذه الافتراءات إجمالاً.

**أما أولاً:** إنه حكم الرجال، فقد رد عليهم ابن عباس وأقام عليهم شرطًا، فقال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم.

فاسمع معى رد ابن عباس رضى الله عنهما:

«أما قولكم إنه حكم الرجال فى دين الله فإنه تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ** ﴾ إلى قوله: ﴿**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال فى المرأة وزوجها: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم **الله**! أفحكم الرجال فى دمائهم وأنفسهم، وصلاح ذات بينهم أحق أم فى أرنب ثمنها ربع درهم، قالوا: اللهم فى حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه[1]؟

والمعنى: أن الله أذن للرجال الفقهاء، والقضاة وغيرهم فى التحكيم بين الناس، فمن الأولى أن يأذن لهم فى التحكيم فى دماء الرجال، والصلح بين المسلمين، وهذا ما فعله على، حينما استجاب للتحكيم، وأرسل أبا موسى نائبًا عنه، فأقرت الخوارج بذلك، وقالوا: أخرجت من هذه: أى الحق معك فى هذه.

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١).

**أما ثانيًا:** قاتل ولم يغنم ولم يسب فرد عليهم ابن عباس رضى الله عنهما: وأما قولكم: إنه قتل ولم يسب، ولم يغنم، أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**النَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٦].

وأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم[١].

والمعنى: أن عائشة أم المؤمنين أمكم أتريدون أن تكون سبيًا تستحلون منها ما تستحلون من سبايا المعارك، ومغنم الغنائم.

فإن قلتم: نعم، فقد كفرتم؛ لأنها أم المؤمنين وإن قلتم: ليست بأم المؤمنين فقد كفرتم لأن القرآن نص على ذلك فى قوله: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ فأنتم بين ضلالتين فاختاروا بينهما.

ثم سألهم ابن عباس رحمه الله: أقمت الحجة عليكم؟ قالوا: نعم والله ـ أقمت الحجة وأحسنت وبينت.

**أما الثالثة:** محا نفسه من أمير المؤمنين.

فالرد ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فقال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ»، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال: «والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى، اكتب يا على محمد بن عبد الله»، ورسول الله كان أفضل من على، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم،

(١) المصدر السابق.

فرجع منهم عشرون ألفًا، وبقى منهم أربعة آلاف فقتلوا[١].

قلت: نعم لله درك يا حبر الأمة، وما أكثر علمك، وفطنتك، وذكاءك، أنقذت عشرون ألفًا، بتلك الألمعية الفكرية، والنجيبة العلمية لكتاب الله، وسنة رسوله، نعم، لقد قال للخوارج: إن كنتم تنقمون على علىّ أنه لم يكتب على بن أبى طالب أمير المؤمنين، فالرسول ﷺ فى الحديبية أمر عليّا رضى الله عنه أن يمحو (محمد رسول الله)، وكتب مكانها: محمد بن عبد الله، والنبوة أفضل من الإمارة، والنبى ﷺ أعظم قدرًا ومنزلة من على رضى الله عنه.

فرجع العشرون ألفًا من الخوارج إلى حظيرة الدين والإسلام، وبقى الأربعة آلاف، أهل الجهالة، فقاتلهم على وقضى عليهم فى وقعة النهروان.

وبعد أخى الحبيب، أيها القارئ اللبيب الطيب هذا هو أمير المؤمنين على وهذه هى الشبهات التى أثيرت حوله، وهذه هى الردود القاطعة الشافية عليها، فإن علمت ذلك، فدعك من هوس المهوسين، أو ضلال الضالين، أو فساد الخوارج، والملحدين والعلمانيين، والمستشرقين، فوالله كلهم يخرجون من خندق واحد، ومشكاة واحدة، هو البغض للإسلام والحقد والكره على المسلمين، وخاصة صحابة النبى ﷺ، فهم القدوة، وهم أئمة الرشاد، وهم الواقع الجميل الرائع لتطبيق الشريعة الإسلامية.

فرضى الله عن صحابة النبى جميعًا، والخلفاء الراشدين خاصة، وحشرنا الله معهم، وبجانبهم، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

* * *

---

(١) المصدر السابق.



# الباب الرابع

## عقيدة الأمة ومسلكها
## فيما يتعلق بمشاجرات الصحابة

وفيه الفصول التالية:

**الفصل الأول: المفهوم الشرعى الثابت أن الصحابة كلهم ثقات عدول.**

**الفصل الثانى: سؤال وجواب.**

**الفصل الثالث: الصحابة الكرام ليسوا بمعصومين ولكن مغفور لهم ومقبول معذرتهم.**



# الفصل الأول

## المفهوم الشرعى الثابت أن الصحابة كلهم ثقات عدول

نعم أيها القارئ اللبيب الكريم، فهذا العنوان لهذا الباب، إنما هو ترجمة لمعتقد ثابت، ومفهوم علمى شرعى ثابت، بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة ولذا فإن الإيمان به واجب، والعمل به تعبد والخروج عنه بدعة، وزيغ وضلال.

ولذا أحب أن أشير هنا إلى أمر هام ألا وهو، أن البعض قد يخطر على ذهنه أننا حينما تكلمنا عن الصحابة، وفضلهم، وذكرنا الصحابة الذين كانوا فى قلب الفتن، ومنزلتهم، ورد الافتراءات عنهم، أو إجمالاً ما ذكرناه فى الصفحات السابقة ليس مدحًا لأصحاب النبى ﷺ وإن كانوا هم أحق بالمدح وأولى!

أو تبشيرًا لهم برضوان الله وجنته فقد تولى الله تعالى ذلك، وكذا رسوله، وأوضحنا ذلك أيما إيضاح.

وإنما: هو حكم شرعى، وأمر إلهى، وتشريع نبوى للأمة جميعًا باحترام هؤلاء الصحابة وتقديرهم، ومن ثم الاقتداء بهم.

والشاهد لهذا الحكم الوعد، والوعيد، فالوعد والرحمة، والثواب العميم لمن علم قدرهم ومنزلتهم، وعمل بذلك قولاً وفعلاً.

والوعيد الشديد، والزجر القاسى، والعذاب الأليم لمن سبهم، أو تعرض لهم بتفسيق أو تكفير، فمأواه جهنم وبئس المصير.

بل لا يتم إيمان العبد بالرسول ﷺ وتثبت محبته له، إلا بحبهم، فلا

يحبهم إلا مؤمن محب لله والرسول، ولا يبغضهم إلا منافق باغض للرسول ﷺ.

أما هؤلاء الضالون، المنحرفون، الحاقدون على الإسلام وأهله قديمًا، وحديثًا، فنقول لهم موتوا بغيظكم، هيهات هيهات أن تثير ثورة الأقزام وضجتهم، وسوء أدبهم وفعالهم فى هامات العمالقة، الذين وصلت رءوسهم إلى عنان السماء.

وتعجبنى كلمات جاءت فى «سنن أبى داود» تجمل ما أريد قوله، وإليك هذه الكلمات:

«فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر ناقد كفّوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوم، وبفضل ما كانوا فيه أولى؛ فإن كان الهدى ما أنتم عليه، لقد سبقتموهم إليه ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفى ووصفوا منه ما يشفى فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم، فجفوا وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم».

**وبعد:** ما المراد بهذا المعتقد الثابت عند أهل السنة والجماعة، أهل الحق: الصحابة كلهم ثقات عدول؟

سأسوق هذا المفهوم فى نقاط تسلسلية، عسى أن تتلاقى فى النهاية، فتكوِّن عندك صورة تؤجر عليها إن شاء الله.

**أولاً:** أجمع العلماء على أن الصحابة جميعًا عدول، قال السيوطى: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به.

**ثانيًا:** لفظ عدول: جمع كلمة عدل وهو فى الأصل مصدر، ويقال: هذا شخص عدل، أى قائم على الحق والإنصاف وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن

الكريم، كما ورد فى السنة النبوية، وكتب الفقه والتفسير وغيرها.

وعلى الإجمال نقول: إن معنى العدول، أو العدالة الثابتة للصحابة رضى الله عنهم هى تجنب تعمد الكذب فى الرواية، والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها، فإن الذنب على فرض وقوعه لا يمنع من قبولها فهم عدول على العموم.

وهذا هو المعنى الثابت عند المحدثين.

ويقول الشيخ محمود الطحان: (والصحابة كلهم عدول سواء من لابس الفتنة منهم أم لا وهذا بإجماع من يعتد به، ومعنى عدالتهم، أى تجنبهم عن تعمد الكذب فى الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها فينتج عن ذلك قبول جميع رواياتهم، من غير تكلف فى البحث عن عدالتهم، ومن لابس الفتن يُحمل أمره على الاجتهاد، والمأجور فيه لكل منهم تحسينًا للظن بهم لأنهم حملة الشريعة وخير القرون)[١].

**ثالثًا:** هذه نقولات لأئمة العلم فى بيان معنى العدالة، والإجماع على ثبوتها للصحابة رضى الله عنهم جميعًا.

يقول ابن الصلاح: تفصيله أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلاً، سالمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة[٢].

ويقول النووى: عدلاً ضابطًا بأن يكون مسلمًا بالغًا عاقلاً سليمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة[٣].

ويقول الحافظ ابن حجر فى «شرح نخبة الفكر»: والمراد بالعدالة ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى اجتناب الأعمال السيئة

(١) تيسير مصطلح الحديث (١٩٨).
(٢) علوم الحديث لابن الصلاح (٥٣).
(٣) تدريب الراوى (١٩٨).

من شرك أو فسق أو بدعة.

ويقول ابن عابدين الشامى فى «رد المختار»: العدل من يجتنب الكبائر كلها حتى لو ارتكب كبيرة تسقط عدالته، وفى الصغائر العبرة بغلبة، أو الإصرار على الصغيرة، فتصير كبيرة، ولذا قال: غلب صوابه قوله: سقطت عدالته وتعود إذا تاب ورجع[١].

**رابعًا:** يتضح من التصريحات، والتوضيحات السابقة عن الفقهاء والمحدثين، أن كلمتى عدل، وعدالة تحملان تفسيرًا واحدًا فحواه الصفة التى تطلق على المسلم العاقل، البالغ، الذى يجتنب الكبائر، ولا يصر على أى صغيرة من الصغائر، ولا يعتادها، وهذا هو المفهوم الشرعى للتقوى.

وإن لم يكن الصحابة هم أهل العدالة، والتقوى فدلونى على غيرهم رضى الله عنهم.

**سادسًا:** أذكر على مسامعك الآن أيها القارئ الطيب جمعًا من النقولات الثابتة عن أهل العلم أئمة الفقه والحديث، والغاية من هذه النقولات: إثبات معنى العدالة وتقريب مفهومها، وإثبات أن العدالة واجبة وثابتة للصحابة أجمعين:

* يقول ابن الصلاح: للصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد به فى الإجماع من الأمة، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، قيل: اتفق المفسرون على أنه وارد فى أصحاب رسول الله ﷺ[٢].

ثم سرد كثير من النصوص القرآنية والأحاديث الدالة على ذلك.

(١) رد المحتار ابن عابدين (٥٢٣).

(٢) علوم الحديث لابن الصلاح (٢٦٤).

* ويقول الحافظ ابن عبد البر فى «مقدمة الاستيعاب»: فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالتهم جميعهم بثناء الله عزَّ وجَلَّ عليهم، وثناء رسول الله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله بصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ [الفتح: ٢٩][١].

* ويقول السيوطى: وهؤلاء ـ أى الصحابة ـ أعلى من التعديل والجرح بسبب أنهم حاملو الشريعة، ولو وجد شك فى عدالتهم فإن الشريعة المحمدية ستكون قاصرة فقط على العهد المبارك للرسول ﷺ، ولن تكون عامة للأجيال التالية حتى يوم القيامة، ولا فى البلاد البعيدة، والمناطق النائية[٢].

* ويقول ابن تيمية فى «العقيدة الواسطية»: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ...**﴾ [الحشر: ١٠][٣].

* ويقول ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا قال تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الحديد: ١٠][٤].

وجاء فى «الصارم المسلول»: بعض النقولات الهامة:

* قال الإمام أحمد بن حنبل: لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا أن يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك وجب تأديبه.

---

(١) الاستيعاب على هامش الإصابة (١/ ٢).

(٢) تدريب الراوى (٤٠٠).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٤٠٣).

(٤) الدرة المضيئة، أو الأنوار البهية فى شرح الدرة المضيئة (٢/ ٢٣٨).

* وقال الميمونى: سمعتُ أحمد يقول: ما لهم ولمعاوية نسأل الله العافية، وقال لى يا أبا الحسن إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام[1].

قلت: بعد هذا الكم من النقولات والتى بينت لنا عدة أمور هامة أحب أن أذكر بها من قبيل الخاتمة الجامعة للمبحث:

**الأمر الأول:** أنّ حب الصحابة رضى الله عنهم جزء من الاعتقاد السنى، أو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

**الأمر الثانى:** هذه المحبة تستوجب التقدير والتعظيم والتبجيل، فهذا من تمام محبة المؤمن للمؤمن.

**الأمر الثالث:** أن محبة الرسول ﷺ إيمان، بل ركن من الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا بالوفاء بهذا الركن، ولا يتم الوفاء بهذا الركن إلا بعد محبة الصحابة، وإنزالهم ما يليق بهم من مقام عظيم.

**الأمر الرابع:** أن الصحابة جميعًا ثقات عدول وعلى هذا الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة والإجماع، ولا يخرق هذا الإجماع إلا مبتدع ضالٍ فاسق.

**الأمر الخامس:** ما دار بينهم إنما هو من قبيل الاجتهاد فالأقرب إلى الصواب له أجران، والأبعد عن الصواب له أجر، وكلٌّ أعد الله له الحسنى، والجنة.

* * *

---

(١) الصارم المسلول (١٩٣).

# الفصل الثانى

## سؤال وجواب

مما سبق تقديمه من إثبات منهج أهل السنة والجماعة فى أفضلية الصحابة وقدر إيمانهم، وعلو شأنهم، ومقامهم والإسلام، وهذا المنهج لم ينشأ عن تعصب أعمى، أو عصبية للعروبة مثلاً، أو أو.

إنما له أدلة لا تحصى من الكتاب والسنة والإجماع وتصريحات، ومقولات آلاف العلماء.

وهذا بالتالى يفرض سؤالاً يتبادر إلى الأذهان والعقول بصورة تلقائية، ألا وهو:

**إذا كان الصحابة جميعهم واجبى التعظيم، وإذا كانوا عدولاً، وثقات، وهم أهل التقوى والورع، والدين ولا يدانيهم فى ذلك أحد، فماذا يجب علينا اتجاههم فيما حدث بينهم من خلاف؟**

**وهل هذا الخلاف فى مجمله فيه تقليل لأقدارهم؟**

**وهل هذه الصورة النقية البيضاء تتأثر بهذه الرتوش والنقاط السوداء؟**

هذا السؤال، أو تلك الأسئلة حقيقة أراها تحتاج إلى إجابة، بل إجابات قاطعة، تقطع على أهل الأهواء والزيغ الطريق، فلا ينسبون إلى هذا الرعيل الأول، رضى الله عنهم، ما لا يليق بهم.

وإليك أيها القارئ الطيب هذه الإجابات الشافية بإذن الله تعالى، وسأسوق هذه الإجابات من خلال وجوه عديدة، بربط بعضها البعض يتكون عندك بإذن الله تعالى صورة للحق المبين.

**الوجه الأول: أساس فكرى، وتنظير علمى لا بد من بيانه.**

ألا وهو: إذا حدث خلاف فى قضية أو بعض القضايا فما هى معيارية الحكم، والاختبار.

هل نقول بصحة الأمرين المتضادين؟

أم نغلب أحدهما على الآخر؟

أم نرى ونبحث عن وجه للجمع بينهما؟

قلت علينا هنا أن نفرق بين نوع القضية، وأنها مقطوع فيها الصحة والخطأ، فمثال الحلال، حلال والحرام حرام، والسوء الواضح المصحوب بفساد النية والقصد سوء، والحق الواضح بيّن.

* وقضية أخرى يحدث فيها نوع من التشابك والتداخل النفسى، والعاطفى، واختلاط الأمور فى مفردات هذه القضية.

* وهذا النوع من القضايا ينشأ من خلال إفساد الآخر، وإيقاع الفتنة بين أطراف النزاع، وهنا يختلف اتجاه الحل، ألا وهو التأليف بين المتخاصمين والمتنازعين، مع طلب الاعتذار لكل منهما، وإن أحدهما أقرب للحق أثبتنا له ذلك، وللآخر الاجتهاد والخطأ وله الأجر، ولا سيما حسن القصد متوافر، والإفساد لم يكن القصد من النزاع. هذا هو منهج الإسلام، فى حل مثل هذه القضايا نعم فخلاصة هذا المنهج، هو الجمع بين أطراف النزاع وإحلال التآلف والأخوة بينهما، ثم الحكم وإعطاء كل ذى حق حقه، فالمصيب باجتهاد له أجران، والمخطئ له أجر مع الاعتذار له.

قلت: هذا هو التنظير الفكرى الأعلى، والأسمى عند إتحاف ذوى النجابة، والعقول السوية.

فتعالوا بنا نحدث عملية إسقاط على القضايا التى اختلف فيها الصحابة رضى الله عنهم، وخاصة التى وصل فيها الأمر إلى حد القتال، وهذا ما

سيأتى بيانه إن شاء الله.

**الوجه الثانى: مقدمة هامة، وجب إثباتها أيضًا** ألا وهى عند الحكم فى مثل هذا النوع من القضايا، والذى تنشأ، بإفساد الآخرين، وإشعال نار الفتن، وأن القضية، وأطرافها يحترقون فى مراجل الفتن.

هنا: لا يلزم بالضرورة اعتبار أحد الأطراف حقًا محضًا، والآخر باطلاً محضًا، وترك التقليل من قدر هذا، أو هذا.

ومن هذا التنظير العلمى العقدى كان حكم أهل السنة والجماعة، أن القتال الحادث بين الفريقين من صحابة النبى ﷺ، كان أولاً قتال فتنة، وكان ثانيًا: بفعل أهواء وتدبير اليهودى عبد الله بن سبأ وأعوانه من البصريين والمصريين، وأصحاب القلوب والعقول الفاسدة، معدومى الإيمان.

وكان ثالثًا: أن كل طرف اجتهد وابتغى الحق ونصرة الدين فعلىّ رضى الله عنه كان يرى أنه الأمير الذى صحت له البيعة، وأن معاوية لا بد من الإذعان له بالبيعة، سلمًا، طواعية، أو قهرًا.

ومعاوية رضى الله عنه وأتباعه، كانوا لا يرون أن المبايعة لن تتم لعلىّ بن أبى طالب حتى يتمكن من قتلة عثمان رضى الله عنه، أو تركه وجيش الشام بالنيل من قتلة عثمان، وإقامة الحد الشرعى عليهم.

وكل من الطرفين مجتهد مأجور، وإن كان علىّ أقرب إلى الحق فله أجران، ومعاوية مجتهد مخطئ له أجر، نعم، ومع هاتين الوجهتين المتقابلتين، استغل مشعلو الفتنة، السبئية، عبد الله بن سبأ، وأتباعه ذلك الخلاف وكانت الحرب فى الجمل، وصفين.

**الوجه الثالث: أنقل إجماع الأمة، على هذا الفهم وقول الإجماع حجة قاطعة، لا يضير معها مخالفة القائل مهما كان سمته، وذكره.**

فقد أجمعت الأمة أن تعظيم الفريقين واجب، ولا تجوز الإساءة لأى من

الفريقين، كما أجمعت الأمة أن عليًا كرم الله وجهه كان على حق فى وقعة الجمل، وكان معارضوه على خطأ، وهكذا كان علىّ رضى الله عنه على حق أيضًا فى حرب صفين، وكان معارضه معاوية رضى الله عنه وأصحابه على خطأ، إلا أن إجماع الأمة أيضًا رأى أن خطأهم كان خطأ اجتهاديًا، ولا يعد شرعًا ذنبًا يستحق عتابًا من الله، فإذا كان هؤلاء الصحابة قد اجتهدوا ثم أخطئوا فإن هذا الخطأ لا يحرمهم حتى من الثواب بل يكون له أجر من الله.

وبإجماع الأمة فإن اختلاف هؤلاء الصحابة اختلاف اجتهادى لا يقلل من حق شخصيات أى فريق من الصحابة، ولا يسىء إليهم، ولا يعرضهم للجرح، وهكذا فإن القول بخطأ أو صواب فريق منهم يصاحبه مراعاة واحترام مقام الفريق الآخر، كما أن كف اللسان والسكوت فى أمر مشاجرات الصحابة هو القرار الأصلح والأسلم، **كما تم التأكيد على عدم جواز الخوض فى الروايات والحكايات التى تناقلها البعض عنهم والمتعلقة بهم وذلك أثناء قتالهم معًا.**

هذا هو المعتقد الصحيح، وأشهد الله أنى مؤمن بهذا، وأعيش على حبى للنبى وصحبه، وأموت إن شاء الله على حبى للنبى وصحبه.

وإنى أحيلك أيها القارئ الطيب إلى بحث جيد فى بيان هذا المعتقد، وهذا المنهج إلى كتاب تفسير القرطبى ـ سورة الحجرات ـ قوله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...** ﴾ [الحجرات: ٩].

فقد قدم بحثًا رائعًا تضمن كثيرًا من أقوال السلف الصالح، فيما حدث بين الصحابة من مشاجرات.

**الوجه الرابع: حيثيات جامعة مؤكدة لهذا المعتقد السابق بيانه.**

أشرنا أنه لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به إذ

كانوا كلهم مجتهدين فيما فعلوه، وأرادوا الله عزَّ وجَلَّ، وهم كلهم لنا أئمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، ولا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهى النبى ﷺ عن سبهم، وإن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم، **هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبى ﷺ إن طلحة شهيد يمشى على وجه الأرض.**

**فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانًا لم يكن القتل فيه شهيدًا، وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ فى التأويل وتقصيراً فى الواجب عليه، لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل فى طاعة فوجب حمل أمرهم على ما بيناه، ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار على أن قاتل الزبير فى النار، وقوله ﷺ: «بشر قاتل ابن صفية بالنار»، وإذا كان كذلك، فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبى ﷺ فى طلحة: «شهيد»، ولم يخبر أن قاتل الزبير فى النار.**

وكذلك من قعد غير مخطئ فى التأويل، بل صواب ـ ألهمهم الله الاجتهاد، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، والإبطال أو الانتقاص من فضائلهم، وجهادهم، وعظيم غنائهم فى الدين رضى الله عنهم، وقد سئل بعضهم عن الدماء التى أريقت فيما بينهم، فقال: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.

وسئل بعضهم أيضًا، فقال: (تلك دماء قد طهر الله منها يدى، فلا أخضب بها لسانى ـ يعنى ـ فى التحرز من الوقوع فى خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبًا فيه).

قال ابن فورك: إن سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد

الولاية والنبوة.

ويقول الحسن البصرى عن قتال الصحابة بعضهم البعض: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا.

نعم فالقوم أعلم بما دخلوا فيه، ولا تقف فى بيان ذلك إنما نقول رضى الله عنهم ورضوا عنه.

**الوجه الخامس: رد قاطع على من أثبت الوزر والإثم على الصحابة رضى الله عنهم جميعًا:**

**أولاً:** قوله فاسد بالدليل النصى، والدليل العقلى، وهذا ما ندين به لله رب العالمين، وما سبق من دلائل فى المباحث السابقة يؤكد ذلك.

**ثانيًا:** هم مغفور لهم، ومن أهل الجنة ومعلوم أن الجنة لا يدخلها من كان يحمل أدنى وزر.

**ثالثًا:** نؤكد هذه الأصول السابقة بكلام أئمة الرشاد والهدى، من أمثالهم ابن تيمية رحمه الله يقول فى «منهاج السنة»: ما ذكر عن الصحابة من السيئات، كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لا يعرف الكثير من الناس وجه اجتهادهم، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم، إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك، فإنه قام الدليل الذى يوجب القول بموجبه أنهم من أهل الجنة فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحدهم على ما يوجب النار لم يقدح ما سوى ذلك فى استحقاقهم للجنة، ونحن قد علمنا أنهم من الجنة، ولو لم يعلم أن أولئك المعينين فى الجنة، لم يجز لنا أن نقدح فى استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار، فإن هذا لا يجوز فى آحاد المؤمنين الذين لم يعلم أنهم داخلو الجنة، وليس لنا أن نشهد

لأحد منهم بالنار لأمور محتملة، لا تدل على ذلك، فكيف يجوز ذلك فى خيار المؤمنين، والعلم بتفاصيل أهوال كل واحد منهم باطنًا، وظاهرًا، وحسناته، وسيئاته واجتهاداته، أمر يتعذر علينا معرفته، فكان كلامنا فى ذلك كلامًا فيما لا نعلمه، والكلام بلا علم حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كثير الخوض فى ذلك، أو أكثره كلامًا بلا علم، وهذا حرام، فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرًا من الخوض فى ذلك، بغير علم بحقيقة الأحوال[١].

قلت: وانظر لمنهاج السنة فقد عدد ابن تيمية أسباب المغفرة للصحابة، بعرض رائع، ومنهاج مبدع فذكر من أسباب المغفرة، وأثبت أحقية ذلك للصحابة وهم به أولى، فالتوبة، والاستغفار، والأعمال الصالحة، والدعاء للمؤمنين، ودعاء النبى لهم واستغفاره لهم. وكذا ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدى له، وكان ذوى هؤلاء الصحابة أكثر تقديمًا لآبائهم من حسنات واصلة لهم إن شاء الله، وما يبتلى به المؤمن فى قبره من الضغطة مع أنى موقن بأن الله معافيهم من ذلك، لأنه رضى عنهم وشهد لهم بأنهم مغفور لهم وبأنهم من أهل الجنة. . وهكذا عدد ابن تيمية كثيرًا، فاقرأ هذا المبحث فى منهاج السنة، ففيه نفع كبير.

**الوجه السادس: رد بليغ، ونقل جامع فيه إجمال لما سبق:**

وهذا الرد والقول الطيب للعلامة السفارينى فى كتابه «الدرة المضيئة» فى شرحه كلام جيد عن هذه المسألة، ونقل جزءًا منه هنا، وقد صدر الكلام ببيتين من الشعر جاء فيهما:

واحذر من الخوض الذى قد يزرى ... بفضلهم مما جرى لو تدرى
فإنه عن اجتهاد قد صدر ... فاسلم أذل من لهم هجرَ

(١) العقيدة الواسطية (٢/ ٣٨٨) بشرح الروضة الندية.

ثم شرح ذلك موضحًا فقال: «فإنه أى التخاصم والنزاع والتقاتل والدفاع، الذى جرى بينهم، كان عن اجتهاد وقد صدر من كل واحد من رءوس الفريقين مقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين، وإن كان المصيب فى ذلك للصواب، وأحدهما هو على رضوان الله عليه، والمخطئ من نازعه وعاداه، غير أن للمخطئ فى الاجتهاد أجرًا، وثوابًا خلافًا لأهل الجفاء، والعناد فكل ما صح مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه ينفى عنهم الذنوب والآثام **هذا هو السؤال، وهذا هو الجواب**.

فما شجر بين الصحابة، محمول على الجميل الحسن، فهم أهل التقى، والرحمة، وهم أحق، وأولى بالاجتهاد فهم أهل العلم، حاملو علوم الشريعة، الواحد منهم يزن الأمة علمًا، وفهمًا، ودينًا، وتعبدًا.

وذلك هو المعتقد، معتقد أهل السنة والجماعة، والذى سبق بيانه، وقد أوضح براءتهم من ادعاءات وأكاذيب المتهورين، قليلى الدين، والتى تحمل قلوبهم البغض لله وللرسول، ولصحابته، عليهم ما يستحقون من الغضب واللعنة إلى يوم الدين.

وفى ذلك المعتقد إجابة صريحة، على هذا السؤال والذى سبق بيانه فى أول الفصل.

وما نملك إلا أن نقول: يا ربى، يا إلهى العظيم هذه شهادتى أخطها بقلمى وينطق بها لسانى فى كل المحافل، والدروس، والأزمنة والأماكن التى أتواجد فيها، وأسأل الله تعالى أن يرحمنى ويتجاوز عن زلاتى، بحبى للنبى وأصحابه، وبتلك الشهادة التى أجمع عليها كل علماء أهل السنة والجماعة، وأنا على دربهم سائر، وبما اتفقوا عليه من معتقد مؤمن، أحيا على ذلك، وأموت إن شاء الله تعالى على ذلك، فاللهم تقبل، واحشرنى مع النبى الأمين وصحبه، وانفعنا بمحبتهم فى دنيانا، ويوم الدين، آمين آمين آمين.

# الفصل الثالث

## الصحابة ليسوا بمعصومين ولكن مغفور لهم ومقبول معذرتهم

حقيقة ما قدمته سابقًا من مقدمات وفوائد إنما هى لإبراز نتائج، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء جميعهم، باختلاف فئاتهم، أن المقدمات السليمة، تؤكد وتوصل إلى النتائج السليمة.

وأنا على يقين بصحة مقدماتى، لأنها مأخوذة من كتاب الله وسنة النبى ﷺ، وإجماع الأمة.

فإذا كان الحال مع ما وضحت من مقدمات فإليك بإذن الله النتائج، وأحسبها إن شاء الله نتائج سديدة سليمة، لأن دورى أيضًا فيها بيان ما اتفق عليه مجموع العلماء، بل إجماع الأمة جمعاء.

وإليك أيها القارئ تلك النتائج:

ولكنى أرجو منك قراءتها متتابعة، مترابطة فإن أولها طريق لآخرها، ولا يصح فهم واحد منها إلا بمجموعها، ولا الاقتناع بثمرتها إلا بجمعها كلها فى سلة واحدة، ألا وهى هؤلاء هم أجدادى أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم، فآتونى بمثلهم؟!!

**النتيجة الأولى**: حقيقة لا بد من إثباتها فرغم مقام الصحابة، وعلو شأنهم، إلا أنهم بشر ليسوا بمعصومين كالأنبياء، إذ يمكن أن تصدر منهم بعض الهفوات، أو أن يقترفوا بعض الذنوب فتلك حقيقة لا يمكن إنكارها.

ولكن لا يمكن أن تقرأ هذه الحقيقة مجردة بل يضاف إليها حقيقة أخرى،

ألا وهى أن صحابة رسول الله ﷺ متميزون عن عامة أفراد الأمة، وتلك خصيصة لهم دون غيرهم، والأسباب فى النتائج التالية.

**النتيجة الثانية**: جعل الله تعالى الصحابة الكرام تقاة ورعين، وذلك نتيجة لصحبتهم للنبى الكريم، حتى أصبحت الشريعة جزءًا من طبيعتهم، بل كل حياتهم وسلوكياتهم، وفق ما جاء فى الكتاب، وما يعلمهم النبى المختار ﷺ.

هذا جعل صدور أى عمل أو ذنب مخالف للشرع أمرًا نادرًا جدًا، فلا تجد لهم نظيرًا فى الأمم السابقة بما كانوا عليه من صلاح أعمالهم واقتداء بالنبى الكريم، وفداء له وتضحية فى سبيل دين الإسلام بالروح والمال والولد، وقد جعلوا حياتهم تمضى تبعًا لما يرضى الله تعالى ورسوله الكريم، وذلك فى كل ما يصدر عنهم من أعمال، وفى مقابل أعمالهم الصالحة التى لا حصر لها، والفضائل التى لا حدود لها، فإذا ما حدث وصدر عن بعضهم خطأ ما أو زلة ما، أو هفوة ما فى حياتهم فإن ذلك الخطأ، أو تلك الزلة، أو الهفوة، كأن لم تكن، وتذوب فى بحار حسناتهم، كذوبان القليل من الملح فى أنهار العطاء العذب.

**النتيجة الثالثة**: أن محبة الله تعالى لهم بينة واضحة وكذا محبة الرسول ﷺ، فقد صرح بها فى كثير من الأحاديث لكثير من الصحابة.

أورث هؤلاء الصحابة خصلة عجيبة ألا وهى التفانى فى محبة الله، ودينه، والرسول ﷺ، فأورثهم توبة نصوحًا دائمًا لا تنقطع عنهم فى جدهم وفرحهم، وسائر أعمالهم، أذنبوا أو لم يذنبوا، بل وجعل البعض منهم يقدم على تقديم نفسه للقصاص الشرعى، وإقامة الحد، بأسلوب لم تره فى أخبار وأحوال سائر الأمم، وفى قصة الغامدية، المرأة التى زنت، ورجوعها وإصرارها على إقامة الحد، خير مثال حتى قال الرسول ﷺ فى حقها: «لقد

تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم».

**النتيجة الرابعة:** أن الله محا ما حدث منهم من هفوات وسيئات مع قلتها، لما جاءوا من بحار زاخرة لا تنتهى من حسنات.

وهذا قول الله تعالى وحكمه: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤].

**النتيجة الخامسة:** أن ما قاموا به من كفاح وتضحيات بالمال والنفس والولد من أجل إقامة الدين ونصرة الإسلام، واستمرارهم مع رسول الله ﷺ فى أشد الأوقات، وعظام المحن وثباتهم بجواره أمر لا نجد له مثيلاً بين أمم العالم السابقة واللاحقة قديمًا وحديثًا.

وأتحدى الخصم الجاهل الذى تجرأ عليهم أن يأتينى بمثلهم فى ذلك العطاء والبذل بلا حدود.

**النتيجة السادسة:** أن كون أولئك الصحابة الكرام هم الواسطة والرابطة بين رسول الله ﷺ وبين الأمة جعلهم ينالون تربية أخلاقية من عند الله على يد رسول الله ﷺ فجاءت حركاتهم وسكناتهم تمضى تبعًا لتعاليم الدين الحنيف، وذلك ببركة صحبتهم للنبى ﷺ، وما تعلموه على يديه.

نعم هم أوثق الوسائط، وأعظمها صدقًا وأمانة بيننا وبين الرسول ﷺ فلقد وصل إلينا القرآن من طريقهم، وكذا السنة النبوة المطهرة بل وكل تعاليم الشريعة المطهرة.

بل أقول هى خاصية ميز الله بها أمة محمد عن سائر الأمم بذلك السند المتصل إلى النبى ﷺ وأعظم ما فى السند رأسه، والصحابة هم خير الرجال علمًا، وعملاً، وصدقًا، ونقلاً رضى الله عنهم.

**النتيجة السابعة:** الأمر الجيد والعجيب أن الصحابة هم اختيار الله تعالى، فهم الصفوة التى اختارها الله تعالى لصحبة النبى، ولنصرته، وللجهاد والذود، ولنشر هذا الإسلام بين بقاع المعمورة وبين الناس أجمعين.

فمن المنطقى أن يعينهم الله على ذلك:

بحسن التنشئة والتربية.

وبمعاونة منه لا تنقطع.

ثم مغفرة منه وعفو شامل كامل.

ثم إدخالهم جنات النعيم.

وصدق الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

**النتيجة السابعة:** بهذه الحزمة من الأسباب والسابق بيانها، نقول لم يبق لأى إنسان كائن من كان أن يتصيد فى الماء العكر، أو أن يتغمز على هؤلاء الصحابة الأطهار، أو يتتبع عوراتهم، وأنا أحذر من تتبع عوراتهم، وإلا فضحهم الله فى حياتهم وبين ذويهم.

أى حق لنا أن نذكرهم بسوء، وهم أهل التقى.

وأى حق لنا أن نتطاول عليهم وهم أصفياء الله واختياره لرسوله، ولنصرة دينه.

وأى حق لنا، ونحن أقزام مهما حسنت أفعالنا وأقوالنا بجانب عمالقة فى العبادة، والجهاد والتصدق وسائر ما يرضى الله عزَّ وجَلَّ.

وأى حق لنا وقد ثبت أنهم المغفور لهم، هم أهل الجنان، بل فى أعلى عليين، فى الفردوس الأعلى مع النبى الأمين ﷺ.

وأى حق لنا، ولقد أحبهم الله وأثبت ذلك، ورضى عنهم، وأثبت ذلك وأعد لهم جنات النعيم، فانتبه لمقامهم، ومنزلتهم عند الله أيها الغافل المسكين.

وأى حق لنا، وقد أعلنها النبى، وأثبت محبته لهم أجمعين بلا استثناء أو قيد شرط، فهم عباءة النبى ﷺ وأهله وصحبه.

وأقول لمن تجرأ عليهم، لجهله، وسقطه، وحقده، وانتزاع الإيمان من

قلبه، وسوء خلقه، وذهاب عقله، وفساد سريرته، ما أنت إلا أضحوكة يا مسكين، فى أيدى الشيطان الرجيم، وأبنائه من الملاحدة والعلمانيين، وكل من أضمر كيداً للإسلام والمسلمين.

أقول: موتوا بغيظكم، وأنفقوا أموالكم فهى حسرة عليكم.

أما أنا وسائر أهل الإسلام، فنتشرف بالصحابة ونعتز بهم، ونعلم قدرهم، وذلك عقيدة نسير على هديها، فهم أئمة الهدى، نجوم نقتدى بهم، أصحاب العقول الرشيدة، ومن رشاد عقولهم، تصح عقولنا، ويثبت إيماننا.

فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

* * *

# الباب الخامس

## وقائع وأحداث الفتنة

وفيه:

**تمهيد: بين يدى الباب.**

**الفصل الأول: وقعة الجمل دراسة وتحليل.**

**الفصل الثانى: وقعة صفين دراسة وتحليل.**

**الفصل الثالث: فضائل عمرو بن العاص رضى الله عنه.**

**الفصل الرابع: فضل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.**

**الفصل الخامس: واقعة التحكيم دراسة وتحليل.**



# التمهيد

## بين يدى الباب

أردت إثبات عدة مقدمات هامة فى ذلك التمهيد والغاية من هذه المقدمات، تهيئة النفس، لما سيأتى بيانه من أحداث، وترتيب إحداثيات العقل على المنهج القويم منهج أهل السنة والجماعة، وتوطئة بين يدى الموضوع، ستكون إن شاء الله تعالى معينة لى ولك، معينة لى كى أطمئن أن ما أردت بيانه قد وصل إلى شغاف قلبك، ومسامع عقلك ولبك، تقريب وتوضيح الأحداث القادمة بين يديك لتكون سهلة المنال.

**وإليك هذه المقدمات:**

- **المقدمة الأولى:**

سبق البيان أن أعظم المناهج فى أحداث هذه الفتنة، هو منهج أهل السنة والجماعة، فهو الأعلم، والأسلم، والأحكم، بل هو الحق والصواب، وذلك شرحًا، وتناولاً وتحليلاً، وكتابة.

نعم فقد تناول السلف الصالح هذا الموضوع بضوابط رائعة، تجعل الحق فى نصابه، وتلجم جماح أهل الباطل عن غيهم.

وتلك الضوابط تراها فى المنهج، وألفاظ التحمل والأداء، وأقصد بالتحمل الروايات جميعها، والأداء التعبير عنها، وبيان المراد منها وأسوق مثالاً رائعًا لهذا.

**حقيقة: لفت نظرى، وأنا أغوص فى أمهات الكتب أن أفذاذ العلماء كالطبرى وابن كثير وغيرهم قد استعملوا لفظ «المشاجرات» للتعبير فيما**

وقع بين الصحابة من أحداث.

**وكما جاء فى كتب المعاجم واللغة لفظ مشاجرة مشتقًا من «شجر»، ويعنى الشجرة، تمتد أغصانها وتنتشر فى كل جهة، وتتداخل مع بعضها، والأصل واحد، بل وحينما تتعارض الأغصان، وتصطدم الفروع، فهو تصادم وتعارض الرحمة، والكمال، نعم هذا التصادم وتلك المعارضات بين الأغصان زادت الشجرة جمالاً وبهاء، واتساع رقعة الظل فيها.**

**وكذا الحال بين الصحابة، حتى فى حالة الحرب بينهم فهم بشر، ولكن قمة الجمال والكمال فى هذه البشرية هى المحاولة لرأب الصدع، ولم الشمل، بعد أن أشعل أصحاب الفتن اليهود بقيادة عبد الله بن سبأ نار الحرب بينهم.**

بل تعجب معى حينما يستعر القتال بينهم يلجئون إلى بعضهم البعض، بل ويدخل المقاتلون فى جيوش بعضهم البعض، وتلك هى الرحمة.

ما رأينا فى قتالهم تعذيبًا، ولا نكاية، بل وإذا دعاهم داعٍ إلى الصلح رأيتهم أسرع الناس إليه كما حدث فى الجمل، وبات الفريقان خير ليلة، إلا أن دعاة الفتنة قاتلى عثمان أشعلوا نار الحرب بين الفريقين كما سيأتى بيانه.

وهذا أراه شرطًا يشير إلى أمر هام ألا وهو الأدب فى تناول تلك الأحداث كما استعمل السلف الصالح لفظ المشاجرة.

**• المقدمة الثانية:**

ملاحظة ومشاهدة من خلال اطلاعى على كتب التاريخ الموثوق بها كالطبرى والبداية والنهاية، وتاريخ ابن خلدون، والكامل للمبرد والكامل لابن الأثير وغيرهم.

وخلاصة هذه المشاهدة، والملاحظة أنهم تناولوا أحداث الفتنة على سبيل الإجمال ولم نر تفصيلاً مؤذيًا مثلاً لوقعة الجمل، ولا وقعة صفين، وإنما

رأينا منهجًا إجماليًا وألفاظًا مراعى فيها الأدب، وبما يليق بصحابة النبى ﷺ، وهم على حق فى ذلك، فالكف فيما شجر بين الصحابة هو الأولى والأصوب بل ما عداه باطل، وإنما حينما تعرضوا لهذه الأحداث أرادوا بيان الحق من الباطل، والرد على أهل الزيغ، والذى لولا والله أنهم أثاروا الشبه، ما فتح مثل هذا الموضوع، وإنما أثاروا الشبه فوجب الرد عليهم.

ولذا فإنى إن شاء الله سائر على دربهم، وهل هناك مسلك خير من مسلكهم؟

نعم سنتناول الموضوع، أو واقعة الجمل وواقعة صفين على سبيل الإجمال مع بعض الجمل التحليلية لبيان نقاط هامة، بها يتضح الحق إن شاء الله.

**• المقدمة الثالثة:**

دور اليهود، وعلى رأسهم اليهودى اللعين عبد الله بن سبأ اليهودى، وسعيه هو واليهود والحاقدون على الإسلام لإشعال نار القتال والحرب من الصحابة وخاصة فى صفين والجمل.

**• المقدمة الرابعة:**

الدور الذى مثله قتلة عثمان فى تأجيج نار القتال والحرب فى الجمل وصفين وذلك لأنهم علموا يقينًا لو أن عليًا رضى الله عنه اتفق مع طلحة والزبير فى الجمل، أو معاوية فى صفين لكان الدور قد حان عليهم، ولأخذ منهم ثأر عثمان، وأقيم عليهم الحد والقصاص فجعلوا نار الحرب مستعرة دائمًا.

**• المقدمة الخامسة:**

بيان أمر يخص تدوين وكتابة التاريخ الإسلامى، ألا وهو أن هذا التاريخ، لم يدون إلا بعد زوال دولة بنى أمية، والكل يعلم تمامًا كم من العمر قامت، فقد ناهزت عما يقرب من مائتى عام ولكن الإشكالية هنا أن

هناك دولاً عديدة قامت بعد دولة بنى أمية لا يسر أمراء تلك الدول إلا الإشهار والتكذيب، والتوبيخ لهؤلاء الولاة ـ خلفاء بنى أمية ـ بل جعلوا سبهم ولعنهم من الدين، بل أرادوا مسح هذه الدولة من على الوجود مع أنها دولة أسست للإسلام مجدًا لا أكون قد أبعدت النجعة إذا قلت إن خلفاء بنى العباس لم يستطيعوا الحفاظ على الملك الذى ورثوه من دولة بنى أمية.

**ولذا فقد كتب التاريخ ثلاث طوائف:**

(١) **أول هذه الطوائف:** طائفة دونت التاريخ بالكتابة تقربًا، وتزلفًا إلى الكارهين دولة بنى أمية كالعباسيين، والشيعة، وكان هؤلاء الكتاب ينشدون العيش والتنعم على حساب الحق، قد دونوا التاريخ بأخطائه المقصودة، والتى للأسف يتناقلها من أصابهم مرض العجالة فى البحث، أو من يمشى على دربهم، ووفق أهواء نفسه.

(٢) **الطائفة الثانية:** من كتبوا التاريخ من مبدأ اعتقادهم الفاسد، وظنوا أنه لا يكمل إيمانهم إلا بسب الصحابة، وتشويه الخلافة الراشدة وإعلان النفير على الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان، وسب وتكفير معاوية، وغيرهم وهؤلاء هم الرافضة فدسوا ودونوا فى التاريخ ما يناقض الواقع ووضعوا فى التاريخ ما أملته عليهم قلوبهم السقيمة، وعقولهم الخربة وعقيدتهم الفاسدة، وبما أملى عليهم الشيطان.

وبصنع مقارنة بين المسعودى فى تاريخه، وبقية التواريخ كالطبرى مثلاً ينجلى لك ما أقول.

(٣) **الطائفة الثالثة:** وهم أهل الحق، أهل السنة أصحاب الحديث الذين أحسنوا المنهاج فى التحدث عن هذا التاريخ، فأوردوا جميع الروايات الصحيحة والسقيمة والمخالفة والمؤيدة، وجمعوها كلها ورجحوا الصحيح منها على الباطل، ونسبوا كل أثر إلى قائله، وبهذا يكونون قد وضعوا

أساسًا للبحث العلمى والتنقيب والدراسة من هذا الركام الهائل من الأخبار.

فمن أحسن الله إليه ووفقه للتفريق بين ضعيف تلك الروايات وصحيحها واستخراج الحقيقة الناصعة من تلك الروايات بما فتح الله عليه من علم فهؤلاء هم الذين سيقومون بإحياء التاريخ وإعطائه الصورة اللائقة به.

وأسأل الله تعالى أن نكون من هؤلاء، وعلى طريق السلف الصالح آمين.

**• المقدمة السادسة:**

وهى آخر المقدمات لهذا الباب، ألا وهى: لماذا تخيرت هذا الترتيب الذى عليه الباب؟ حقيقة أردت بهذا الترتيب عدم الإخلال بالتسلسل الزمنى للأحداث، ولكن عرضتها بطريق تكتمل به الصورة الصحيحة للأحداث، وطبع صورة سليمة للفهم حين قراءة هذه الأحداث، فأنا عرضت لك فضل الصحابة عمومًا، والذين طالتهم أحداث الفتنة، عثمان وعلى ورددنا الشبهات التى أثيرت حولهم، ثم أتبعت ذلك بالباب الرابع الذى بين لك إجمالاً وتفصيلاً معتقد أهل السنة والجماعة فى الصحابة، ثم أنا أعرض عليك بعد هذا التمهيد السابق كله من الكتاب، أحداث الجمل، وصفين إجمالاً، مع التحليل العلمى الذى يؤيد معتقد أهل السنة والجماعة.

ثم إنى رأيت الأحداث قد طالت صحابيين من الأطهار ألا وهما أبو موسى الأشعرى، وعمرو بن العاص الحكمان، فبينت مدى تقوى هؤلاء وأهلية كل منهما للدور الذى أنيط به، وأن المكر والخديعة لم يكن من صفات عمرو ولا حدث منه، وأن أبا موسى الأشعرى أجل وأعظم من أن يخدع.

كل ذلك قبل حادثة التحكيم، فهذا الترتيب يجعل التسلسل الاستيعابى للأحداث يدور وفق مراد الحق، ألا وهو منهج أهل السنة والجماعة.

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت وأصبت، وعلى الله السداد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

# الفصل الأول

## وقعة الجمل دراسة وتحليل

قبل البدء فى العرض الإجمالى لوقعة الجمل، أحب أن أشير إلى نقاط هامة، أعتمدها كأساس للبنيان حين الحديث عن الجمل، وحين الحديث عن صفين أيضًا.

وهذه النقاط أذكرها تباعًا وعلى سبيل الاختصار، وأرجو منك أيها القارئ اللبيب الطيب أن تدرك أن المغزى من وراء ذكرنا هذه النقاط، هو ضبط المنهج الفكرى حين الحديث عن أحوال، وأحداث الفتنة.

**• النقطة الأولى:**

أن الأوْلى والمتفق عليه بين عموم علماء الأمة أن كف اللسان، والسكوت هو أسلم الخيارات والقرارات فى قضية مشاجرات الصحابة، وأن هذا الكف هو قمة العدل والإنصاف، بل هو ذلك العقل السديد، النابع من وراء قلب عنده إيمان قويم، وذلك لأسباب ستتضح إن شاء الله تعالى من خلال التعريج على هذه النقاط.

**• النقطة الثانية:**

ما أشرت إليه آنفًا له سند متين، وركن شديد ولا سيما أن من ذكر هذا المنهج علماء الأمة الأجلاء، وجهابذة أئمة الإسلام، ولقد تخيرت قولاً للحسن البصرى، والحسن البصرى كان قريب العهد من الصحابة، فهو الذى تربى على أيديهم وعاش فى أكنافهم، وإذا كان الحال كذلك فكيف بمن بعُد به الزمن والسنون عن مجريات الأحداث، قال رحمه الله وذلك كما

ورد فى القرطبى وغيره: سئل الحسن البصرى عن قتالهم، فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا.

ولذا يقول المحاسبى: (فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا، ولا نبتدع رأيًا منا ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عزَّ وجَلَّ إذ كانوا غير متهمين فى الدين ونسأل الله العافية)[1].

**• النقطة الثالثة:**

أذكرها تأييدًا وتوثيقًا لهذا المنهج السابق ألا وهى: أن هناك ضوابط هامة عند قراءة التاريخ ذكرت منها البعد الزمنى بين الحدث، ورصد الحدث، مع غياب التوثيق الجيد، المصحوب بإسناد متصل، معلوم يقينًا الأسباب التى بها يعدل رواته، وتقبل روايتهم.

وهذا تراه ـ أى هذا الضابط ـ قليلاً فى كتب التاريخ فينبغى أن تكون هذه الروايات موضوعة على ميزان دقيق هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكذا إجماع الأمة، فإذا ما سحبنا هذه القاعدة الهامة على مشاجرات الصحابة خرجنا بنتيجة رائعة صحيحة، وقد سبق ذكرها عند ذكر معتقد أهل السنة والجماعة فيما وقع بين الصحابة من مشاجرات، فى الباب السابق، ألا وهى أن كلا الفريقين مجتهد المصيب له أجر مضاعف، والمخطئ له أجر غير آثم.

**• النقطة الرابعة:**

حينما ابتعد الزمن عن مجريات الأحداث وكثر اللغط، والروايات، وصارت الروايات ركامات هائلة ترى كُتَّابَ التواريخ الثقات حاولوا جمع

(١) تفسير القرطبى (سورة الحجرات) (١٦/ ٣٢٢).

قدر المستطاع من الروايات، ووضعها على موازين أهل السنة والجماعة، فالروايات صارت شائعات وأن جمع هؤلاء المؤرخين كالطبرى وغيره رأوا أنه من الأمانة التاريخية جمع هذه الروايات، لأن جمعها وإن كانت باطلة أحرى وأدعى لدراستها، وتمحيصها، وبيان الغث من السمين فيها، مع إثبات أنهم قد نفضوا، ونقدوا كثيراً منها.

فنخرج هنا بفائدة، أن من الغبن والظلم النقل العشوائى غير المدروس، أو المنقح من كتب هؤلاء الأفذاذ لأنه بذلك ظلم وجار على تاريخ الصحابة الأطهار ثم جعل الجهلاء يسيئون الظن بهؤلاء العلماء نعم فهناك كثير من الروايات فى كتبهم، لم تكن على درجة من الثقة والاعتماد، ليبنى عليها معتقد أو فكر، وإنما كان السرد لبيان الباطل فيها.

**• النقطة الخامسة:**

التأكيد على أن الرواية التاريخية لا تشكل معتقداً، مهما كان قائلها، ما لم يؤيدها بنص من كتاب، أو سنة، أو يضعها على ميزان الجرح والتعديل، فقد كتبوا التاريخ لجمعه، وجمع مادة حققوا بعضها، وتركوا للعلماء خلفهم تكملة المهمة الكبرى ألا وهى بيان الحق والباطل منها على ميزان أهل السنة والجماعة، وأذكر مثالاً وهو أنهم على سبيل المثال ذكروا أحداث الجمل وصفين على سبيل الإجمال، وذكروا أثناء ذلك معتقد أهل السنة والجماعة، وسبقوا كل هذا بفضائل ومناقب الصحابة.

نعم ألا يشعرك هذا أيها القارئ الكريم بأنهم أرادوا بيان منهج التحقيق القويم لهذه الروايات فمن الجور للتاريخ، وللعلماء الكرام الذين كتبوه نقل الروايات، وترك ضوابط الحكم عليها.

**• النقطة السادسة:**

التحذير ثم التحذير من الاعتماد الكلى، الأعمى على مناهج المستشرقين

فى البحث، فعلماؤنا أصدروا قرارهم فى أحداث الجمل وصفين بناء على نصوص الكتاب والسنة فأثبات ذنب أو خطأ لأحد يكون بناء على تهمة حقيقية، وقد صدرت براءة هؤلاء الصحابة عند الله من الخطأ والتهمة.

ولهذا لا يجوز لأحد أن يجعل من أحداثهم، وأعمالهم سلمًا للبحث، مدعيًا أن هذا بحث علمى مجرد وكيف نصدقه بأنه بحث علمى مجرد، وهو لم يضع الكم الهائل من الروايات على ميزان الكتاب والسنة، فهذا جهل بحثى، وتطاول، وتعالم، فكيف نثق بأبحاث هؤلاء وهم فقدوا الأمانة العلمية البحثية، وأول الذين يتهمون، ونحذر من كتاباتهم، وقراءتها، بعفوية أو عشوائية هؤلاء المستشرقين، والذين أنكروا ضبط التاريخ على الأصول الدينية هكذا عمومًا، وخاصة تاريخ الصحابة على منهج الكتاب والسنة، فكيف نثق بهم وبأبحاثهم.

وإن حاولوا تبرير ذلك تحت مسميات ومدعيات البحث العلمى نقول: هذا شأنكم فأنتم لا تؤمنون بالإسلام، ولا الكتاب ولا السنة، والرسول ومنزلته، وقدر أصحابه على بل أنتم تتخذون ذلك طريقًا لتشويه الكتاب والسنة، والطعن فى الحديث وها أنتم طعنتم ابتداءً فى الرجال الذين نقلوهما.

فكلامكم باطل، لأن معتقداتكم باطلة، وفى قلوبكم حقد دفين على الإسلام ورجالاته، علمنا ذلك مما سطرته أقلامكم، ونحن لكم بالمرصاد، وكل علماء الأمة الأثبات كانوا وما زالوا لكم ولضلالكم بالمرصاد.

إلا أن الأمر يختلف بالنسبة لأى مسلم ولا يوجد هنا أى مجال للمسلم فى أن يطعن فى صحابة النبى ﷺ إلا إن كان مصابًا بالسم الذى تجرعه، من أساتذته المستشرقين، فهو وهم فى سلة واحدة، وإن تغيرت المسميات، والأسماء فمن فقد عقله، وتوقف عن التفكير، وَبَعُد عن الدين وسقط فى فخاخ هؤلاء المستشرقين، وخرج علينا يدعونا بأن الفقد الثقة بجماعة

الصحابة رضوان الله عليهم، قلنا لهم: جهلاء استقوا جهلهم من جهلاء، فلا ثقة بيننا، وبينكم، وكلامكم كلام حاطب ليل يمحوه ضوء الشمس.

**• النقطة السابعة:**

أعلنها، كما أعلنها العلماء الكرام، وأقول للمنافقين، والملحدين وللمستشرقين، إننا بحمد الله مسلمون، نؤمن بالله والرسول، وبقدر وعظمة الصحابة الذين أشاد بهم الله ورسوله، ورفع من شأنهم القرآن وأعلن عن صدقهم، وبراءتهم مما نسب إليهم.

وأقول مؤمنًا، وداعيًا لذلك: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨].

ولا طريق ثالث، فأنتم طلاب، ودعاة ضلال وإفساد ونحن بعقيدتنا وإسلامنا دعاة وطلاب حق وشتان ما بين المقامين.

**• النقطة الثامنة:**

اعلم يرحمك الله أنه لا يخفى على خاف أن أعداء الإسلام ما أرادوا إلا الفتنة أن تسرى فى جسد الأمة الواحد، وأراد الله أمرًا كان مفعولاً، فأحداث موقعة الجمل تبين لك وتظهر أن هذه الفتنة التى حدثت من السبئية وأشياعهم، وهم فى الأصل يهود أظهروا إسلامهم، وأبطنوا الكيد للإسلام والمسلمين، وعلى رأسهم ذلك الكافر عبد الله بن سبأ اليهودى، ومجموع الطوائف التى التفت حول دار عثمان، وقتلته، إنما أرادوا الكيد للإسلام، والمسلمين، وأشعلوا نارًا، يعلم الله كم كان ضررها.

والدليل لما علموا أن عليًا وطلحة والزبير، وهم الأطراف المتنازعة فى موقعة الجمل، اجتمعوا واصطلحوا خشى هؤلاء على أنفسهم أن يقام عليهم الحد فى قتل عثمان، فتعمدوا إشعال نار الحرب فى الجمل، بعد أن تم الصلح بواسطة الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى.

وإليك أخى القارئ عرضًا مجملاً لأحداث الجمل، مصحوبًا بتعليقات سيكون فيه نفع إن شاء الله تعالى.

ذكر الإمام أبو بكر بن العربى فى سفره النفيس «العواصم منْ القواصم»: ويروى أن فى تغيبهم خروجهم إلى البصرة ـ قطع الشغب بين الناس فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم(١).

وواضح من قول أبى بكر بن العربى أن الغاية من خروج طلحة، هو جمع الكلمة، والاتفاق على طريقة لرأب الصدع، ومحاولة النيل من قتلة عثمان، واجتماع الطرفين كاد أن يقع لولا أن السبئيين أحبطوه، يقول الشيخ محب الدين الخطيب: أصحاب الجمل جاءوا فى أمر قتلة عثمان، ولم يجيئوا إلا لذلك، إلا أنهم أرادوا أن يتفاهموا عليه مع على، لأن التفاهم معه هو أول الوصول إلى ما جاءوا إليه(٢).

وقد ذكر لنا الطبرى فى تاريخه رواية تبين لنا بداية نشوب القتال فى الجمل، وهذه الوقعة لم يكن فيها على بن أبى طالب بل كانت من عثمان ابن حنيف والى البصرة، فقد أصر على الخروج لقتالهم، وردعهم، ولم ينتظر عليّا رضى الله عنه.

يقول الطبرى: «ولما وصل أصحاب الجمل إلى الحضير ـ على أربعة أميال من البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف عمران بن الحصين الخزاعى، وصاحب راية النبى ﷺ على خزاعة يوم الفتح، ليعلم له علمهم، فلما عاد إليه وذكر له حديثه مع أصحاب الجمل، قال له عثمان: أشر علىَّ يا عمران، فقال له: إنى قاعد فاقعد، فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتى أمير

---

(١) العواصم من القواصم (١٥٢).

(٢) تعليقه على العواصم (١٥٢).

المؤمنين عليًّ، وأشار عليه هشام بن عامر الأنصارى أحد الصحابة المجاهدين الفاتحين بأن يسالمهم حتى يأتى أمر علىّ، فأبى عثمان بن حنيف، ونادى فى الناس فلبسوا السلاح، وأقبل على الكيد، فكانت العاقبة فشله، وخروج الأمر من يده إلى أيدى أصحاب الجمل ووقع ابن حنيف فى أسر الجماهير فنتفت لحيته، ثم أنقذه أصحاب الجمل، فانسحب إلى معسكر علىّ فى الثعلبية ثم فى ذى قار»[1].

وهنا أشير إلى منهج الطبرى، ومؤرخى أهل السنة والجماعة حينما ساق القتال الأول فى الجمل بين عثمان بن حنيف، وبين جيش عائشة، لم نر وصفًا لقتل، أو وصفًا لشنائع، وإنما ساق الحدث إجمالاً، وهذا هو المنهج الأصوب كما قدمنا.

وهنا ينبغى الإشارة إلى بعض الأشخاص الذين أشعلوا نار الحرب فى صفين، ومدى علاقتهم باليهودى ابن سبأ، منهم حكيم بن جبلة، وهو أحد قتلة عثمان، وكان موجودًا فى البصرة، وكان هو اليد المشعلة لتلك الفتنة فى البصرة والمحركة لموقعة الجمل.

فمن هو حكيم بن جبلة: هو حكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد شمس القيس، أصلهم من عمان وسواحل الخليج الفارسى، وتوطن بالبصرة بعد تمصيرها، وكان حكيم هذا شابًا جريئًا، وكانت الجيوش الإسلامية التى تزحف نحو الشرق لنشر الدعوة والفتوح تصدر من البصرة والكوفة، فكان حكيم يرافق هذه الجيوش، ويجازف فى بعض حملات الخطر ما تفعل كتائب الكاماندوس فى هذا العصر وقد استعملته جيوش أمير المؤمنين عثمان فى إحدى هذه المهمات عند محاولة استشكاف الهند، ويقول الطبرى: إن حكيم بن جبلة كان إذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس،

(١) الطبرى فى «تاريخه» (٥/١١٦، ١٧٤، ١٧٥).

فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم، ويفسد فى الأرض، ويصيب ما شاء ثم يرجع، فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة، إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدًا - فحبسه - فلما قدم عبد الله بن سبأ البصرة - وقد كان موقوفًا فى البصرة نزل على حكيم بن جبلة، واجتمع إليه نفر، فنفث فيهم سمومه، فأخرج ابن عامر عبد الله بن سبأ من البصرة، فأتى الكوفة، فأخرج منها، ومن هناك رحل ابن سبأ إلى الفسطاط ولبث فيه وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم[١].

وذكر الطبرى أيضًا: أن السبئية لما قرروا الزحف من الأمصار على مدينة رسول الله ﷺ - كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر، وهم مقسمون إلى أربع فرق، والأمير على إحدى هذه الفرق حكيم ابن جبلة، ولما حصبوا[٢] أميرًا وهو يخطب على المنبر كان حكيم بن جبلة واحدًا منهم[٣].

قلت: ولا بد هنا من الإشارة إلى ملاحظات طرحتها هذه الرواية وغيرها.

(١) حكيم بن جبلة لا عهد له ولا ذمة، بل هو جاف القلب، وقاسيه، وقاتل أصحاب الذمة، ومفزع أهل القبلة، القتل عنده متعة، يسطو على الناس وأموالهم.

(٢) لذلك أمر عثمان رضى الله عنه عبد الله بن عامر والى البصرة بحبسه، ومنعه من الخروج من البصرة، لكف الأذى ومنع الشر الحادث منه، وهذا يوضح لنا لماذا سعى فى الفتنة، ولماذا أراد قتل عثمان.

---

(١) الطبرى (٥/ ٩٠)، البداية والنهاية، وكذا الكامل لابن الأثير.

(٢) أى رموا عثمان بالحصبى والحجارة الصغيرة وهو يخطب على المنبر.

(٣) الطبرى (٥/ ١٠٤) فى تاريخه.

(٣) كان داعيًا نشطًا للخروج على عثمان، كارهًا له والدليل، أنه رماه بالحصى، وهو يخطب على المنبر لما دخل المدينة، ودليل آخر، كان قائدًا للذين خرجوا من البصرة، لقتل عثمان، ولا يكون قائدًا إلا إذا كان على رأس الدعوة لقتل عثمان.

(٤) وهذه هى أهم نقطة ألا وهى علاقته الوطيدة بعبد الله بن سبأ اليهودى وإلا لماذا اختاره ابن سبأ من دون أهل البصرة، وهذه الصلة لم تنقطع بينه حتى لما أخرجه عبد الله بن عامر إلى الكوفة، ولما ارتحل منها إلى مصر.

وتعالوا بنا نذكر بعضًا من دوره فى إشعال حرب الجمل بين علىّ رضى الله عنه، وطلحة والزبير.

لقد حفظ لنا الطبرى وصفًا دقيقًا نقله سيف بن عمرو التميمى عن شيخه محمد بن عبد الله بن سعد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفى، عن موقف أصحاب الجمل فى هذه الوقعة وإسراف حكيم بن جبلة فى إنشاب القتال، قال: وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة ابن مازن ثم حجز الليل بين الفريقين، وفى اليوم التالى انتقل أصحاب الجمل إلى دار الرزق، وأصبح حكيم بن جبلة وعثمان بن حنيف مجددى القتال، وكان حكيم بن جبلة يطيل لسانه بسب أم المؤمنين عائشة، ويقتل من يلومه على ذلك من رجال ونساء، ومنادى عائشة يدعو الناس إلى الكف عن القتال فيأبون حتى إذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح[1].

قلت: يتبين من هذه الرواية السابقة أن عليًا وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم جميعًا ـ لم يريدوا القتال ولكن جهالة وضلالات حكيم بن جبلة، وتسرع عثمان بن حنيف والى علىّ على البصرة، كانا سببًا مباشرًا فى إشعال القتال فى الجمل.

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ١٧٦، ١٧٧).

وانتبه معى، فقد حدث حدث هام، ألا وهو أن عليًا حضر إلى البصرة، وكان القعقاع بن عمرو التميمى قد أتم الصلح بين علىّ وبين أهل الجمل فاستجاب كلا الفريقين للواسطة الحكيمة، ولكن أهل الفتن وعلى رأسهم حكيم بن جبلة خافوا على أنفسهم فأشعلوا الحرب ليلاً وسرًا فيما بينهم، فظن علىّ أن أهل الجمل قد غدروا به، وظن أهل الجمل أن عليًا وجنده غدر بهم، وهم جميعًا بريئون من هذا.

وقد روى الطبرى ما يثبت ذلك.

وكان الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة المعقولة، فاستجاب له أصحاب الجمل وأذعن علىّ لذلك، وبعث علىّ إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو التميمى فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر. فأرسلا إليه: إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس[1].

وقد حفظ لنا الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» وصفًا جيدًا، فقال: فاطمأنت النفوس، وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث على عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا محمد بن طلحة السجاد إلى على، وعدلوا جميعًا إلى الصلح، وباتوا فى خير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، فقد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب فى السر، واستسروا بذلك، وما يشعر بهم جيرانهم وانسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا[2].

---

(1) الطبرى (٥/ ٩٩٩).

(2) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٩)، الطبرى فى تاريخهم (٥/ ٢٠٢، ٢٠٣)، منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٨٥).

وهكذا أنشبوا الحرب بين علىّ وأخويه الزبير، وطلحة، فظن أصحاب الجمل أن عليًا غدر بهم وظن علىٌّ أن إخوانه غدروا به، وكل منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك فى الجاهلية، فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن.

وهنا لا بد من إثبات أمر هام ألا هو أنه لما وقع القتال، عظم المصاب وتبين للفريقين خطر أصحاب الفتنة، وأنهم هم الذين أشعلوا القتال فدعت عليهم السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ولعنتهم وأمَّن الناس جميعًا، فلما سمع على بن أبى طالب تلك الأصوات سأل فأخبر أن أم المؤمنين عائشة تدعو وتلعن قتلة عثمان، الذين أشعلوا نار الفتنة، ونار الحرب فى الجمل، فدعا معهم، وأمَّن على دعائهم بل ولعن أيضًا قتلة عثمان.

وبهذا تتضح براءة أصحاب النبى ﷺ من كلا الفريقين فى هذه الحرب الضروس، من أن يطال أحدهم بسوء، أو يساء به الظن.

ويؤيد هذا رواية ابن عساكر حينما ترجم لطلحة بن عبيد الله قال: وقالت عائشة لكعب بن الأزدى: خل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله فادعهم إليه ودفعت إليه مصحفًا، فأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون، أن تجرى الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعلىّ من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقدامًا فلما دعاهم كعب رشقوه رشقًا واحدًا بسهم فقتلوه، ثم رموا أم المؤمنين عائشة فكان أول شىء أحدثته حين أبوا: أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل علىّ يدعو ويقول: «اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم»[١].

**وأحب التأكيد على نقاط عدة:**

**الأولى:** النار المستعرة والتى أشعلت نار الحرب بين الفريقين فى الجمل هم السبئية، والغوغاء الذين كانوا يسيرون معهم كالبهائم العجماوات، بل والله

---

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٨٥).

البهائم أعز وأكرم.

**الثانية:** النية المبيتة فى إفساد الجو، والعلاقة بين كبار الصحابة فى الفريقين، وقتل كل من يدعو إلى الإصلاح، ولم الشمل، والدليل رشقهم الصحابى كعبًا بالسهم فقتلوه حينما دعاهم لتحكيم كتاب الله فيهم.

**الثالثة:** التأكيد الجازم على أنه لم يكن ثمة خلاف بين أمير المؤمنين على ابن أبى طالب والزبير وطلحة، وأنهم كانوا أميل إلى جمع الكلمة، ولكن دعاة الفتنة أفسدوا كل محاولات الإصلاح، بغيهم وضلالهم.

والدليل: أن عليًا رضى الله عنه كان يزعهم، ويحثهم على وقف القتال، والاجتماع على كتاب الله، وهم كانوا يأبون إلا الإقدام على القتال.

وأختم الكلام عن موقعة الجمل، بعدة روايات تبرهن على سمو أخلاق الصحابة، وعلو شأنهم، حتى حينما طالتهم أحداث الفتن، بل كانوا أحب الناس بعضهم إلى بعض.

يقول الحافظ ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» عن الشعبى: رأى على بن أبى طالب طلحة ملقى فى بعض الأودية فنزل فمسح التراب عن وجهه، ثم قال: عزيز على أبا محمد أن أراك مجندلاً فى الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عجرى وبجرى.

والمعنى كما قال الأصمعى: «السرائر والأحزان التى تجول فى جوفى، وقال: يا ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»[1].

قلت: انظر إلى هذه الرواية، وتدبر، هل هذا الحزن الذى ألمَّ بعلى رضى الله عنه، على مقتل أخيه طلحة، والذى اشتكاه إلى ربه، يمثل عداءً بين الصحابة، أو سخطًا، أو صراعًا على السلطة، أو حقدًا أو كراهية، كما يدعى الإلحاديون والعلمانيون والمزورون للتاريخ.

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٨٦، ٨٧).

بل هى أخوة، وصحبة، ولقاء فى الجنة إن شاء الله.

وأيضًا ذكر ابن عساكر عن أبى حنيفة مولى طلحة: دخلت أنا وعمران بن طلحة على علىٍّ بعد الجمل فرحب بعمران وأدناه، وقال: إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

وكان الحارث الأعور من دعاة الفتنة ـ وسيأتى ترجمة له ـ عند الحديث عن صفين ـ فهو من أشعل نار الحرب مع حكيم بن جبلة وغيره فى الجمل وصفين، بل هو من قتلة عثمان.

ثم كان بعد ذلك على رأس الخوارج بعد أن أقام عليهم ابن عباس الحجة فرجع منهم الكثير كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله.

الحاصل: قال الحارث الأعور: الله أعدل من أن نقاتلهم، ويكونون إخواننا فى الجنة، فقال له على بن أبى طالب: قم إلى أبعد أرض وأسحقها من هو ذا إذ لم أكن أنا وطلحة فى الجنة.

ثم قال له ابن الكواء ـ وهو من مشعلى الفتنة ومن قتلة عثمان ـ: الله أعدل من ذلك، فقام إليه على بن أبى طالب بدرة فضربه، وقال: «أنت لا أم لك، وأصحابك تنكرون هذا»[1].

قلت: لا أستطع المواصلة قبل التذكير بأن هؤلاء المتجرئين على الله ورسوله، وصحابة النبى ﷺ، ما هم إلا خوارج معوجو الفكر، كفروا وضلوا بعد إسلامهم، ولك أن تنظر إلى مدى بغضهم للصحابة، ومدى ما أصابهم من أمراض نفسية وعقدية، حينما عارض على بن أبى طالب الحارث الأعور وابن الكواء معارضة علىّ بقولهم الله أعدل من ذلك، وحينما أراد الإمام العالم، أمير المؤمنين، بيان فساد معتقدهم، أصروا على

(١) تاريخ دمشق (٧/ ٩٢، ٩٣) وغيره.

عصيانهم، وأكدوا ذلك بقولهم: الله أعدل من ذلك.

ولك أن تتخيل معى إذا كان هؤلاء الغوغاء وموتورو العقل، وفاسدو الإيمان هم الأغلبية والكثرة وبيدهم مقاليد الأمور، فهل تستبعد منهم أن يفشلوا فى إشعال الحرب بين على وطلحة والزبير، بل أسوق إليك رواية رائعة ذكرها الطبرى فى تاريخه.

بعد القتال، وانقضاء أمر قدره الله وكان مفعولاً.

ذهب على إلى أم المؤمنين عائشة، فقال: (غفر الله لك)، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح.

فأنزلها دار عبد الله بن خلف وهى أعظم دار فى البصرة على سيبة بنت الحارث أم طلحة وزارها ورحبت به وبايعته، وجلس عندها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة ـ أى يقومان بسب عائشة ـ فأمر القعقاع بن عمرو التميمى أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة، وأن يجردهما من ثيابهما ففعل، ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد، ومتاع، وأرسل معها أربعين امرأة وسيَّر معها أخاها محمدًا[1].

وفى موضع آخر: ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء علىّ رضى الله عنه ـ فوقف على الباب وخرجت من الدار، وقالت: (يا بنى لا يغتب بعضكم بعضًا، إنه والله ما كان بينى وبين على بن أبى طالب فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه لمن الأخيار، فقال على بن أبى طالب: «صدقت والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة» وسار معها مودعًا أميالاً)[2].

(١) الطبرى تاريخه (٥/ ٢٢٣).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٢٢٦).

**ولى هنا وقفات، أحب أن أشاركك معى فيها أيها القارئ الطيب، المحب لله ورسوله، وصحابة نبيه ﷺ:**

**الوقفة الأولى:** مدى نقاء سريرة، وطهارة قلب كُلا من عائشة، وعلىّ، وأنه يعرف فضلها وقدرها، وهى تعرف قدره، وفضله، بل شهدت بذلك، فقالت: (وإنه لمن الأخيار).

وشهد لها علىّ بأنها زوجة النبى فى الدنيا والآخرة.

**الوقفة الثانية:** رد قاطع على دعاة الشبه، والمتجرئين على علىّ، وعائشة، بأن خروج عائشة يوم الجمل كان انتقامًا من علىّ رضى الله عنه لما حض النبى على طلاقها يوم حديث الإفك، وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا.

ولقد ردت عائشة على ذلك، بأن عليًا من الأخيار وأن ما دار بينها وبين على، إنما هو عادة يجرى بين النساء وأحمائها - أى أقارب الزوج - ولا يعنى هذا أن تقود جيشًا لقتال على، انتقامًا منه، فوالله ما يقول بهذا إلا غبيًا لا يعى من أمور الدين والتاريخ شيئًا.

وأقول: لقد أقرها علىّ على هذا التبرير، فقال: (صدقت والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة).

**الوقفة الثالثة:** بينت هذه الروايات أن القتال قتال فتن، قهر عليه الصحابة، وطالتهم ناره، وحاولوا جاهدين إطفاء نار الفتن، ولمّ الشمل، ورأب الصدع ولذا سأختم ذلك بمسك الختام، ألا وهى رواية، ونقل لابن تيمية، قال: إن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج للقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها فيه مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج أولى.

فكانت كلما ذكرت تبكى حتى تبل خمارها، هكذا عامة الصحابة ندموا،

وتأسفوا على ما وقعوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير رضى الله عنهما، ولم يكن لهؤلاء قصد القتال، والأرجح أن القتال وقع قصراً عنهم. اهـ.

نعم: القتال كان بفعل فتنة، وإشعال حرب الوقيعة بين الصحابة، ولقد نجح السبئية، ومن تابعهم من الغوغاء لعنهم الله تعالى فى ذلك.

وأقول ختامًا: لقد سقت أحداث الجمل إجمالاً، كهدى سلفنا الصالح، وأنا لم أصف قتالاً، وإنما حاولت تبرير الأحداث، وتحليلها وجعل الأمور فى نصابها، لنأخذ العبرة والدرس، وعلينا جميعًا أن ننجح فى الاختبار ولا تسوقنا الأوهام، وإنما نسير تباعًا لمعتقد أهل السنة والجماعة، وأن الصحابة رضى الله عنهم كلهم معذورون مجتهدون، المصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر، وأنهم كلهم ثقات عدول، وأن الفتنة وراءها اليهود، وأشياعهم.

وأن الغوغاء، وسفاسف الناس، إذا ما علوا، وكان زمام الأمور فى أيديهم، يحدث ما حدث ولكن اعلم يقينًا أن جميع المسلمين للصحابة محبون وعلى هدى نبيهم، وسلفهم سائرون، ولبراءة الصحابة من الذنب، وللمغفرة الثابتة لهم من ربهم معتقدون، وعلى ذلك إن شاء الله يحيون، ونسأل الله تعالى بعد الممات النجاة بذلك المعتقد آمين.

* * *

# الفصل الثانى

## وقعة صفين دراسة وتحليل

قبل الدخول فى أحداث صفين أحب أن أشير إلى إضاءات سريعة، تجعل من أحداث صفين نموذجًا للفهم الجيد للإسلام، وللخلاف بين المسلمين إذا حدث ووقع وتمحص كل مسلم فى معتقده، فمن أراد الله به خيرًا مالت نفسه، واستقر عقله، وتملكته قناعة تامة، بفضل الصحابة، ومنزلتهم، وحمل ما جرى بينهم على الجميل الحسن.

**• الإضاءة الأولى:**

التأكيد على المعنى السابق، وأسوق فى هذا المقام نقلاً رائعًا لفضيلة الشيخ محب الدين الخطيب، قال رحمه الله: أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن عليًا ومعاوية ومن معهما من الصحابة - أصحاب رسول الله ﷺ - كانوا جميعًا على حق، وكانوا مخلصين فى ذلك، والذى اختلفوا فيه، إنما اختلفوا من اجتهاد، كما يختلف المجتهدون فى كل ما يختلفون فيه.

وهم لإخلاصهم فى اجتهادهم يثابون عليه، فى حالة الإصابة أو الخطأ، وللمصيب أضعاف ثواب المخطئ، وقد يخطئ بعضهم فى أمور ويصيب فى أخرى، وكذلك الآخرون، ومن مرق عن الحق فى إثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق، وإن قاتل معها والتحق بها، لأن الذين تلوثت أيديهم وثيابهم وقلوبهم بالبغى الظالم على أمير المؤمنين عثمان استحقوا إقامة الحد الشرعى عليهم، سواء استطاع ولى الأمر، أن يقيم عليهم الحق، أو لم يستطع، وفى حالة عدم استطاعته فإن

مواصلتهم تسعير الحرب والقتال بين صالحى المسلمين كلما أحسوا فيهم بالقرب من الإصلاح والتآخى، كما فعلوا فى موقعة الجمل، وما بعدها فى صفين، يعد إصرارًا منهم فى الاستمرار فى الإجرام ما داموا على ذلك. اهـ

**• الإضاءة الثانية:**

التأكيد على فضل ومنزلة كلتا الطائفتين، علىّ وصحبه، ومعاوية وصحبه، وإنما نريد هنا أصحاب رسول الله ﷺ، الذين كانوا من الطائفتين، ومن سار معهم على سنته من التابعين، وترى أن عليًا كان مبشرًا بالجنة، وأعلى مقامًا عند الله ورسوله والمؤمنين من معاوية ـ خال المؤمنين ـ وصاحب رسول الله ﷺ، وكلاهما من أهل الخير، وإذا اندس فيهم طوائف التخريب والفتنة، فإنه من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

وسبحان الله الفئة الباغية، قتلة عثمان، والذين التفوا حول دار عثمان، وقتلوه، والذين شكلوا معظم جيش على بن أبى طالب، خرجوا عليه بعد التحكيم وسبحان الله قتلوا جميعًا، فى النهروان، وغيره، وفى سنوات عديدة لم يبق من قتلة عثمان إلا النذر اليسير، ورأى الصحابة بأعينهم، أن دم عثمان لم يهدر، وأن قتلته جميعًا أقيم عليهم الحد، أو ماتوا فى القتال والمعارك.

**• الإضاءة الثالثة:**

هناك فهم خاطئ سَرَى فى أذهان وعقول كثير من الناس، بأن فئة معاوية، هم المارقون، الناكثون للعهود، وهذا خطأ من وجوه:

**أولاً**: ارتكازهم على بعض الأحاديث التى تشير إجمالاً دون تحديد للمارقين وغيرهم، إنما هى أحاديث ضعيفة، ومن ذلك روايتان:

الرواية الأولى: ما أخرجه ابن حبان بسنده إلى على بن أبى طالب، قال: لقد عهد إلىَّ رسول الله ﷺ فى قتال الناكثين، والقاسطين والمارقين.

والرواية الثانية: رواية عمار بن ياسر حينما أراد صفين، قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والفاسقين والمارقين.

**ثانيًا**: أذكر إليكم علة الضعف في الحديثين:

الرواية الأولى: رواية علي بن أبي طالب، عند أبي يعلى في مسنده (٣٩٧) من طريق الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة، قال: سمعت عليًا يقول...

والربيع بن سهل مجمع على ضعفه.

قال البخاري: (يخالف في حديثه).

وقال أبو حاتم: (هو شيخ) في ضعفه.

وقال أبو زرعة: (منكر الحديث).

وقال ابن معين: (ليس بشيء)، وضعفه الدارقطني.

والرواية الثانية: رواية عمار بن ياسر، عند الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٤١) عن أبي سعيد عقيصاء، لقب أبي سعيد دينار التابعي، كما في «نزهة الألباب» لابن حجر، قال: سمعت عمارًا ونحن نريد صفين.

وأبو سعيد هذا متروك، وأبو يعلى أورده وضعف سنده، وكذا في المطالب العالية، ضعف سنده.

**ثالثًا**: وعلى فرض أن الحديث مقبول ـ وهذا لا يصح، فقد فسره العلماء الجهابذة، بغير هذا التفسير الظالم لصحابة النبي ﷺ.

فقد قال ابن حجر الهيثمي في كتابه «تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبي سفيان»، مع المدح الجلي، وإثبات الحق لعلي، قال بعد ذكر الحديث: وهؤلاء هم الخوارج، الآتي بيان قصتهم، لا معاوية وأتباعه بحق من الصاحبة، ومن هو على سنتهم؛ لأن عليًا وإن أُذِن له في قتال هؤلاء

أيضًا، لكنهم لا يسمون فاسقين، ولا مارقين[١].

**رابعًا:** أذكر نقلاً لابن كثير[٢]، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضى إفريقية، المتوفى سنة ١٥٦هـ وكان رجلاً صالحًا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وذكر أهل صفين، فقال: «كانوا عربًا يعرف بعضهم بعضًا فى الجاهلية فالتقوا فى الإسلام حقًا على الحمية، ونصرة الإسلام، فتصايروا واستحيوا من الفرار وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء فى عسكر هؤلاء، وهؤلاء يستخرجون قتلاهم فيدفنونهم».

قال الشعبى: هم أهل الجنة لقى بعضهم البعض ولم يفر أحد من أحد.

وأعتقد أن فى الإيضاح السابق، أن معاوية وصحبه ـ من الصحابة ـ لم يكن لهم يد فى إشعال الفتنة، ولم يكونوا الفئة الباغية.

**• الإضاءة الرابعة:**

التحذير من السرد المجرد للأحداث دون تحقيق، وأذكر على ذلك مثالاً: كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ـ للحميرى[٣] ـ حينما ترجم لصفين المكان ـ ذكر الأحداث تباعًا وبسرعة، ونقل من الأقوال ما يجعل القارئ بعيدًا عن المنحى السديد منهج أهل السنة والجماعة، فإذا أردنا تغليب فئة علىّ، وأن الحق معه، فلا يستلزم ذلك القدح فى معاوية ومن معه.

**• الإضاءة الخامسة:**

أذكر هنا حديثًا صحيح الإسناد، ذكره البخارى وغيره، فيه بيان لهذه الفتنة، ولم يعب النبى ﷺ على أحدهما بل أثبت أن دعوتهما واحدة، والمعنى أن سبب حدوث القتال بينهما كل فى محله.

---

(١) تطهير الجنان واللسان عن ثلب معاوية بن أبى سفيان (١٨٤).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٣).

(٣) الروض المعطار فى خير الأقطار (٣٦٤) للحميرى.

أخرج البخارى فى «صحيحه» عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة»[١].

وقد سميت وقعة صفين على اسم المكان الذى التقى فيه الجيشان.

فصفين موقع، أو موضع بالعراق معروف على الفرات، ويقال فيه: صفون أيضًا، فهو صفين فى حال النصب والجر، ومنهم من يقول صفون فى الرفع، والأغلب صفين على التأنيث، وهى صحراء ذات كدى، وأكمات، وبها كانت الوقيعة العظيمة بين علىّ ومعاوية رضى الله عنهما[٢].

ذكر الطبرى فى تاريخه: (لما انتهى علىّ من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب، أرسل جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية فى دمشق يدعوه إلى طاعته، فجمع معاوية رءوس الصحابة، وقادة الجيش، وأعيان أهل الشام، واستشارهم فيما يطلب على، فقالوا: لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان، أو يسلمهم إلينا، فرجع جرير إلى علىّ بذلك فاستخلف علىّ على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر، وخرج منها فعكسر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى ويبعث غيره إلى الشام، فأبى، وبلغ معاوية أن عليًا تجهز وخرج بنفسه لقتاله، فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضًا بنفسه، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين، وتقدم علىّ بجيوشه إلى تلك الجهة، وكان علىّ فى مائة وعشرين ألفًا وجيش معاوية فى تسعين ألفًا، وبدأ القتال فى ذى الحجة سنة ٣٦هـ بمناوشات، ومبارزات، ثم تهادنوا فى المحرم سنة ٣٧هـ،

---

(١) أخرجه البخارى (كتاب العلم باب من سئل علمًا وهو مشتغل فى حديثه) (٥٩) (٦٤٩٦)، وشرح السنة (٤١٢٧)، وأحمد فى المسند (٢/ ٣٦١)، والحميدى فى مسنده (١١٠٤)، وكنز العمال للمتقى الهندى (٣٨٤٠٢).

(٢) الروض المعطار فى خير الأقطار (٣٦٣).

واستؤنف القتال بعده، وقتل فى هذه الحرب سبعون ألفًا وكانت الوقائع تسعين وقعة فى ١١٠ أيام، وامتازت بنبل الشجاعة فى القتال، ونبل التعامل والاتصال عند التهادن، والراحة، ثم كان التحكيم يوم ١٣ من صفر سنة ٣٧ على أن يعلن الحكمان حكمهما فى رمضان بدومة الجندل، بمكان منها يسمى أذرح)[١]. اهـ.

**قلت: ويجب الوقوف عند هذا النقل لإيضاح وبيان عدة مسائل هامة:**

**أولاً:** معاوية رضى الله عنه لم يكن يريد القتال، ولم يبدأ القتال، وإنما خرج من الشام حينما تحرك علىّ رضى الله عنه بجيوشه، إلى النخيلة لقتال أهل الشام.

وأؤكد هذا الأمر بروايات عدة:

منها: قول ابن تيمية فى «منهاج السنة»: لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء[٢].

**ثانيًا:** خروج علىّ رضى الله عنه، إنما هو اجتهاد منه، وهو أراد إلزام معاوية وأهل الشام بالبيعة له، وأرى أن عليًا أراد بذلك لمّ الكلمة، وجمع الشمل، ولكن فاته رضى الله عنه أن أهل الشام جميعًا وفيهم جمع كبير من الصحابة رضى الله عنهم قد رفضوا البيعة له حتى يتم تسليمهم قتلة عثمان، أو يقيم الحد عليهم، وهو معذور فى أنه لا يستطيع فعل أى الأمرين.

وهنا أذكر تحليلاً جيدًا لهذه الأحداث، قاله الشيخ محب الدين الخطيب، فقال: (ولما طلب علىّ معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوا احتكموا إليه فى قتلة عثمان، وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم إليهم فيقيموا عليهم حد الله، وقد اعتذر علىٌّ بأن قتلة عثمان

---

(١) الطبرى فى تاريخه (٥/ ١٩٦)، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٧/ ٨٩، ٩٠).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٢١٩).

صاروا معه إلى العراق وأصبحوا فى معقل قوتهم، وعنجهية قبائلهم؛ فكان علىّ يرى بينه وبين نفسه أن قتلهم يفتح بابًا لا يستطيع سده بعد ذلك، وقد انتبه إلى تلك الحقيقة الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى وتحدث بها إلى أم المؤمنين عائشة وصاحبى الرسول ﷺ، طلحة والزبير فأذعنوا لها، وعذروا عليًا، ووافقوه على التفاهم معه على ما يوصلهم إلى الخروج من هذه الفتنة، فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين، فالمطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون، لأنهم يطالبون بحق سواء كان من أصحاب الجمل، أو من أهل الشام، وتقصير علىّ، فى إقامة الحد كان ضرورة معلومة قائمة، ولكن كان من مصلحة الإسلام، أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين، وكان سبط رسول الله ﷺ الحسن بن على كارهًا خروج أبيه من المدينة إلى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع أهل الشام، ولو أن عليًا لم يتحرك من الكوفة استعدادًا للقتال لما حرك معاوية ساكنًا.

### ثالثًا: سؤال هام ويحتاج إلى إجابة:

ألا وهو: هل كان عدم مبايعة معاوية لعلىّ ورفض البيعة له، ومن ثم الخروج لقتاله رأيًا شخصيًا، أم إجماع أهل الشام بما فيهم الصحابة على ذلك؟

قلت: نعم والإجابة السليمة الصحيحة، تضبط هذه الأمواج العاتية، والتى تعصف بفكر الإنسان فتجعله فكرًا ناضجًا، يعلم للصحابة قدرهم وفضلهم ومنزلتهم.

نعم معاوية لم يكن اجتهاده شخصيًا، أو هو رأى فرد رآه، وقهر أهل الشام عليه، وكيف يقهر أهل الشام؟ وأهل الشام فيهم جمع كبير من صحابة النبى ﷺ، والذين كانوا يرون عدم مبايعة علىّ إلا بعد النيل من

قتلة عثمان، والدليل لما أرسل علىّ جرير بن عبد الله إلى الشام يأمر معاوية بالرضوخ لبيعته، جمع معاوية رءوس الصحابة وقادة الجيش وأعيان الشام، واستشارهم فأجمع هؤلاء وقالوا: لا تبايعه حتى يقتل قتلة عثمان، أو يسلمهم لنا.

إذًا لماذا هذا التحامل الشديد على معاوية، وإظهاره أنه الذى تسبب فى هذه الحرب، وأنه سعى للفتنة ولقتال علىّ، ألا فليتق هؤلاء ربهم، ويعلنوا الحق ولا يحيدون بظنونهم إلى الباطل، ولقد شارك معاوية، جمع كبير من صحابة النبى فى رفضه البيعة، فإن لمتم معاوية، يلام أيضًا هذا الجمع، وكذلك أقول إن ترك البيعة كان اجتهادًا، مشروطًا بالتمكين من قتلة عثمان.

ولا سيما أن معاوية كان يملك جيشًا قويًا، يبلغ تسعين ألفًا، كلهم تحت رايته، وطوع أمره بعكس الحال مع على رضى الله عنه.

**رابعًا:** أرى من خلال رواية الطبرى، مدى جراءة قتلة عثمان، واستمرارهم إشعال نار القتال بين علىّ ومعاوية فى صفين.

واستدل بهذه الإشارات السريعة:

(١) أن الأشتر، وهو من قتلة عثمان، كان يقود قتلة عثمان، وهو الذى أجبر عليّا، وأخذ بيده وبايعه الناس، وكان زمام أمر الجيش الفعلى فى يده ويد أتباعه.

(٢) لو نظرنا إلى عدد الوقعات التى قالها أصحاب كتب التاريخ، وجدنا (٩٠) وقعة فى ١١٠ أيام، يعنى هذا أن هناك نارًا مؤججة للحرب، لا ينطفئ وقودها، وهذا يظهر جليًا من خلال الإحصائية السابقة، ومعلوم من كان هو المؤجج لهذه الفتنة، اليهود، وأتباعهم من الزنادقة والفسقة قتلة عثمان، وكيف لا يؤججون نار القتال، وهم يخشون أن يقام عليهم حد قتلهم لعثمان، ولا سيما أن المطالبة برءوسهم لم تنقطع، بل زاد الطلب

لها، فها هو الزبير وطلحة، وبعدهم جميع أهل الشام فكان تسعير قتال الفتنة، هو طوق النجاة بالنسبة لهم.

(٣) وسيأتى بيان آخر يدل على صحة التحليل السابق أن عليًا لما عرض عليه التحكيم لكتاب الله ورفعت المصاحف كانت الموافقة، وعدم التمنع.

نعم أيها القارئ الطيب، لقد كان أمير المؤمنين عليٌّ فى موقف لا يحسد عليه، القتلة سفلة الأمة اجتمعوا معه فى جيش واحد، قربهم من بلادهم وقبائلهم، وخشية علىّ من العنجهية والتعصب القبلى جعلا عليًا، مكتوف اليدين، وزاد الأمر سوءًا أن المطالبة بدم عثمان لا تنقطع، وأن المطالب الآن جيش قوى، وبلد عظيم، ألا هى بلاد الشام.

والأخطر من ذلك قتلة عثمان، وكان يقودهم ذلك المأفون الأشتر، هذا الرجل كان قوى الشكيمة، مسموع الكلمة، حتى إن عليًا ليخشى من فتنة قوله، وسماع الغوغاء له.

وأسوق لك رواية تؤكد ذلك:

يقول الطبرى: ألم يسخط الأشتر على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب بعد موقعة الجمل، لأنه ولى ابن عمه عبد الله بن عباس على البصرة، ولم يولها الأشتر، ففارقه غاضبًا، ولحق به علىّ متلافيًا ما يكون منه من الشر، ثم ألم يكن السلاح الذى قتل به عثمان، هو نفس العقل واليد والسلاح الذى قتل به علىّ، ألم يكن هؤلاء الخوارج تحت قيادة الأشتر وهم قتلة عثمان وعلىّ؟

سبحان الله وتعالى، ولله درك يا علىّ كم أنا مشفق على حالك، وأنت فى هذا الخضم الهائل من الفتن تريد جمع الكلمة، ولمّ شمل الأمة، والغوغاء من قتلة عثمان، لك ولمحاولاتك بالمرصاد، قتلوا عثمان، وأشاعوا عنك ما ليس فيك، ولا يصح أن ينسب إليك.

والله إنك لمعذور، معذور حيث إنك لم تستطع أن تقيم الحد على هؤلاء الفسقة القتلة، وهنا أعود لنقطة عذر عليّ رضى الله عنه، فى عدم استطاعته النيل من قتلة عثمان ولما لا أعذره، ولما استتب الأمر لمعاوية رضى الله عنه بعد بيعة الحسن بن على له رضى الله عنهما، لم يتتبع قتلة عثمان، ولم يتمكن منهم، ونحن أيضًا نلتمس العذر له، إما لضعفه، أو الخوف من زعزعة الخلافة الناشئة، أو خوفًا من اشتعال الفتنة مرة أخرى، وهذا هو الراجح عندنا، فإن كنا نعذر معاوية، فعليّ أولى بالعذر من معاوية حيث كان معاوية لما بويع بالخلافة، كان إجماع المسلمين عليه، وشوكة معاوية أقوى حينذاك من شوكة عليّ.

وإن معاوية كان يقتل قتلة عثمان بعد التثبت والتحقيق والمحاكمة لا جورًا، ولا تهمة.

بل أقول: إن الله حقق الحق على يد على بن أبى طالب، فبعد واقعة التحكيم انفصل الخوارج ـ قتلة عثمان ـ عن عليّ وهنا حانت الفرصة جلية لعليّ فى القصاص من قتلة عثمان وقاتلهم عند النهروان وهو ما أخبر عنه النبى ﷺ فى الحديث الصحيح: «ستمرق من الإسلام مارقة تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»[١].

فانظر رحمك الله قوله ﷺ: «أدنى الطائفتين إلى الحق».

وأرجو منك ربط هذا الحديث بالحديث الآخر لعمار: «ستقتلك الفئة الباغية»[٢].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٣٤٤، ٤٦٦٧، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤)، وأبو داود (٤٧٦٤) وغيرهم.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخارى (٤٤٧، ٢٨١٢، ٢٩١٥، ٢٩١٦)، وأحمد فى «مسنده» (٣/ ٩١)، وقال الحافظ فى «الفتح» (١/ ٥٤٣): تقتل عمارًا الفئة الباغية، وقد روى حديث عمار جماعة من الصحابة منهم قتادة بن النعمان، وأم سلمة، وأبو هريرة، وهؤلاء عند الترمذى، وعند النسائى من =

نعم فقاتل عمار لم يكن معاوية وصحابة النبى ﷺ، وإنما هم قتلة عثمان، وذلك لسببين:

**الأول:** أن جمهور علماء السنة أن معاوية والصحابة فى الشام مجتهدون ولهم أجر، وأن عليًا أدنى إلى الحق كما قال ﷺ، وله أجران.

**السبب الثانى:** إشارات العلماء واستنباطهم متفق على المعنى السابق، يقول فضيلة الشيخ محب الدين الخطيب موضحًا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة: «وقد كان معاوية يعرف من نفسه أن لم يكن منه البغى فى حرب صفين؛ لأنه لم يردها ولم يبتدئها، ولم يأت إلا بعد خروج علىّ من الكوفة وضرب معسكره بالنخيلة، وفى اعتقادى الشخصى أن كل من قتل بأيدى المسلمين منذ مقتل عثمان فإنما إثمه على قتلة عثمان؛ لأنهم فتحوا باب الفتنة، ولأنهم واصلوا تسعيرها، وتسعير نارها؛ ولأنهم أوغروا صدور المسلمين بعضهم على البعض، فكما كانوا قتلة عثمان، فإنهم كانوا القاتلين من قُتِل بعده، ومنهم عمار بن ياسر، ومن هو أفضل من عمار كطلحة والزبير، إلى أن انتهت فئتهم بقتالهم عليّا نفسه، وقد كانوا من جنده، وفى الطائفة التى كان قائمًا عليها، فالحديث من أعلام النبوة.

والطائفتان المتقاتلتان فى صفين كانتا طائفتين من المؤمنين فعلىّ أفضل من معاوية، وعلىّ ومعاوية من أصحاب الرسول ﷺ ومن دعائم دولة الإسلام، وكل ما وقع من الفئتين فإنما على مشعلى نار الفتنة لأنهم السبب الأول فيها.

فهم الفئة الباغية التى قتل بسببها كل مقتول فى موقعة الجمل، وصفين وما تفرع منها». اهـ.

---

= طريق عثمان بن عفان، وحذيفة وغيرهم. والحديث حكم عليه الذهبى بالتواتر فى «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٢١)، وقال: فهو متواتر، حيث ذكر عن واحد وثلاثين صحابيًا.

انظر رحمك الله إلى هذا التعليق المثالى الرائع القائم على علم غزير وفقه رشيد، والذى يوضح فقه هذا الخلاف الذى حدث بين الصحابة، ونحن نميل إلى هذا الرأى لأننا نحسبه رأيًا رشيدًا واسع المنظور، صادق اللهجة قوى الحجة.

وأسوق هنا نقلاً لابن تيمية فيه نفع كبير:

يقول فى «منهاج السنة»: لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداءً بل كان من أشد الناس حرصًا على أن لا يكون قتال، وكان غيره أحرص ما يكون على القتال منه، فقتال صفين للناس فيه أقوال منهم من يقول كل منهم مجتهد مصيب كما يؤيد ذلك كثير من أهل الفقه والحديث، ومنهم من يقول: المصيب أحدهما لا بعينه، وهذا قول طائفة منهم، ومنهم من يقول: علىّ هو المصيب ومعاوية مجتهد مخطئ له أجر[1].

وأختم ذلك بمسك الختام، تذكرة بقول محب الدين الخطيب، فقال: «أهل السنة المحمدية يدينون لله أن عليًا ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا جميعًا من أهل الحق، وكانوا مخلصين فى ذلك، والذى اختلفوا فيه، إنما اختلفوا عن اجتهاد، كما يختلف المجتهدون فى كل ما يختلفون فيه وهم لإخلاصهم فى اجتهادهم مثابون عليه فى حالة الإصابة والخطأ، وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطئ وليس بعد الرسول ﷺ بشر معصوم عن أن يخطئ.

وأذكرك بقولين هامين: يقول الحسن البصرى رحمه الله: قتال شهده الصحابة أصحاب محمد وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا.

ويقول عمر بن عبد العزيز: إنهم صحابة كرام هم أول الأمة، وهم

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٢١٩، ٢٢٠).

قدوتها، كانوا على صراط مستقيم.

ونحن على دربهم سائرون، وبحبهم إلى ربنا متعبدون، وبذلك متقربون، فهم الصفو الأمين، بهم أعز الله الإسلام، ورفع من شأن المسلمين، بعدالتهم مؤمنين، وعن العيب مبرئين، وعلى ما يرضى ربهم كانوا مقبلين، وأن مذهبنا هو الإمساك عما يشجر بينهم وحمل ما جرى بينهم على الجميل الحسن، فهم أحباب الله تعالى، وأصفياء الرسول الأمين لولاهم لضل الناس، وذهبوا فى كل واد هائمين، نشروا الإسلام، فى الأرض مصلحين.

فرضى الله عنهم، ورضوا عنه، واحشرنا يا ربنا برفقتهم، وأن نكون بجوارهم مع نبينا فى الجنة إن شاء الله آمنين، آمين آمين.

* * *

# الفصل الثالث

## فضائل عمرو بن العاص رضى الله عنه

قبل البدء فى الحديث عن عمرو بن العاص رضى الله عنه، أحب أن أذكر بعض الإرشادات الهامة، والتى تنفعنا حينما نقرأ التاريخ.

● **الإرشاد الأول:**

علينا أن نفرق بين الرجال حينما نحكم عليهم، فجيل الصحابة رضى الله عنهم قد ميزه الله تعالى، وخصه بفضائل، لكونهم حملة هذا الدين بعد النبى ﷺ، وأن هذه الخصائص قد سبق بيانها فى فضل الصحابة ومنزلتهم.

وأذكر هنا بحديث النبى ﷺ الذى ورد عن عبد الله بن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ: أى الناس خير؟ قال: «أقرانى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته»[١].

فإن كان الحال كذلك علينا أن نكون أمناء حين الحديث عن صحابة النبى ﷺ، وأن نجنب هؤلاء الصحب الطاهر تلك الهواجس والظنون التى قد تجول بخواطر البعض، وخاصة من كتبوا عن الصحابة، وهم أبعد الناس علمًا وخلقًا عن فقه الإسلام الرشيد.

وسأسوق بعض النماذج للدلالة على ذلك:

وقد سبق بيان معتقد أهل السنة والجماعة فى صحابة رسول الله ﷺ، ولا بد أن يكون هذا هو المنطلق الذى يخرج منه منهج الحديث والخطاب عن الصحابة.

---

(١) سبق تخريجه.

**• الإرشاد الثانى:**

حين أخذ الروايات من كتب العلماء، والمصادر الأمهات علينا أن نضبط هذه الروايات على موازين دقيقة، وليست هذه من وحى عقولنا، وإنما هى موازين الكتاب والسنة، وعلم الجرح والتعديل، وعلم أصول الحديث، دراية ورواية، لأن هؤلاء الأئمة الأعلام حينما ذكروا الروايات نرى منهم ما يشير إلى نقدها، نقدًا علميًا دون التوسع فى ذلك.

ولكى يتضح الأمر، علينا ضرب مثال لذلك:

رواية ذكرها ابن عساكر وغيره، كالذهبى فى «تاريخ الإسلام» و «سير أعلام النبلاء» وغيرها، وملخص هذه الرواية أن عمرًا مال إلى معاوية طلبًا للدنيا وبعدًا عن مرضاة الله والآخرة.

وسأذكر هذه الرواية، ثم أشير إلى نقد سريع لها.

قال: حدثنا عبد الوهاب بن يحيى بن عبد الله بن الزبير، حدثنا أشياخنا، أن الفتنة لما وقعت ما زال عمرو بن العاص معتصمًا بمكة حتى كانت وقعة الجمل، فلما كانت ـ بعث إلى ولديه عبد الله ومحمد، فقال: قد رأيت رأيًا ولستما باللذان تردانى عنه، ولكن أشيرا علىّ، إنى رأيت العرب صاروا عزين (فريقين) يضطربان، فأنا طارح نفسى بين جزارى مكة، ولست أرضى بهذه المنزلة، فإلى أى الفريقين أعمد؟ قال عبد الله: إن كنت لا بد فاعلاً فإلى علىّ، قال: ثكلتك أمك، إنى إن أتيته، قال لى: إنما أنت من المسلمين، وإن أتيت معاوية، خلطنى بنفسه وشركنى فى أمره، فأتى معاوية[1].

وأستطيع الجزم هنا بفساد هذه الرواية وبطلانها من عدة وجوه:

**الوجه الأول:** الجهالة فى سند الرواية، فقد قال: عن أشياخنا، ولم

(١) ابن عساكر (١٣/ ٢٦٠)، وسير (٣/ ٧١، ٧٢).

يسمهم لنا، وهذه الجهالة تجعل السند ضعيفًا لا يقبل، ويصير سندًا مردودًا لا يعمل به، وحتى لو كانت الجهالة واردة عن ثقات، فإنها أيضًا لا تقبل، كما هو مقرر فى علم مصطلح الحديث.

**الوجه الثانى:** عبد الله بن عمرو من المعتزلين فى الفتنة، وكان أولى الناس بذلك، وكان ناصحًا دائمًا لأبيه باعتزال الفتنة، وكان أثره واضحًا بدليل أن أبيه أى عمرو بن العاص ذهب إلى فلسطين حين مبدأ الفتنة، وحادثة الجمل.

**الوجه الثالث:** يفسد هذه الرواية شهادة النبى ﷺ فى عمرو بن العاص: «أسلم الناس وآمن عمرو»، كما سيأتى بيان ذلك فى فضائله، والردود كثيرة، وأكتفى بذلك.

**• الإرشاد الثالث:**

علينا أن نحذر من بعض الكتاب المعاصرين الذين حقيقة تجرءوا على الصحابة، وجعلوا هؤلاء الأطهار رضى الله عنهم نموذجًا تشريحيًا لما فى عقولهم من ثقافات مخلطة مهجنة، وأوهام عجيبة، وتحليلات فاسدة، أعاذنا الله من ذلك، وحتى لا أكون متجنيًا سأسوق نموذجًا لأحد هؤلاء، أعد دراسة كاملة عن عمرو بن العاص وسماه بطلاً، وإذا قرأت ما فى داخل الكتاب يصيبك الغثيان[1].

وسأنقل نموذجين لذلك، نموذج عن عائشة أم المؤمنين، والنموذج الثانى عن عمرو بن العاص موضوع فصلنا.

**النموذج الأول:** حديثه عن عائشة، وخلافها مع على، وفيه فهم مغلوط وقلب للحقائق.

---

(١) انظر: كتاب عمرو بن العاص بين يدى التاريخ، مع رؤية جديدة لبعض أحداث الفتح العربى لمصر (الكاتب: أ. عبد الخالق سيد أبو رابية ـ الناشر: الزهراء العربى للإعلام).

قال حين الكلام عن موقعة الجمل: وإننا لنتسائل هل كان حزن السيدة عائشة على الخليفة عثمان هو الذى دفعها حقًا إلى هذا؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تجعلنا نسقط هذا الأمر من حسابنا ونقول: ربما كانت هناك عوامل أبعد غوراً رسبت فى نفسها منها: إنه كانت هناك وحشة بين علىّ بن أبى طالب وعائشة عبرت عنها بقولها إنه والله ما كان بينى وبين علىّ إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها. ولعل بعضها يرجع إلى موقف علىّ من عائشة فى حادثة الإفك، ومنها أن عليًا نَفَسَ على أبيها الصديق أبى بكر الخلافة وامتنع عن مبايعته زمنًا، فلماذا تسرع عائشة بمبايعة على وتتركه يهنأ بهذه الخلافة؟ ومنها أيضًا وهو العامل الأكبر، أن عبد الله بن أختها أسماء وكانت قد أخذته من أختها وربته فى بيتها وتبنته حتى كانت تسمى أم عبد الله طموحًا يطمع فى الخلافة، ولكن وجود علىّ بن أبى طالب كان يحول بينه وبين تحقيق هذه الأمنية فدفع بخالته عائشة لتخوض هذه المعركة ضد علىّ، لعله يسقط فيها فيخلو له الجو[1].

حقيقة هذا الكلام السابق، يصيب النفس السوية بالغثيان، ترهات ضلال، ترديد لأقوال المستشرقين، أعداء الإسلام تحت مسمى البحث العلمى، إن هذا الكاتب نسى أنه يتحدث عن صحابة النبى ﷺ، وأمه وأم المؤمنين عائشة، إنه يتحدث وكأنه يتحدث عن مجموعة من الوصوليين الذين لا دين لهم، والأكاذيب فى كلامه مفضوحة، فعائشة تكره علىّ، وعلىّ يكره عائشة، أطماع وفساد، كأنه شق القلوب ونظر ما فيها.

ثم أقول: أين الأمانة العلمية، لقد قال لعل!! لعل!!! إنه يتكلم عن أم المؤمنين عائشة، وعلىّ بن أبى طالب، وعبد الله بن الزبير، ثم يترك لأوهامه تحليل كل شخصية ويأتى بحوادث تاريخية، تأكيدًا لظنونه الفاسدة.

---

(١) عمرو بن العاص بين يدى التاريخ (ص٣٠٩، ٣١٠).

وأعتقد أن الكلام عن الجمل وصفين، ومن قبله مباحث الكتاب فيها ردود كافية على هذا الفساد ـ العلمي ـ.

وأقول إن كان يقول عن عائشة أم المؤمنين هذا، فكيف يقول عن عمرو ابن العاص؟

اسمع معى يرحمك الله، الفساد التالى:

يقول: (رأينا أن عمرو بن العاص لم يكن راضيًا عن أمير المؤمنين عثمان، ولا عن حكمه الذى ضاق به الناس فى الأمصار الإسلامية، كما أن مصرع هذا الخليفة الشهيد لم يسخطه، أو يحرك فيه كوامن شجنه بل ربما أرضته هذه المأساة، ونفست عن صدره بعضًا من حقده المكبوت)[1].

الحق أن الرد على مثل هؤلاء يزيد، ويعلو من شأنهم، بل كلامه هو والله كلام رجل إما لا يعلم عن دينه، أو التاريخ شيئًا، أو رجل يتربص بالإسلام وصحابته، ويريد النيل منهم، ولا أدرى ما العلة وراء ذلك؟

إن الحقد يعرفه هو، ولا يعرفه عمرو بن العاص، إن عثمان خليفة راشد، رضى الناس حكمه وليس كما أشار ضاق به الناس فى الأمصار.

نقول لهذا الكاتب: تب وارجع، وإلا فإن الله مجازيك عن تلك الإساءات.

وأعتقد أننا وضحنا مدى عدل عثمان وحسن سيرته.

وأقول: هذا كلام حُطَّاب الليل، أصحاب النزعات الفلسفية العلمانية، البعيدون كل البعد عن منهج الحقيقة العلمية، ونحن لهم بالمرصاد إن شاء الله تعالى.

هذه بعض الإرشادات الهامة التى تعينك على قراءة سديدة رشيدة للأحداث التاريخية.

---

(١) المصدر السابق (٣١٠).

## وقد حان الكلام عن فضائل عمرو بن العاص رضى الله عنه:

وسأتكلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه بأسلوب نقاط معنونة، ثم نسوق عليها الدليل القاطع، فعمرو بن العاص، صحابى جليل، وسأتحدث عنه بتصورات شرعية، وأوصاف فيه، وعليها الدليل.

**• الصورة الأولى: أحاديث النبى ﷺ تبين فضل عمرو بن العاص ومنزلته:**

**الحديث الأول:** روى محمد بن عمرو عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، قال: قال النبى ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام»[1].

بل هناك رواية أخرى سندها جيد فى «مجمع الزوائد»، قال ﷺ: «ابنا العاص فى الجنة»[2].

**وجه الشاهد:** إثبات الإيمان لعمرو بن العاص وأخيه هشام بن العاص، ومن الذى أثبت لهم ذلك إنه النبى ﷺ، المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى.

والحديث الثانى له دلالة على ذلك:

**الحديث الثانى:** من حديث عقبة، قال: قال ﷺ: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص»[3].

يقول الشيخ الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٨) بعد أن ذكر هذا الحديث: قال: وفيه منقبة لعمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ أن شهد له النبى ﷺ بالإيمان، ونرى والله أعلم أنها بشارة له بالجنة.

---

(١) حديث إسناده حسن، أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣)، وابن سعد (٤/ ١٩١) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، والحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٣٤٠)، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٣٦٦٥).

(٢) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٢).

(٣) حديث حسن، أخرجه الترمذى (٣٨٤٤)، وأحمد فى «المسند» (٤/ ١٥٥)، وفى الفضائل (١٧٤٤)، ومن طريق الترمذى، أخرجه ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٤/ ١١٧).

والدليل على ذلك قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة». متفق عليه

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وعلى هذا لا يجوز الطعن فى عمرو بن العاص رضى الله عنه، كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين، وغيرهم من المخالفين بسبب ما وقع من الخلاف بل القتال مع علىّ، رضى الله عنه، لأن ذلك لا ينافى الإيمان، فإنه لا يستلزم العصمة كما لا يخفى، ولا سيما إذا قيل إن ذلك وقع منه بنوع الاجتهاد وليس اتباعًا للهوى(١). اهـ.

قلت: انتبه لكلام علامة الزمان رحمه الله فهو مفيد رائع، وعظيم التأصيل، لأنه خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة.

**الحديث الثالث:** روى عبد الجبار بن الورد عن أبى مليكة، قال طلحة: ألا أحدثكم عن رسول بشىء؟ إنى سمعته يقول: «عمرو بن العاص من صالحى قريش، نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله»(٢).

**وجه الشاهد:** ثناء النبى ﷺ على بيت عمرو بن العاص، وآل بيته، فهو صالح، وزوجه صالح، وابنه من أهل الصلاح، فكيف بمن يطعن فيه، وأين أنت من رجل زكاه الرسول ﷺ، وآل بيته.

**الحديث الرابع:** حدثنا يزيد عن ابن يخامر السكسى أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم صل على عمرو بن العاص فإنه يحبك ويحب رسولك»(٣).

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه أحمد من طريق وكيع، حدثنا نافع بن عمرو، عن عبد الجبار بهذا الإسناد، ورجاله ثقات، والترمذى (٣٨٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٦)، والطبرانى فى «الكبير» (١/ ٧٤)، و«كنز العمال» (٣٧٤٣٥)، و«حلية الأولياء» (٩/ ٥٥)، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٦٥٣).

(٣) إسناده حسن، وهو فى مسند أحمد (٤/ ٢٠٣)، و«تاريخ ابن عساكر» (١٣/ ٢٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٦٥)، و«الرياض النضرة» (١/ ٢٣٠).

**وجه الشاهد:** أثبت هذا الحديث مسائل عدة:

(١) حب عمرو بن العاص لله ورسوله.

(٢) محبة الله تعالى لعمرو بن العاص.

(٣) دعاء النبى ﷺ بالرحمة له، والصلاة من ربه عليه.

(٤) ما سبق يبين لنا مقام عمرو بن العاص ومنزلته عند الله، وعند رسوله وعند المؤمنين.

**الحديث الخامس:** روى أحمد فى «مسنده» حدثنا يحيى بن إسحاق عن علقمة بن رمثة أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص إلى البحرين، فخرج رسول الله ﷺ فى سرية وخرجنا معه، فنعس وقال: «يرحم الله عمرًا» فتذكرنا كل من اسمه عمرو. قال: فنعس رسول الله ﷺ، ثم قال: رحم الله عمرًا، ثم نعس الثالثة، فاستيقظ، فقال: «رحم الله عمرًا» قلنا: يا رسول الله! من عمرو هذا؟ قال: «عمرو بن العاص»، قلنا: وما شأنه؟ قال: كنت إذا ندبت الناس إلى الصدقة، جاء فأجزل منها، فأقول: «يا عمرو أنى لك هذا؟» فقال: من عند الله، قال: «وصدق عمرو إن له عند الله خيرًا كثيرًا»[١].

**وجه الشاهد مسائل عدة:**

(١) الدعاء لعمرو بأن يرحمه الله.

(٢) استجابة الله لدعاء النبى، والدليل صيغة الماضى، والتى تفيد تحقيق الشيء ووقوعه: «رحم الله عمرًا».

(٣) حب عمرو بن العاص للصدقة وعطاءه الجزل فى الإنفاق لله ولرسوله.

---

(١) الحديث حسن، ورجاله ثقات خلا زهير بن قيس البلوى، سكتوا عنه، أخرجه الحاكم (٣/ ٤٥٥) فى «المستدرك»، والطبرانى فى «معجمه» (١٨/ ٥)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ١٩٢)، و«كنز العمال» (٣٧٤٣٥).

(٤) بيان مقام عمرو بن العاص عند الله فى الآخرة، فقد قال الرسول ﷺ: «إن له عند الله خيرًا كثيرًا».

**• الصورة الثانية: صور من جهاده فى سبيل الله:**

عمرو بن العاص من المجاهدين فى سبيل الله، وسيف من سيوف الله تعالى، سله الله على المشركين، وفتح بلدانًا وأمصارًا كثيرة.

يقول الذهبى: شهد عمرو يوم اليرموك، وأبلى يومئذٍ بلاءً حسنًا، وقيل بعثه أبو عبيدة فصالح أهل حلب، وإنطاكية، وافتتح سائر قنسرين عنوة[(١)].

وضح هذا الأثر بعضًا من جهاده، وقد فتح الله على يده حلب، وإنطاكية صلحًا، وقنسرين جهادًا وحربًا.

وفى «تاريخ خليفة»، قال: «ولى عمر عمرًا فلسطين والأردن ثم كتب إليه عمر فسار إلى مصر وافتتحها، وبعث عمر الزبير مددًا له»[(٢)].

وفى هذا الأثر إشارة لفتح مصر فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرًا.

وقال خليفة فى «تاريخه»: افتتح عمرو طرابلس سنة أربع وعشرين و قيل ثلاث وعشرين[(٣)].

عقد له النبى ﷺ جيش ذات السلاسل، وانتصر فيها.

وغزوة ذات السلاسل فى جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وهى وراء وادى القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وقد نزلوا على ماء لجذام يقال له السلسل[(٤)].

وهنا أذكر حديثًا فى سرعة استجابته للجهاد والذود عن الإسلام والمسلمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠).

(٢) تاريخ خليفة (١٤٢، ١٤٥).

(٣) المصدر السابق (١٥٢).

(٤) انظر أخبار هذا الغزو ابن عساكر (١٣/ ٢٥٥)، «طبقات ابن سعد» (٢/ ١٣١)، «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٣)، «شرح المواهب» (٢/ ٢٧٧، ٢٨٠).

عند أحمد فى «المسند» حدثنا ابن مهدى عن موسى بن على عن أبيه عن عمرو بن العاص قال: «كان فزع بالمدينة فأتيت سالمًا مولى أبى حذيفة وهو محتبٍ بحمائل سيفه، فأخذت سيفًا فاحتبيت بحمائله، فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، ألا كان مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان المؤمنان»[1].

**وجه الشاهد: عدة فوائد:**

(١) سرعة استجابته للجهاد حين احتاج الناس إلى ذلك وفزعت المدينة.

(٢) أخذه السيف، ووضع نفسه لأهبة القتال فى سبيل الله دليل، على إقباله على الشهادة فى سبيل هذا الدين.

(٣) شهادة النبى ﷺ له بالإيمان هو وسالم مولى أبى حذيفة.

- **الصورة الثالثة: حكمته، وفطنته، وفهمه:**

لا ريب أنه من الثابت ذكاء عمرو، ودهاءه فى الخير، والرشاد، وخاصة ميادين المعارك التى يطيش فيها عقول أفذاذ الرجال بل كان من الصحابة الذين لهم قدرًا عظيمًا عند الله ورسوله ولا سيما فى ميادين الحرب والجهاد، فعند الحاكم فى المستدرك بسنده إلى عمرو بن العاص قال: «ما عدل بى رسول الله ﷺ وبخالد منذ أسلمنا أحدًا من أصحابه، فى حربه»[2].

وأسوق لك حديثًا آخر يبين ثقة الرسول ﷺ، ومنزلة عمرو بن العاص عنده.

فعند أحمد بسنده إلى عمرو بن العاص يقول: بعث إلىَّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتنى»، فأتيته وهو يتوضأ فصعَّدَ

(١) إسناده حسن، أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٢٠٣)، و«تاريخ ابن عساكر» (١٣/ ٢٥٢)، والسير (٣/ ٦٥).

(٢) رواه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٤٥٥)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٥).

فيَّ البصر وصوبه ـ نظر إليه جيدًا ـ فقال: «إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك رغبة صالحة من المال»، قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام، ولأن أكون مع رسول الله ﷺ، قال: «يا عمرو نعمًّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[١].

ولعل هذا الأثر أو الدروس والمناقب التى نستطيع أن نقررها هنا، لعمرو ابن العاص يفسرها نقلاً جيدًا للذهبى رحمه الله.

قال: «وقد سقت من أخباره فى «تاريخ الإسلام» جملة وطوّل الحافظ ابن عساكر ترجمته[٢]، وكان من رجال قريش رأيًا ودهاءً وحزمًا وكفاءة وبصرًا بالحروب، ومن أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين، والله يغفر له ويعفو عنه، ولولا حبه للدنيا ودخوله فى أمور لصلح للخلافة، فإن له سابقة ليست لمعاوية، وقد تأمَّرَ على مثل أبى بكر وعمر لبصره بالأمور ودهائه»[٣].

قلت: نعم صدق الذهبى، وأفاض، وأحسن فى بيان حال عمرو بن العاص، وإنما أريد أن أذكر هنا بأن قوله: لولا حبه للدنيا ودخوله فى أمور، فإننا نضبط هذا القول، أو نفسره، بل وينبغى علينا أن نفسره التفسير الصحيح وذلك فى أمرين:

**الأول**: من منا لم يمل قلبه إلى الدنيا، وإن كان فيه حب لطلب الدنيا، والسعى للجنى من ثمراتها، فهذا ليس بحرام، ولا عيب، وإن كان علىّ ابن أبى طالب، وهو أعلى وأفضل منه مقامًا، قد دافع عن خلافته، وأصر على قتال معاوية فى صفين إرغامًا له على البيعة له، فهذا ليس اتهامًا لعلىّ رضى الله عنه، أو انتقاصًا لقدره، وإنما هى رؤية رآها كما صرح هو.

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح (٤/ ١٩٧، ٢٠٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (٩٩)، والحاكم (٢/ ٢)، وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) «تاريخ ابن عساكر» أو «تاريخ دمشق» (١/ ٢٤٥) إلى (٢/ ٢٧٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥٨/ ٥٩).

ويتضح ما أريد أن أقوله أن الحسن بن على رضى الله عنه، تنازل عن الخلافة طواعية، ولم يستمر فى قتال أهل الشام، ولا معاوية، فالمسألة برمتها فقه من الصحابة، وكل يريد الخير، والوصول لمرضاة رب العالمين، ونحن نؤمن بذلك.

**الأمر الثانى**: أنه ثبت بالقطع اليقينى المبنى على الدليل الصحيح الثابت، والمعمول به، أن الصحابة حال الفتنة وما صدر منهم من ميل لأحد الفريقين كلهم جميعًا مجتهدون، والمصيب له أجران، والمخطئ له أجر، والصحابة هم أهل لهذا الاجتهاد، فهم العلماء الفقهاء الأخيار.

**والسؤال**: هل يستطيع أحد كائن من كان أن يخرج، أو يستثنى عمرو بن العاص عن ذلك أو يصفه هو فقط بالهوى؟! فانتبه.

فعمرو من الصحابة الثقات العدول رضى الله عنه.

وأسوق حديثًا آخر فيه بيان فقه عمرو بن العاص وذكائه، وفطنته وحكمته، والتى طالما أحبها الرسول ﷺ، وتعجب لها.

روى ابن عساكر بسنده إلى إسماعيل بن خالد عن قيس، قال: بعث رسول الله ﷺ عمراً فى غزوة ذات السلاسل، فأصابهم بردٌ، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحدكم ناراً، فلما قدم شكوه، قال: يا نبى الله! كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ[1].

وانظر إلى هذا الحوار بين أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعمر بن الخطاب حول هذه الحادثة، والتى رواها ابن عساكر وغيره بسنده إلى وكيع عن منذر بن ثعلبة عن ابن بريدة، قال عمر لأبى بكر: لم يدع عمرو بن العاص الناس أن يوقدوا نار، ألا ترى إلى ما صنع بالناس، يمنعهم منافعهم

---

(١) «تاريخ دمشق» ابن عساكر «١٣/ ٢٥٤».

فقال أبو بكر: دعه فإنما ولاه رسول الله ﷺ علينا لعلمه بالحرب[١].

**• الصورة الرابعة: ثناء الصحابة عليه:**

وأسوق الدليل على ذلك: أخرج أبو داود فى سننه عن عبد الرحمن بن جبير عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص، أن عمراً كان على سرية فأصابهم برد شديد، لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح فقال: احتلمت البارحة، ولكنى والله ما رأيت بردًا مثل هذا، فغسل مغابنه، وتوضأ للصلاة، ثم صلَّى بهم، فلما قدم على رسول الله ﷺ، سأل رسول الله ﷺ أصحابه: «كيف وجدتم عمراً وصحبته» فأثنوا عليه خيرًا، وقالوا: يا رسول الله صلَّى بنا وهو جنب، فأرسل إلى عمرو فسأله فأخبره بذلك، وبالذى لقى من البرد، وقال: إن الله قال: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]، ولو اغتسلت مت، فضحك رسول الله ﷺ[٢].

والشاهد: ثناء الصحابة عليه حينما سألهم رسول الله ﷺ، وسبحان الله اقرأ تفاصيل غزوة ذات السلاسل، وهى أول غزواته وجهاده فى سبيل الله، يتبين لك تلك المواهب العظيمة الرائعة، والتى ظهرت جلية، فى ذات السلاسل، أمير حكيم، قائد بارع، مقاتل قوى الشكيمة، علم وفقه، تودد وحب له من أصحابه، فهذا هو عمرو بن العاص رضى الله عنه.

**• الصورة الخامسة: أقوال أهل العلم فى فضله ومنزلته:**

أورد الذهبى وابن عساكر وابن كثير وغيرهم عن مجالد عن الشعبى عن قبيصة بن جابر، قال: (قد صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبين أو أنصع رأيًا، ولا أكرم جليسًا، ولا أشبه سريرة بعلانية منه)[٣] أثبت الصحابى الجليل قبيصة بن جابر عدة صفات لعمرو بن العاص فى هذا الأثر:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود فى الطهارة (٣٣٥)، باب إذا خاف الجنب البرد تيمم.

(٣) ابن عساكر، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٧).

(١) الفطنة والحكمة، وسداد الرأى.

(٢) الكرم وحسن الوفادة، وإكرام الجليس.

(٣) الإخلاص ومطابقة العلانية للسريرة.

* وجاء فى «الاستيعاب»: روى مجاهد عن الشعبى، قال: دهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو، والمغيرة، وزياد، فأما معاوية فللأناة والحِلم، وأما عمرو فللمعضلات، والمغيرة للمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير[1].

الصفة الثانية لعمرو هنا: الدهاء، وهو استعمال الذكاء، والقريحة العقلية، فى الخير والهدى والرشاد، فعمرو رجل المهام الصعبة رضى الله عنه، وقد أثبت هو ذلك.

أخرج البخارى فى «صحيحه» عن أبى عثمان النهدى عن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر[2].

وقد سبق قول أبى بكر الصديق فيه، وشهادته حينما عارضه عمر، فقال: «إنما ولاه رسول الله لعلمه بالحرب».

وحتى لا يساء الظن بعمر بن الخطاب أسوق هنا أثرًا رائعًا لعمر بن الخطاب بيَّن فيه فضل عمرو بن العاص، وأحقيته بالإمارة:

روى ابن عساكر وغيره عن ضمرة عن الليث بن سعد، قال: نظر عمر إلى عمرو بن العاص، فقال: «ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميرًا»[3].

لله درك يا عمر، وما أعظم ثقابة بصرك، ونور البصيرة عندك، ويا ليت سفاسف القوم وجهلاءهم يقرءون، ويعلمون.

---

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١١٨٨)، ترجمة عمرو بن العاص.

(٢) البخارى (٧/١٨، ١٩)، وفى الفضائل (٨/٥٩)، والمغازى، ومسلم (٢٣٨٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/٦٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/٦٧، ٧٥).

وهذا هو عمرو بن العاص، وهذا هو قول النبى ﷺ وشهادته فيه، وهذا ثناء الصحابة عليه، وهذا هو جهاده، وسخاءه، وإنفاقه فى سبيل الله، وهذا هو الحق الجلىّ البين فى فضل عمرو بن العاص ومنزلته.

وأعجب لهؤلاء الذين اتهموا عمرو بن العاص بالمكر، وأنه ضحك على أبى موسى الأشعرى وخدعه.

ولما العجب، والقائل لا يعلم من دين الله ما يقوم عقله، ولا من العقيدة ما يحميه من الزيغ والضلال، فهلك بسوء أدبه مع الصحابة، بما فيهم عمرو ابن العاص.

ولما العجب إنهم يتكلمون عن الفاسقين والفاسقات كأهل الغناء، والأدب المتميع، بأنهم نجوم، وأنهم أهل رسالة.

نعم لما العجب، وهم لا يستطيعون أن يفرقوا بين ضوء الشمس، وظلام الليل، ولما العجب وهل نعيب على الأعمى لأنه لا يرى ضوء الشمس نعم، فإن هؤلاء الذين يتهمون عمرو بن العاص بالمكر فهؤلاء حطاب ليل وسيسألون يوم القيامة عن ذلك، وأعتقد أن من يسير وراء الهوى والزيغ فلا يلومن إلا نفسه، والطيور على أشكالها تقع(*).

اللهم اشهد أنا نحب جميع صحابة النبى، ونعلم لهم قدرهم، وخاصة عمرو بن العاص، وأنا يا ربنا سنذود، ونذافع عنهم فى الحياة، وإن شاء الله نلقاهم فى الجنات.

---

(*) مصادر الترجمة: مسند أحمد (٤/ ٢٠٢)، «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٥٤)، «نسب قريش» (٤٠٩) «طبقات خليفة» (٩٧٠)، المستدرك (٣/ ٤٥، ٥٥)، «تاريخ الطبرى» (٤/ ٥٥٨)، «مروج الذهب» (٣/ ٢١٢)، و«جمهرة أنساب العرب» (١٦٣)، «الاستيعاب» (١١٨٤)، «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٤٥)، «أسد الغابة» (٢/ ٣٠)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٢٣٥)، «العقد الثمين» (٦/ ٣٩٨)، «النجوم الزاهرة» (١/ ١١٣)، «حسن المحاضرة» للسيوطى (١/ ٢٢٤)، «البداية والنهاية» (٤/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨)، وغير ذلك كثير من المراجع.

# الفصل الرابع

## فضائل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه

إنه أبو موسى الأشعرى، الصحابى الجليل، المجاهد الفقيه، الأمير، العابد، الصائم، القائم، خليل النبى ﷺ، وحبيبه، وصاحبه، حقيقة لا أستطيع أن أخفى هذا الشعور وأنا أكتب هذا الكتاب، نعم، فهذا الكتاب ما هو إلا رياض مستطابة فى سير الصحابة، إننى أشعر بأننى أسير فى بساتين الفضل، والخير والرشاد، أحيا بين زهور دائمة، زاهية، جذابة، لا ينقطع أريجها، ولا يغيب زهاءها، ولا يضيع عطرها، وإنما هو شذى يطير، فيعبق الجو رائحة والله ما هى إلا من روائح الجنة، وكيف لا وهم الرجال الأطهار الصحب الأخيار، بهم تزيد الجنان روعة وبهاء.

وأحب قبل البدء فى وضع ترجمة علمية، محققة لأبى موسى الأشعرى عليه رضوان الله تعالى، أن أشير إلى عدة نقاط هامة:

**• النقطة الأولى:**

التأكيد على أنا عرجنا سريعًا على فضائل عمرو بن العاص، وأتبعنا ذلك بفضائل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما، لتحقيق غاية هامة، واستقراء لدليل ينفى عن الصحابيين الجليلين تلك التهم السخيفة الموجهة إليهما، أن عمرًا مخادع، وبالتالى أبو موسى ساذج مخدوع.

حاشاهما، فهما إماما من أئمة التقى والهدى والرشاد رضى الله عنهما.

**• النقطة الثانية:**

أن أبا موسى الأشعرى أفضل عندنا من عمرو بن العاص، وذلك حسب

الترتيب العلمى العقدى للصحابة رضى الله عنهم جميعًا.

وإنما قدمتُ عمرو بن العاص، وشرعت فى بيان مناقبه وجعلتها سابقة لترجمة أبى موسى، لأنه ـ وللأسف الشديد ـ اشتهر عند كثير من عامة المسلمين، بسبب ما حدث فى واقعة التحكيم، والتناول لأحداثها، برداءة، وسوء تعبير لفظى، وعدم أمانة فى الدقة العلمية، وعدم تمحيص الروايات التاريخية وضبطها على ميزان الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

اشتهر عندهم تشويه لصورة عمرو بن العاص وأوجد سوء الظن به.

فرأيت البدء به، وذلك من قبيل المسارعة إلى الخيرات، وأى خير أعظم من تنقية الصورة الطيبة لصحابى جليل طيب ألا وهو عمرو بن العاص.

وأعيد إلى الأذهان، أسبقية أبى موسى وتقديمه على عمرو بن العاص رضى الله عنهم جميعًا.

**● النقطة الثالثة:**

بهذه الترجمة لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه نكون قد مهدنا الطريق، لبيان الحقيقة التاريخية السديدة فى أحداث واقعة التحكيم، بصورتها الصحيحة، وتلك التراجم ستعينك إن شاء الله على استيعاب ذلك الحدث كما تعلمناه من سلف الأمة الصالح وأرادوا للناس أن يفهموه، مما يزيد من قدر أصحاب النبى ﷺ فى أعيننا.

وإلى البساتين النضرة فى بيان فضل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.

نعم فمن هو أبو موسى؟ إنه عبد الله بن قيس بن سليم بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ.

أبو موسى الأشعرى التميمى الفقيه المقرئ[1].

وسأسوق الترجمة عن ذلك الصحابى الجليل فى عرض موجز، مسلسل

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨١).

بعدة صور تعبيرية كما صنعنا فى ترجمة عمرو بن العاص.

● **الصورة الأولى: الأحاديث الواردة فى فضله:**

**الحديث الأول:** ورد فى «الصحيحين» عن أبى بردة عن أبى موسى عن أبيه إن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا»[1].

**وجه الشاهد:**

(١) قدر ومنزلة عبد الله بن قيس - أبو موسى - عند الله ورسوله.

(٢) منقبة رائعة، وفضيلة لا مثيل لها، ألا وهى دعاء النبى ﷺ لأبى موسى بالمغفرة، وحسن المردّ إلى الله تعالى.

(٣) الجزم واليقين أن أبا موسى الأشعرى من أهل الجنة، وأن الله تعالى قد غفر له ذنبه، وقبل منه الصالح من العمل.

**الحديث الثانى:** أخرج البخارى عن أبى موسى الأشعرى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة فأتى أعرابى فقال: ألا تنجز لى ما وعدتنى؟ قال: «أبشر»، قال: قد أكثرت من البشرى، فأقبل رسول الله علىَّ وعلى بلال، فقال: «إن هذا رد البشرى فاقبلا أنتما» فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح، فغسل يده ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على رءوسكما ونحوركما»، ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضلاً لأمكما، فأفضلا لها منه[2].

**وجه الشاهد:**

(١) بيان فضل منزلة أبى موسى الأشعرى، وبلال بن رباح.

---

(١) أخرجه البخارى فى «صحيحه» (٥/ ١٩٨)، (٨/ ٩٠)، ومسلم فى «صحيحه» (١٩٤٤، ٢٤٩٨)، الفضائل، و«كنز العمال» للمتقى الهندى (٣٠٢٥٦، ٣٣٦٠٢)، و«شرح السنة» للبغوى (٥/ ٢٠٠١) و«دلائل النبوة» (٥/ ١٥٣)، «تاريخ أصفهان» (١/ ٥٨)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه البخارى فى «صحيحه» (٨/ ٧٣) مع الفتح، ومسلم (٢٤٩٧).

(٢) البشرى هنا بالجنة، كما جاء فى بعض الروايات لهذا الحديث: «أبشرا بالجنة».

(٣) البركة فى العقل والعلم والجسد، لأنهما قد اغتسلا ومس جسدهما فضل ماء وضوء النبى ﷺ.

(٤) أن أم سلمة رضى الله عنها لم تفوت الفرصة وطلبت منهما بعضًا من هذا الماء، ففعلا.

**الحديث الثالث:** أخرج البخارى فى «صحيحه» عن أبى بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة أمس من المسجد، فإذا بالنبى ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلى، فقال لى: «يا بريدة أتراه يرائى»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «بل هو مؤمن منيب، لقد أعطى مزمارًا من مزامير آل داود»[١]، فإذا هو أبو موسى، فأخبرته.

**وجه الاستدلال:**

(١) شهادة النبى ﷺ بأن أبا موسى الأشعرى مؤمن منيب.

(٢) إثبات الإخلاص له، وحسن السريرة، ونفى الرياء عنه، بمفهوم المخالفة فقد قال: «أتراه يرائى»، ثم أثبت له الإيمان بعد ذلك.

(٣) روعة وجمال وحسن قراءة أبى موسى للقرآن، وسيأتى المزيد من ذلك إن شاء الله تعالى.

**الحديث الرابع:** أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى موسى الأشعرى قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر وكان القوم يصعدون ثنية، أو عقبة، فإذا صعد الرجل، قال: لا إله إلا الله والله أكبر، أحسبه قال بأعلى صوته، ورسول الله على بغلته يعترضها فى الجبل، فقال: «أيها الناس إنكم لا تنادون أصم ولا غائبًا»، ثم قال: «يا عبد الله بن قيس ـ أو يا أبا موسى ـ

(١) أخرجه مسلم (٧٩٣)، وشرح السنة للبغوى (٥/ ٢٧)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٥٨).

ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

**وجه الشاهد:**

(١) إظهار المحبة الدائمة من النبى ﷺ لأبى موسى الأشعرى، وإتحافه الدائم له، وإرشاده.

(٢) بيان أن أبا موسى كان من أكثر الناس ذكرًا، وكان معروفًا عند النبى وأصحابه بذلك، ولذا خصه النبى ﷺ بتعليمه هذا الكنز من كنوز الجنة.

(٣) ملاحظة هامة، ولم تكن تخص أبا موسى فقط بل جمعًا كبيرًا من الصحابة، ألا وهى المصاحبة الدائمة من أبى موسى والصحابة للنبى ﷺ، فى سفره ومقامه، وحله وترحاله.

والأحاديث فى فضل أبى موسى رضى الله عنه كثيرة، أكتفى بما ذكرتُ، وإلى صورة أخرى من الصور الرائعة من حياة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.

**• الصورة الثانية: أحقية أبى موسى الأشعرى بالإمارة والقضاء:**

نعم فإن لم يكن أبو موسى الأشعرى، خليقًا بالإمارة لفضله، ومنزلته، وسعة علمه، وفطنته، وورعه وخشيته، فمن يكون أحق بالإمارة.

وهذا حقيقة فيه توجيه لأولئك الذين تعنتوا ولم يذكروا لنا الرواية الصحيحة لقضية التحكيم، بل عرضوا تلك الرواية الضعيفة السقيمة، والتى سنبين ضعفها حين الكلام عن التحكيم.

والتى يكون مفادها أن عمرو بن العاص كاذب خادع وأن أبا موسى مخدوع ساذج.

---

(١) البخارى (٧/٣٦٣) مع الفتح والمغازى (١١/٥٩)، وأحمد (٤/٤٠٢، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٩)، وأبو داود (١٥٢٦، ١٥٢٧)، والترمذى (٣٣١٨٤)، وابن ماجه (٣٨٢٤).

واقرأ معى وتدبر، تلك الروايات القادمة، لتعلم مدى الرفعة والمكانة الفكرية والعلمية التى كان يتمتع بها أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه.

يقول الذهبى: وهو معدود فيمن قرأ على النبى ﷺ، أقرأ أهل البصرة وفقههم فى الدين[١].

وقال فى موضع آخر: وقد استعمله النبى ﷺ ومعاذًا على زبيد، وعدن، وولى أمر الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وقدم ليالى فتح خيبر، وغزا وجاهد مع النبى ﷺ، وحمل عنه علمًا كثيرًا[٢].

وروى ابن عساكر عن عمرو بن مرة، عن أبى البحترى قال: أتينا عليًا، فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ، قال: عن أيهم تسألوننى؟ قلنا: عن ابن مسعود؟ قال: علم القرآن والسنة، ثم انتهى، وكفى به علمًا.

قلنا: أبو موسى الأشعرى؟ قال: صبغ فى العلم صبغة، ثم خرج منه.

قلنا: حذيفة؟ قال: أعلم أصحاب محمد بالمنافقين.

قالوا: سلمان؟ قال: أدرك العلم الأول، والعلم الآخر، بحر لا يدرك قعره، وهو منا آل البيت.

قالوا: أبو ذر؟ قال: وعى علمًا عجز عنه.

فسئل عن نفسه؟ فقال: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتديت[٣].

قلت: وهذه الرواية تقرر لنا، وتوضح لنا السبب الذى اختار به علىّ بن أبى طالب عبد الله بن قيس ـ أبا موسى ـ ليكون حكمًا عنه فى واقعة التحكيم.

---

(١) «شذرات الذهب» (١/ ٣٥، ٣٦)، «أسد الغابة» (٤٦٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨١).

(٢) «السير» (٢/ ٣٨٢)، «الاستيعاب» (٣/ ٩٧٩)، «طبقات ابن سعد» (٣/ ٤٨٧)، و«طبقات خليفة» (٩٢).

(٣) إسناد الرواية حسن فى «تاريخ الفسوى» (٢/ ٥٤٠) من طريق عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش بهذا الإسناد، وهى فى «السير» (٢/ ٣٨٨).

وقد أورد المؤرخون أثرًا رائعًا منسوبًا إلى الحسن البصرى، قال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبى موسى[١].

ولم يكن أبو موسى ممن يبتغى الدنيا بإمارته، بل نراه مثالاً للأمير التقى الورع، المسئول العابد الخاشع الذى وظف وقته لمصلحة رعيته، ووطن نفسه على الفناء فى إصلاح شأن رعيته.

وأذكر هنا رواية رائعة لابن شوذب، قال: كان أبو موسى إذا صلَّى الصبح استقبل الصفوف رجلاً يقرئهم، ودخل البصرة على جمل أورق، وعليه خرج لما عُزِل[٢].

وهذه الرواية أظهرت أنه لم ينتفع من إمارته بأى كسب من الدنيا، فهو دخل على ناقة، أو جمل أورق، وخرج على نفس الجمل، ما زادته الإمارة شيئًا، وإنما نعتقد أنها زادت من فضله، عند الله، وعند رسوله، وفى الآخرة ثواب عظيم إن شاء الله جزاء ما قدم لرعيته.

وانظروا إلى الصحابى الجليل أنس حينما سأله عمر بن الخطاب، وكان أمير المؤمنين، وكان دائم البحث والسؤال عن أحوال ولاته.

يروى ابن سعد فى «الطبقات» عن قتادة عن أنس: بعثنى الأشعرى إلى عمر، فقال لى: كيف تركت الأشعرى؟ قلت: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: أما أنه كيِّس، ولا تسمعها إياه[٣].

نعم، ولقد وصف أنس الصحابى الجليل أمير الكوفة أبا موسى الأشعرى بأنه أمير طائع عابد فقيه تركه يعلم الناس الدين والقرآن، والعقل والكياسة منهجًا يسير به. فهو صالح فى نفسه، مصلح لرعيته، ثم طلب أنس أن لا

(١) «تاريخ دمشق» (٥٠١).

(٢) تاريخ دمشق (٥٠٤)، ابن سعد (٤/ ١١٤)، تاريخ خليفة (١٣٨).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ١٠٨)، «تاريخ دمشق» (٥٠٦، ٥٠٧).

يخبر أبا موسى برأيه فيه.

أما منزلته كفقيه، وقاضٍ، فهاك أيها القارئ الطيب بعض أقوال سلف الأمة الصالح فيه:

أخرج ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» عن أبى زرعة من طريق محمد بن أبى عامر، عن سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبى عن مسروق، قال: قال أبو إسحاق: سمع الأسود بن يزيد، قال: لم أر بالكوفة أعلم من علىّ وأبى موسى[١].

أفلا يحق أن يكون هذا الصحابى الجليل، حكمًا عدلاً يثق فيه علىّ.

* وقال مسروق: كان القضاة فى الصحابة إلى ستة: عمر، وعلى، وابن مسعود، وأبىّ، وزيد، وأبى موسى[٢].

* وللشعبى قول رائع يبين ويوضح فيه الأثر السابق:

قال الشعبى: يؤخذ العلم عن ستة: عمر، وعبد الله، وزيد، يشبه علمهم بعضه بعضًا، وكان علىّ وأبو موسى وأبىّ يشبه علمهم بعضه بعضًا، يقتبس بعضهم من بعضٍ[٣].

وأسوق لك أثرًا رابعًا يبين منزلة أبى موسى فى القضاء والإمارة.

* فعن الشعبى، قال: قضاة الأمة عمر وعلىّ وزيد وأبو موسى[٤].

هذا هو أبو موسى الأشعرى، قاضيًا عالمًا، عادلاً، ولاه النبى الولاية، والقضاء، وكذا عمر وأبو بكر، وغيرهم، إنه أبو موسى الأشعرى الذى ولى أمر الولاية فى كثير من بقاع الأرض المسلمة، فكان خير أمير، ولما لا وقد تمتع هذا الأمير بشروط الإمارة زد على هذا الفقه والقرآن والعلم، والقضاء.

---

(١) ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٤٩٩)، وابن سعد فى «الطبقات» (٤/ ١١١).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥٠٠) بسند قريب من السند السابق.

(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٠١)، «السير للذهبى» (٢/ ٣٨٩).

(٤) المصادر السابقة.

**• الصورة الثالثة: جهاد أبى موسى الأشعرى والفتوحات التى تمت على يده:**

نعم لقد كان أبو موسى الأشعرى مجاهدًا، مقاتلاً شجاعًا، صنديدًا فتح الله على يده كثيرًا من أمصار وأسلمت على يده.

وهذا بعض البيان لجهاده:

يقول الذهبى: وقد استعمله النبى ﷺ ومعاذ على زبيد وعَدَن، وولى إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وقدم ليالى فتح خيبر، وجاهد مع النبى ﷺ، وحمل عنه علمًا كبيرًا[1].

وقال ابن مندة: (افتتح أصبهان زمن عمر).

وقال العجلى: بعثه عمر أميرًا على البصرة فأقرأهم وفقههم، وهو فتح تستر، ولم يكن فى الصحابة أحد أحسن صوتًا منه[2].

* حضر أبو موسى الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، وإليك الدليل:

* روى أبو بريدة عن أبى موسى قال: خرجنا من اليمن فى بضع وخمسين من قومى، ونحن ثلاثة إخوة أنا، وأبو رُهْم وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشى، وعنده جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشى، وهاجرتم إلىَّ»[3].

ومن ميزاته حبه للجهاد فى سبيل الله تعالى، وانظر إلى هذا الموقف بينه وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

جاء فى طبقات ابن سعد: عن محمد، قال عمر: بالشام أربعون رجلاً ما منهم رجل كان يلى أمر الأمة إلا أجزأه، فأرسل إليهم فجاء رهط، فيهم

(١) سبق تخريج هذا الأثر.

(٢) هذا الأثر والذى قبله عند الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٣)، وابن عساكر (٤٣٦، ٤٣٩).

(٣) رواه مسلم (٢٥٠٢)، وأحمد فى المسند (٤/ ٣٩٥، ٤١٢).

أبو موسى، فقال: إنى أرسلك إلى قوم عسكر الشيطان بين أظهرهم، قال: فلا ترسلنى، قال: إن بها جهادًا ورباطًا، فأرسله إلى البصرة[١].

**وجه الشاهد:** أن عمر بن الخطاب أراد إرساله أميرًا إلى البصرة، فأبى أبو موسى ذلك، فأغراه عمر بن الخطاب، أتدرى بما أغراه، لقد وضح وبين له، أن البصرة مفتاح لباب كبير من الجهاد والرباط فى سبيل الله، فقبل أبو موسى، وبالفعل من البصرة تحرك فاتحًا، وغازيًا فى سبيل الله فبدأ بتستر، وغيرها.

نعم لقد افتتح أبو موسى الأهواز.

ذكر خليفة فى «تاريخه»: ولى أبو موسى البصرة سنة سبع عشرة بعد المغيرة، فلما افتتح الأهواز استخلف عمران بن حصين بالبصرة[٢].

وافتتح أيضًا الرها، وسميساط، والاها.

وهذا ما ذكر خليفة فى تاريخه: فى سنة ثمانى عشرة افتتح أبو موسى الرَّها وسميساط والاها عنوة[٣].

وفى سنة ثلاث وعشرين افتتح أصبهان.

ذكر ابن عساكر، قال ابن إسحاق: سار أبو موسى من نهاوند، ففتح أصبهان سنة ثلاث وعشرين.

وأختم هذه الصورة لجهاده بهذا الأثر الذى يبين لنا إقدامه فى القتال، وشجاعته المنقطعة النظير، فهو سيف سله الله تعالى على الآبقين والمشركين.

أخرج البخارى فى المغازى عن أبى بردة عن أبى موسى قال: «لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعرى على جيش أوطاس، فلقى

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ١٠٩)، بسند كله ثقات، وابن عساكر (٥٠٣).

(٢) «تاريخ خليفة» (١٣٥، ١٣٦).

(٣) المصدر السابق (١٣٩).

دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم اللهُ أصحابه، فرمى رجل أبا عامر فى ركبته بسهم، فأثبته، فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه فقصدت له، فلحقته، فلما رآنى ولى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تستحى ألست عربيًا، ألا تثبت؟ قال: فكفَّ، فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين فقتلته، ثم رجعت إلى أبى عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، فقال: يا ابن أخى انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرأه منى السلام، وقل له: يستغفر لى، واستخلفنى أبو عامر على الناس، فمكث يسيرًا ثم مات، فلما قدمنا، وأخبرت النبى ﷺ توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد أبى عامر» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك»، فقلت: ولى يا رسول الله، فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا»[(١)].

**لقد بين هذا الحديث فوائد عدة:**

**أولاً:** شجاعة، وقوة أبى موسى الأشعرى حين القتال وحين حمى الوطيس، والدليل لما أطلق السهم على عمه أبى عامر، وأشار إلى راميه، تتبعه أبو موسى لقتاله، ففر الرجل من أمامه، فما زال به حتى ثبت وقاتله، فقتله أبو موسى رضى الله عنه.

**ثانيًا:** دلالة هامة على أحقية أبى موسى رضى الله عنه بالإمارة، فقد ولى قيادة الجند بعد عمه.

**ثالثًا:** الجزم والقطع اليقينى بأن الله قد رضى عن أبى موسى، وغفر له، ويقينًا هو من أهل الجنة والدليل: دعاء النبى ﷺ له: «اللهم اغفر لعبد الله

---

(١) أخرجه البخارى (٨/ ٣٤)، المغازى، باب: غزوة أوطاس، ومسلم (٢٤٩٨)، فضائل الصحابة كلاهما من طريق محمد بن العلاء عن أسامة بهذا الإسناد.

ابن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا».

هذا أبو موسى، الذى منَّ الله عليه بأَنعُم كثيرة وخير عظيم، حفظه لكتاب الله، علمه الغزير، فقهه الواسع، صوته الجميل، كان من أهل التقى.

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده.

وعن شعبة عن أبى مسلمة عن أبى نضرة، قال عمر لأبى موسى: شوِّقنا إلى ربنا، فقرأ فقالوا: الصلاة، فقال: أوَلسنا فى صلاة[1].

إنه أبو موسى الأشعرى، صاحب رسول الله ﷺ، وردة يانعة من بستان صحابة النبى ﷺ.

أشعر بأننى لا أستطيع أن أغادر مثل هذا البستان ولكن لا بد من ذلك، فنحن لم نشأ أن نتحدث بالتفصيل عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، وإنما أردنا توجيه نظر القارئ إلى بعض من جوانب حياته الإيمانية، وبيان مدى ما تمتع به من فطنة وذكاء وإيمان وتقى وجهاد، وليس ممن يسهل خداعه.

وبعد حينما نتكلم إن شاء الله تعالى عن واقعة التحكيم فى الفصل القادم، فسيكون إن شاء الله تعالى ذلك تمهيدًا جيدًا لفهم الأحداث والنتائج المترتبة عليها.

وأرى أن مسك الختام أن أذكر دعاء لأبى موسى الأشعرى، أخرجه ابن عساكر فى «تاريخ دمشق»، قال: «اللهم أنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت السلام تحب السلام». فإليك يا أبا موسى منا لك الحب، والتحية والسلام.

---

(١) هذا الأثر والذى سبقه ذكرهما ابن سعد فى «الطبقات» (١٠٩/٤)، وابن عساكر (٩٢٦)، وهما صحيحا الإسناد.

# الفصل الخامس

## واقعة التحكيم

أقول بحمد الله تعالى، بعد بيان فضائل، ومناقب كُلا من أبى موسى الأشعرى، وعمرو بن العاص، آن الآوان أن تتعرض لواقعة التحكيم:

وعلى نفس النهج أسير، فإنى إن شاء الله سأجعل مبتغاى فى هذا الفصل، هو رد هذه الرواية المشهورة عن واقعة التحكيم، لقد قرأت كثيراً عن التحكيم، ورأيت لغطًا كثيرًا، وانحرافًا وتوسعًا فى إثبات الروايات السقيمة، وإجراء التحليلات السقيمة الغير قائمة على الكتاب والسنة.

فكثر الهوى والزيغ، وكثر المراء، وطرحت الكلمات التى تؤذى الصحابة، وتقدح فى عدالتهم، وأقول: إن العيب هنا، فى جهالة الجامع للرواية، وعدم فهمه، أو تعمد عدم الفهم، فصارت أقلامهم كسيوف قواطع، تحز فى شرف خير الناس بعد نبيهم وهم الصحابة الكرام.

ولقد جال بخاطرى أن أجمع أقوال هؤلاء المتعالمين الذين سطروا بلا علم ولا وعى، وبلا تثبت، ووفق منهج غير أمين، ومن ثم الرد عليهم، ولكن عدلت عن ذلك لأمرين:

(١) الأول: شرطنا فى هذا الكتاب هو الإجمال فى العرض، مع التحليل العلمى العقدى، القائم على كتاب الله تعالى وسنة النبى ﷺ، وإجماع الأمة فى ضوء المعتقد الصحيح لأهل السنة والجماعة.

(٢) إن كلام هؤلاء كلام سقيم، والروايات المنقولة يستطيع المسلم العاقل أن يعلم بأن هذه الروايات لا تليق بصحابة النبى ﷺ.

وكلما ازداد المسلم علمًا ودراية بما هو خليق، وحقيق بصحابة النبى ﷺ، يعلم فساد معناها.

ولذا عدلت عن مناقشة هذه الروايات، فهى كثيرة وغثاء كغثاء السيل لا خير ولا فقه فيها.

ويحضرنى هنا قول العلامة أبى بكر بن العربى حينما تعرض للقاصمة - التحكيم - فقال كلام رائع، أذكره بتمامه ثم أبدأ فى الرد على الرواية الضعيفة والتى سيأتى بيانها.

قال: (وقد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة، دون الديانة رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها فى الكتب فى الأكثر عدم الدين، وفى الأقل جهل متين.

والذى يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط[1]، والدارقطنى، أنه لما خرج الطائفة العراقية فى مائة ألف، والشامية فى سبعين أو تسعين ألفًا، نزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا فى أول يوم - وهو الثلاثاء على الماء، فغلب أهل العراق عليه.

ثم التقوا يوم الأربعاء، لسبع خلون من صفر، سبع وثلاثين، ويوم الخميس والجمعة، وليلة السبت ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق، فكان من جهة علىّ أبو موسى، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص)[2].

ثم ذكر رحمه الله الرواية الضعيفة التى تلوك ألسنة الناس، وللأسف

---

(١) هو الإمام الحافظ خليفة بن خياط العصفرى البصرى أحد أوعية العلم، ومن شيوخ البخارى، قال عنه ابن عدى: هو صدوق مستقيم الحديث من متيقظى رواة السنة توفى ٢٤٠ هـ.

(٢) «العواصم من القواصم».

يتناقلها الكُتّاب فبعض المؤرخين دون تثبت ونقد سليم.

وهذه الرواية من المخالفات الواضحة فى قضية التحكيم وتحتاج إلى رد قاطع.

وتلك الرواية هى: وقالوا: إنهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل، وتفاوضا، اتفقا على أن يخلعا الرجلين، فقال عمرو لأبى موسى: أسبق بالقول، فتقدم فقال: إنى نظرت فخلعت عليًا عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفى هذا من عنقى ـ أو من عاتقى ـ وأخرجه من عنقه فوضعه على الأرض، وقام عمرو فوضع سيفه فى الأرض وقال: إنى نظرت فأثبت معاوية فى الأمر، كما أثبت سيفى هذا فى عاتقى، فأنكر أبو موسى، فقال عمرو: كذلك اتفقنا، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف[1]. اهـ.

انتهت الرواية المكذوبة، وبعد لا يخفى على كل مسلم ما فى هذه الرواية من كذب، وافتراء ومخالفة للحقائق العقدية والعلمية والتاريخية، وذلك، لأن تلك الرواية تظهر خفة عقل أبى موسى الأشعرى ومكر عمرو بن العاص، وكلاهما برىء من ذلك.

بل إن الدليل النقلى والعقلى يدل على كذب هذه الرواية وبطلانها وذلك من وجوه كثيرة:

**الوجه الأول:** رجاحة عقل أبى موسى الأشعرى وقوة حجته وعظيم بيانه، وذلك أنه لما كان أبو موسى واليًا على الكوفة وجاء دعاة علىّ يحرضون الكوفيين على لبس السلاح، والالتحاق بجيش علىّ استعدادًا للقتال لما كانوا ينتظرون من قتال أصحاب الجمل، فخرج أبو موسى خطيبًا فذكَّر الناس بشرور الفتنة، وخطرها، إشفاقًا على دماء المسلمين، على أن تسفك ـ بتحريض الغلاة، وذكرهم بحديث النبى ﷺ: «الفتنة القاعد فيها

(١) «العواصم من القواصم» (١٧٤، ١٧٥، ١٧٦).

خير من القائم»[١] فتركه الأشتر ـ أحد قتلة عثمان ـ ومشعلو الفتنة وقائد الخوارج بعد ذلك ـ يحذر الناس ـ وأسرع إلى دار الإمارة فاحتلها، فلما عاد إليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول، وقال: اعتزل إمارتنا فاعتزلهم، واختار أبو موسى الإقامة فى قرية بعيدًا عن الفتنة.

ولما علم الناس بهذا الموقف الحكيم وكان الناس شبعوا تقتيلاً ببعضهم اختاروه للتحكيم، وهذا يبين رجاحة عقل أبى موسى الأشعرى، فأنى للرافضة وأصحاب الغلاة أن يتهموا أبا موسى بهذا البله، ولو بطريق غير مباشر.

**الوجه الثانى:** تقوى عمرو بن العاص، ويقينًا نجزم أن دينه وإيمانه، وذكاءه، إنما كان فى الحق، وبالحق، ولم يكن مخادعًا ويكفينا هنا أن نعيد إلى الأذهان حديث النبى ﷺ وشهادته له بقوله: «أسلم الناس وآمن عمرو ابن العاص»[٢].

**الوجه الثالث:** هذه الرواية باطلة سندًا ومتنًا، ومعناها فاسد، باطل، والدليل على قولى:

بطلان السند: قال ابن كثير رحمه الله فى «البداية والنهاية»: فإنها رواية منكرة وبعضها موضوع إذ لو كان بلاهة أبى موسى كما هو واضح من الرواية، لم يوافق علىّ على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سببًا فى اختلاف الناس، وآفة الرواية من ناحية السند زكريا بن يحيى وهو الكندى الحميرى الأعمى، قال ابن معين: متروك ليس بشىء. أما بطلان المعنى فهو ثابت، ومعلوم لما وضحناه، وسيأتى المزيد إن شاء الله تعالى.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٦٠١، ٧٠٨١، ٧٠٨٢)، ومسلم (٢٨٨٦)، وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

**الوجه الرابع**: أوضح ابن كثير فى الكلام السابق أن الإمام عليّا لو يعلم ما تحمل هذه الرواية المكذوبة عن أبى موسى من عدم الدقة والتحرى ما كان يقبل أن يكون رجله فى التحكيم.

بل سبق وأن بيَّنا قول علىّ رضى الله تعالى فيه حينما سأله السائل: وأبو موسى، قال: كأنه صبغ فى العلم صبغة ثم خرج منه[1].

**الوجه الخامس**: وهو فى غاية الأهمية وأرجو أن تنظر إليه بعين الاعتبار، ألا وهو حين وقت التحكيم وبعده، وقبل بيعة الحسن بن علىّ لمعاوية بالخلافة، ومبايعة الأمة له لم يدع معاوية أبدًا الخلافة حتى يخلعه منه أو يبقيه فيها، بل كان فى غاية مراد معاوية من قتاله لعلىّ هو التمكن من قتلة عثمان، حسبما بينا سابقًا، وما أجمع عليه أهل الثقة من العلماء سلف الأمة الصالح.

**الوجه السادس**: لو سلمنا معهم جدلاً، وادعاءهم أن معاوية ادعى الخلافة، أو نوه بذلك لوقعت الأمة فى خطب عظيم ومنكر كبير، ألا وهو مبايعة خليفتين فى وقت واحد، فكيف يحدث وأن الصحابة هم أعلم الأمة، وأفقهها، بل هو افتراء واضح من الشيعة لتشويه صورة أصحاب النبى ﷺ، وحاشاهم أن يكونوا كذلك، لأنهم يعلمون قول نبيهم ـ الثابت فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

فكيف يتفق هذا وفى الصحابة القضاة العلماء الصحابة الأطهار كعبد الله ابن مسعود وغيره.

**الوجه السابع**: الأمة حينذاك كانت فى أتون القتال، ولجأ إلى التحكيم لجمع ولمّ الشمل، وإن لم يكن الحكم مرضيًا لغالبية الأمة ما كان هناك

(١) سبق تخريجها بالكامل فى الفصل السابق.

موافقة على الحكم الصادر، والأمة كانت مجمعة على تقديم علىّ وفضله، وأنه على الحق والصواب، فمن السذاجة أن نصدق مثل هذه الرواية، ولا سيما أن جيش على هو المنتصر، وأن هذا الجيش كان أغلبه هم قتلة عثمان، وعلى رأسهم الأشتر الذى صار بعد ذلك زعيمًا للخوارج، فلن يسلما بمثل هذا الحكم أبدًا.

بل أؤكد لك صدق رؤيتى أن مجرد موافقة علىّ رضى الله عنه على التحكيم، واختياره الصلح بين المسلمين، خرجوا عليه، وقاتلهم علىّ بعد ذلك عند النهروان كما هو معروف.

**الوجه الثامن:** أذكر لك أيها القارئ الكريم الرواية الصحيحة المثبتة، والتى تبين الوجه الحقيقى لكلا الحكمين، وأنهما من الفضلاء الأتقياء.

قال أبو بكر بن العربى: والرواية الآتية توضح أن اتفاق الحكمين على جعل الأمر فى أكابر الصحابة، وقد وصل إلى معاوية، ورضى بهذا الحكم، حدثنا إبراهيم بن همام، حدثنا أبو يوسف وهو يعقوب بن عبد الرحمن حدثنا الأسود بن شيبان عن عبد الله بن مضارب عن حصين بن المنذر، قال: لما عزل معاوية جاء حصين بن المنذر، وضرب فسطاطًا قريبًا من فسطاط معاوية فبلغ معاوية فأرسل إلىّ، فقال: إنه بلغنى عن هذا - أى عمرو بن العاص كذا وكذا، يقصد ما وصل إليه الحكمان - فاذهب وانظر ما هذا الذى بلغنى فأتيته وقلت أخبرنى عن الأمر الذى وليت أنت وأبو موسى كيفما صنعتما فيه، قال: قد قال الناس فى ذلك ما قالوا والله ما كان ما قالوا ولكن قلت لأبى موسى: ما ترى فى هذا الأمر؟ قال: أرى أنه فى النفر الذى توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، قلت: فأين تجعلنى أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما.

**قلت: تدبر معى يا أخى هذه الرواية، يتبين لك فوائد جمة:**

**الأولى:** بطلان الرواية السابقة، وتعد هذه الرواية - رواية الحصين بن المنذر - دليلاً قاطعًا على زيف الرواية السابقة.

**الثانية:** مدى الأدب الجم، والسلوك الحضارى والقيم العليا فى الخطاب، والحوار الذى دار بين أبى موسى وعمرو بن العاص، بل هناك رواية أخرى قال فيها أبو موسى أنت أعلمنا وأقربنا وأحبنا إلى الله ورسوله فماذا ترى ما نحن فيه.

وهذا يرد على الأكاذيب والسخافات الأخرى والتى تظهر خداع عمرو وبلاهة أبى موسى الأشعرى، وهما مبرأان من ذلك.

**الثالثة:** جزم، وحزم أبى موسى الأشعرى فحينما سأله عمرو بن العاص فأين تجعلنى أنا ومعاوية قال إن يستعن بكما ففيكما معونة وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما.

نعم رد حكيم قاطع، وما استطاع عمرو بن العاص أن يعقب بعد ذلك.

**الوجه التاسع:** أنقل ملخصًا رائعًا لفضيلة الشيخ محب الدين الخطيب بجمع شتات المسألة فى التحكيم قال: من الحقائق ما إذا أسىء التعبير عنه، وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة، فينشأ عن ذلك الاختلاف فى الحكم عليه ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين: إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علىّ دون معاوية وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن خليفة، ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه، بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة، ولم يقاتل

على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان، فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين واتفاق الحكمين على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة، وأعيانهم تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة، أما التصرف العملى، فى إدارة البلاد التى كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين، فيبقى كما كان، علىّ متصرفًا فى البلاد التى تحت حكمه، ومعاوية متصرفًا فى البلاد التى تحت حكمه، فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة.

وكان يكون محلاً للمكر أو الغفلة لو أن عمرًا أعلن فى نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، ولم يقل به أحد فى الثلاثة عشر قرنًا الماضية، وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علىّ، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية.

ومن ذلك اليوم فقد سُمِّى معاوية أمير المؤمين، فعمرو لم يغالط أبا موسى، ولم يخدعه لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم يقرر فى التحكيم غير الذى قرره أبو موسى، ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت من كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما يتبعها عليها، وأى ذنب لعمرو فى أى شىء مما وقع؟ إن البلاهة لم تكن من أبى موسى ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه، فليفهمها كل من شاء كما يشاء، أما هى فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هى.

قلت: لله درك يا شيخ محب، ورحمك الله، ولا بيان بعد فصيح الخطاب الذى قررت وأثبتّ.

وإنما أختم واقعة التحكيم بكلام در ثمين قاله أبو بكر بن العربى حيثما

ختم هذا المبحث فقال: (فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه، فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا[١] العاوين، وعرجوا[٢] عن سبيل الناكثين[٣] إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبى ﷺ خصمه، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد، فيما يلزمكم اعتقادًا وعملاً، ولا تسترسلوا[٤] بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملاً، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ورحم الله الربيع بن خيثم، فإنه لما قيل له: قتل الحسين! قال: أقتلوه؟ قالوا: نعم، فقال: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ**﴾ [الزمر: ٤٦].

ولم يزد على هذا أبدًا، فهذا العقل والدين، والكف عن أحوال المسلمين والتسليم لربِّ العالمين».

* * *

(١) ازجروا: عاقبوهم بالتوبيخ لفساد قولهم.
(٢) عرجوا: جنبوا أنفسكم.
(٣) الناكثين: المنافقين.
(٤) لا تسترسلوا: لا تطلقوا ألسنتكم بالكلام.

# الباب السادس

## فضل معاوية بن أبى سفيان
## رضى الله عنه ومنزلته

الفصل الأول: مناقب وفضائل معاوية رضى الله عنه.

الفصل الثانى: خلافة معاوية رضى الله عنه دراسة وتحليل.



# الفصل الأول

## مناقب وفضائل معاوية رضى الله عنه

صدق أبو بكر الصديق حينما قال: لا يعرف الفضل إلا ذوو الفضل.

وتالله لا يعرف قدر الرجال، إلا الرجال، وهل هناك فى الكون رجال أفضل وأعظم، وأتقى من أصحاب النبى محمد ﷺ.

فأهل الحق قد هداهم الله تعالى فى شأن معاوية فيعرفون فضله، ومناقبه، ولا يقولون بعصمته من الذنوب كبيرها ولا صغيرها، ويرون أنه اجتهد فى كثير من الأمور، فما أصاب فيه الحق فله عليه أجران، وما أخطأ فيه فله أجر الاجتهاد، دون أجر الإصابة، ويقرون بإمامته بعد الحسن بن علىّ رضى الله عنهما، وأن خلافته كانت خيرًا وفتحًا على المسلمين لحسن سياسته وعدله وحلمه، وحكمته.

أما أهل الضلال والبدع فخاضوا فى شأن معاوية وطعنوا فيه وانتقصوا منه بالعقل الفاسد والهوى، وروجوا الأحاديث والمقولات الباطلة، واخترعوا القصص لذم معاوية والإساءة إليه، والغرض واضح تغيير قلوب الناس عن محبة صحابة النبى ﷺ، وخاصة معاوية رضى الله عنه.

ولن يكون أبدًا ما دام الإسلام قائمًا وما دامت الشمس تطلع من مشرقها.

وإلى فضائل معاوية رضى الله عنه.

**(أ) أحاديث فى فضل معاوية رضى الله عنه:**

**الحديث الأول:** روى الترمذى وحسنه - وهو صحيح الإسناد - عن عبد الرحمن بن أبى عميرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبى ﷺ

أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به»[١].

وهناك رواية أخرى، رواها الترمذى أيضًا بسنده، عن أبى إدريس الخولانى، قال: لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص ولّى معاوية، فقال الناس: عزل عميرًا وولى معاوية، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اهد به».

**وجه الاستدلال:**

(١) فضل معاوية بن أبى سفيان ومنزلته عند الله ورسوله.

(٢) دعاء النبى ﷺ بالهداية، وأن تكون الهداية له، ومنه، ولا يخفى أن دعاء النبى ﷺ مستجاب، فيقينًا معاوية على هدى، ويُهدى به إن شاء الله تعالى.

(٣) هذا الحديث ومعناه كان منتشرًا بين الصحابة رضوان الله عليهم، وكانوا يعرفون فضل معاوية رضى الله عنه، والدليل قول عمير بن سعيد لما عزله عمر عن حمص وولى معاوية، قال: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اهد به».

**الحديث الثانى:** وانظر معى لهذه المنقبة الرائعة حينما قال، عن أبى عمير عن النبى ﷺ قال: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب»[٢].

---

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذى: المناقب (٣٨٤٢) مناقب لمعاوية بن أبى سفيان، وأحمد فى «المسند» (٤/ ٢١٦)، والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ٣٩٩)، والخطيب فى «تاريخه» (١/ ٢٠٧)، و«مشكل الآثار» للطحاوى (٣/ ٩٤)، و«مشكاة المصابيح» (٦٢٣٥)، و«كنز العمال» (٣٦٩٢٣)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٣٥٨١)، و«تاريخ ابن عساكر» (٢/ ١٠٩)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٢٢) وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (١٩٦٩).

(٢) حديث جيد، وله شاهد قوى، أخرجه البخارى فى «تاريخه» (٥/ ٢٤٠)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٣/ ٤٧٩)، وأحمد فى «المسند»، وشاهده عند أحمد (٤/ ١٢٧)، ومجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦) والبزار فى «مسنده» (٧٢١١)، و«كنز العمال» (٣٣٦٥٦)، والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٢٥٢).
وأما قول ابن الجوزى ـ هذه الأحاديث ليس منها ما يصح، فهو إجمال يحتاج لتفصيل، فقد حال على الحديث الأول ذلك، ومع ذلك نرى من حَسَّن إسناده، كالألبانى وشعيب الأرناءوط.

**الحديث الثالث:** معاوية من كُتَّاب النبى ﷺ، ومن كتاب الوحى.

روى أحمد، ومسلم، والحاكم وغيرهم من طريق أبى عوانة بسنده إلى ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء، فقلت: ما جاء إلا إلىَّ، فاختبأت على باب فجاءنى فخطأنى خطأة أو خطأتين، ثم قال: «اذهب فادع لى معاوية» ـ وكان يكتب الوحى ـ قال: فذهبت فدعوته فقيل لى إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنه يأكل، فقال: «اذهب فادعه» فأتيته الثانية، فقيل لى: إنه يأكل، فأخبرته، فقال فى الثالثة: «لا أشبع الله بطنه»، قال: فما شبع بعدها.

وفى رواية أخرى قال: «اذهب فادع لى معاوية»، وكان كاتبه، قال: فسعيت، فقلت: أجب نبى الله، فإنه على حاجة[1].

**قلت: وهذا الحديث فيه ثمرات عدة:**

**الأولى:** أن معاوية من كتاب رسول الله ﷺ، وكتاب الوحى، والدليل قول ابن عباس الذى ورد فى الروايتين ـ وكان من كتاب الوحى ـ.

**الثانية:** ماذا يعنى أن يكون معاوية من كتاب الوحى، أو من كتاب الرسائل لرسول الله ﷺ؟، إنما يعنى هذا ثقة رسول الله ﷺ فى معاوية وأنه معدود عنده من الأمناء على القرآن، وعلى سر رسول الله ﷺ.

**الثالثة:** بعض الناس قد يفهم دعوة النبى ﷺ على معاوية بعدم الشبع، فهمًا خاطئًا، ولكن أقول: انظر معى لتعليق ابن تيمية على هذا الحديث يتضح أنها محمدة، ومنقبة.

يقول ابن تيمية: وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة فى دنياه وأخراه، أما فى دنياه فإنه لما صار أميرًا، كان يأكل فى اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم وبصل فيأكل منها، ويأكل فى اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ٣٣٥)، «البداية والنهاية» (٦/ ١٩٢).

والفاكهة شيئًا كثيرًا، ويقول: والله ما أشبع، وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك.

وأما فى الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذى رواه البخارى وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه ـ وليس لذلك أهلاً ـ فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة»، فركب مسلم من الحديث الأول، وهذا الحديث فضيلة لمعاوية[1].

وسيأتى مزيد من الأحاديث فى فضل معاوية، وسنضعها إن شاء الله فى عنونة مناسبة لها.

**(ب) فقه معاوية رضى الله عنه:**

روى البخارى عن ابن أبى مليكة، قال: أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس فأتى ابن عباس فقال: (دعه فإنه قد صحب رسول الله ﷺ).

ومعنى الصحبة هنا: تعلم الفقه عن رسول الله ﷺ، والدليل هذه الرواية عند البخارى أيضًا: عن أبى مليكة قيل لابن عباس: هل لك فى أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه[2].

قلت: وهذا حبر الأمة، أعلم الصحابة الصغار الذى دعا له النبى ﷺ بتعلمه الفقه والتأويل يشهد لمعاوية بالفقه، والله إنها لمنقبة له رضى الله عنه.

**(جـ) جهاده فى سبيل الله:**

كان معاوية رضى الله عنه، منذ أن أسلم محبًا للجهاد، وقد شارك فى

---

(١) ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٨/ ١١٩، ١٢٠).

(٢) البخارى مع الفتح فى فضائل الصحابة (٣٧٦٤) (٣٧٦٥)، باب: ذكر معاوية رضى الله عنه (٧/ ١٠٣).

غزوات عدة، منها: تبوك، يقول أحمد بن حنبل: فتحت قيسارية سنة تسع عشرة وأميرها معاوية[١].

وفتح قبرص سنة خمس وعشرين.

قال زيد بن عبيدة: غزا معاوية قبرص سنة خمس وعشرين[٢].

وقال سعيد بن عبد العزيز: لما قتل عثمان ووقع الاختلاف لم يكن للناس غزو حتى اجتمعوا على معاوية، فأغزاهم مرات ثم أغزى ابنه فى جماعة من الصحابة برًا وبحرًا، حتى أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ثم قفل[٣].

بل كان غزو معاوية لقبرص بشارة من رسول الله ﷺ، وهذا من دلائل النبوة، وفيها بيان لقدر معاوية ومنزلته.

روى البخارى عن أنس أن النبى ﷺ نام عند أم حرام الصحابية من الأنصار زوجة عبادة بن الصامت القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك؛ لأنه رأى ناسًا من أمته غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج البحر (وسطه ومعظمه) ملوكًا على الأَسِرَّة، ثم وضع رأسه واستيقظ قد رأى مثل الرؤيا الأولى فقالت أم حرام: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «أنت من الأولين»[٤].

ويعنى معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ هجريًا أيام عثمان بن عفان بقيادة معاوية عقب إنشائه الأسطول الإسلامى الأول فى التاريخ، وكانت معهم أم حرام فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت، ومعهم من الصحابة أبو ذر، وأبو الدرداء، وماتت أم حرام بقبرص فى سبيل الله وقبرها

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٥٤).

(٢) «تاريخ دمشق» لأبى زرعة (١/ ١٧٩).

(٣) «تاريخ دمشق» لأبى زرعة (١/ ١٨٨)، والذهبى فى «السير» (٣/ ١٥٠).

(٤) أخرجه البخارى (٢٩٢٤)، ومسلم (١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩١)، والترمذى (١٦٤٥)، والنسائى (٦/ ٤٠)، والطبرانى (٤٤٤، ٤٤٥)، وأبو نعيم (٢/ ٦٢).

ما زال موجودًا ومعلومًا إلى الآن.

**(د) كان قريب الصلة من النبى ﷺ:**

فقد كان محبًا له، يحبه ﷺ، وكان ممن يوضئون النبى ﷺ.

ذكر الطبرى فى تاريخه، عنه: كنت أوضئ رسول الله ﷺ، فنزع قميصه وكسانيه، فرفعته وخبأت قلامة أظفاره، فإذا مت فألبسونى القميص على جلدى واجعلوا القلامة مسحوقة فى عينى فعسى الله أن يرحمنى ببركتها[1].

**(هـ) تحريه موضع صلاة النبى ﷺ داخل الكعبة:**

والدليل: ما رواه أحمد فى «المسند» عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: اعتمر معاوية فدخل البيت فأرسل إلى ابن عمر، وجلس ينتظر حتى جاء، فقال: أين صلى رسول الله ﷺ يوم دخل البيت؟ قال: ما كنت معه، ولكنى دخلت بعد أن أراد الخروج فلقيت بلالاً فسألته: أين صلى؟ فأخبرنى أنه صلى بين الأسطوانتين. فقام معاوية فصلى بينهما[2].

وكان شبيه الصلاة بالنبى ﷺ.

يقول أبو الدرداء الصحابى: ما رأيت أحدًا أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من معاوية[3].

**(و) قول أهل العلم فيه وتزكيتهم له:**

وأنقل هنا بعض أقوال العلماء فى فضله ولا سيما الصحابة والتابعين، ومن عاصره من العلماء الأفذاذ رضى الله عنهم جميعًا.

جاء فى «البداية والنهاية» عن أبى حاتم: أن معاوية خطب فصدق فى قوله ـ فقال: «أيها الناس ما أنا بخيركم وإن منكم من هو خير منى، عبد الله بن

(١) الطبرى فى «تاريخه» (٥/ ٣٢٦)، «أنساب الأشراف» (٤/ ١٥٣)، «تاريخ الإسلام» للذهبى (٢/ ٣٢٣)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٠).

(٢) أخرجه أحمد فى «المسند» (٦/ ١٢، ١٤).

(٣) «تاريخ الطبرى» (٥/ ٣٢٨).

عمر، وعبد الله بن عمرو وغيرهما، من الأفاضل، لكن بحسبى أن أكون أنفعكم ولاية وأنكاكم فى عدوكم»[1].

فتدبر هذا الأثر واقرنه ببقية الأخبار الواردة تبين لك صدق معاوية فيما قال، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كانت سيرة معاوية مع رعيته من خير سير الولاة» ثم أتبع ذلك بحديث صح، فقال: ثبت فى صحيح مسلم قول النبى ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم، ويحبونكم ويصلون عليكم، وتصلون عليهم»[2].

* روى ابن كثير فى «البداية والنهاية» عن هضيم بن العوام بن حوشب عن جبلة بن سخيم بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما رأيت أحدًا أسود من معاوية.

والمعنى أن الناس كانوا أكثر التفاتًا واحتفاءً به.

قال جبلة بن سخيم: قلت لعبد الله: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيرًا منه، وكان معاوية أسود منه[3].

وانظر كذلك إلى هذا القول لابن تيمية رحمه الله، فقد كان كلامه يوزن بالذهب، لأن العلم والحكمة فى ركابه.

قال فى «منهاج السنة»: ولم يكن من ملوك الإسلام ملك خير من معاوية ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك من بعده، وإذا نسب إلى أيام أبى بكر وعمر ظهر التفاضل، وقد روى أبو بكر ما رواه ابن بطة: حدثنا ابن عمر بن جبلة حدثنا يونس عن قتادة، قال: لو أدركتم عمل معاوية لقال أحدكم المهدى[4].

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥) فى صحيحه.

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٩، ٤٠).

(٤) «منهاج السنة» (٣/ ١٨٥).

وعن الأعمش، أنه ذكر عمر بن عبد العزيز وعدله، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية، قالوا: فى حلمه؟ قال: لا، فى عدله.

وأقوال أهل السلف العلماء كثيرة، أكتفى بما ذكرت.

**(س) معاوية رضى الله عنه أفضل عند الله من عمر بن عبد العزيز:**

حقيقة أردت أن أختم فضائل معاوية بهذه الحقيقة التاريخية، لعدة أمور:

**الأمر الأول:** الخطأ الشائع، والكلمة المتداولة أن عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.

وكيف يكون ذلك، والقول هذا مردود بعدة أدلة:

**الأول:** الخلفاء الراشدون الذين ورد ذكرهم فى الحديث أربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ، وهذا الفهم منقول عن أهل السنة والجماعة بالإجماع على ذلك.

**الثانى:** أن معاوية صحابى جليل، وعمر بن عبد العزيز تابعى، فكيف نفضل تابعيًا على صحابى.

**الثالث:** إن كان الحكم على العمل وحسن السيرة فى الرعية، فمعاوية رضى الله عنه أولى بذلك، وقد نقلنا من الشهادات لمعاصريه من العلماء والصحابة والتابعين، ما يجعل معاوية رضى الله عنه مقدمًا على عمر بن عبد العزيز، وأختم ذلك بشهادتين:

**وهذا هو الأمر الثانى:** شهادة علىّ بن أبى طالب فيه قال: لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تنذ عن كواهلها[1].

أى الفتن تطل برءوسها.

**الأمر الثالث:** لم يعب علىّ رضى الله عنه على معاوية فى سيرته فى الرعية، ولم يعب أى من الخلفاء السابقين عليه، فقد أمره عمر، وكان

(١) «السير» للذهبى بسند كله ثقات (٣/ ١٣٥)، وقال شعيب الأرناءوط: «رجاله ثقات».

معجبًا بذكائه، وحسن تصريفه فى أمور دولة الشام، وكذا عثمان رضى الله عنه، وإنما كان القتال كما بينا لرفض معاوية البيعة لعلىّ.

**الأمر الرابع:** أثر رائع جميل، ورد عن تابعى وعالم جليل، ألا وهو المعافى بن عمران:

سئل المعافى بن عمران: أيها أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ فغضب.

وقال للسائل: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه، وصهره وكاتبه وأمينه على وحى الله[١].

نعم، فمعاوية رضى الله عنه حبيب رسول الله ﷺ وصاحبه، وصهر رسول الله ﷺ، فقد تزوج من حبيبة بنت أبى سفيان، فهو خال المؤمنين وأمين وكاتب الوحى رضى الله عنه.

ألا فلنتق الله فى أصهار رسول الله ﷺ.

هذا بعض من فضل ومناقب كثيرة، فى منزلة خال المؤمنين، وأمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه.

رضى الله عنه، رغم أنف الرافضين، الذين هم للجهالة والحقد على المسلمين قريبون.

فرضى الله عنك يا معاوية، وعن سائر الصحابة آمين.

* * *

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٩)، «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٩).

# الفصل الثانى

## خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه
## دراسة وتحليل

أقول بحمد الله تعالى وتوفيق منه: إن معاوية رضى الله عنه كان من خيرة الولاة، والحكام الذين تولوا شئون المسلمين، ومن خلال العرض السابق لفضائل الصحابى الجليل معاوية، تكونت فى أذهاننا صورة حية لمنهاج العدل والرحمة، والحلم، والأناة التى تميزت بها خلافة هذا الصحابى الجليل.

وكما أشرنا سأوجز الحديث عن خلافته رضى الله عنه على سبيل الإجمال، وعلى سبيل العرض المصحوب بالتحليل العلمى الذى هو قائم على وسطية العقيدة، دون غلو الرافضة، أو تساهل الناصبة، إنما هو قائم على منهج أهل السنة والجماعة، سلف الأمة الصالح وسيكون ذلك العرض لخلافة الرحمة، خلافة معاوية رضى الله عنه على صورة ضوئيات بها تكتمل عناصر الصورة، إن شاء الله، وعلى الله التوفيق والسداد.

**• الإضاءة الأولى:**

خلافة معاوية بن أبى سفيان ثابتة لا مراء فى ذلك، وقد أثبتها أئمة أهل السنة والجماعة بعد خلافة الحسن بن علىّ رضى الله عنهما.

**• الإضاءة الثانية:**

يرون ـ أى علماء أهل السنة والجماعة ـ أن خلافته فاتحة خير على المسلمين فشهدت فترة ولايته أعمالاً جليلة: فتوحدت الكلمة بعد الشقاق، وامتدت

الفتوحات، ولقد عرف معاوية رضى الله عنه بالحكمة، والعدل والفقه فى الدين، مع القوة والأمانة فى أمور الولاية، وإن كان بالمقارنة مع سلفه من الراشدين يظهر الفرق، وسأسوق كلمات رائعة لابن كثير ذكرها فى «البداية والنهاية»: قال: ما كان بينه أى معاوية، وبين علىّ بعد مقتل عثمان على سبيل الاجتهاد، والرأى فجرى بينهما قتال عظيم، وكان الحق والصواب مع على ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا، وخلفًا.

وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بذلك، وبالإسلام للفريقين، كما ثبت فى الحديث الصحيح: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق»، فكانت الخوارج وقتلهم عليّا وأصحابه، ثم قتل على، فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين، وكان يغزو الروم فى كل سنة مرتين مرة فى الصيف، ومرة فى الشتاء، ويأمر رجلاً من قومه فيحج بالناس وحج هو سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين وفيها أو فى التى بعدها أغزاه الروم، فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة، حتى حاصر القسطنطينية، وقد ثبت فى «الصحيح»: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»[1].

ويقول الذهبى: «ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببرىء من الهنات، والله يعفو عنه»[2].

**● الإضاءة الثالثة:**

إن هناك كذبًا بيّنًا على رسول الله ﷺ، وعلى معاوية رضى الله عنه، لمن روى، أو استشهد، أو ذكر هذا الحديث الموضوع، ولم ينبه، ويحذر منه.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٦٢٩، ٦٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٥٩).

أما هذا الباطل الموضوع، ما نسب إلى النبى ﷺ كذبًا: إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه[1].

**والرد على هذا الحديث الباطل من وجوه:**

**الوجه الأول:** كما رأيت فى التخريج فالحديث مذكور فى كتب الموضوعات، ونبه عليه جميع المحققين فى علم الحديث بالكذب البين فهو باطل سندًا.

**الوجه الثانى:** باطل من ناحية المعنى وإليك الأدلة:

(١) ادَّعوا أن الذهبى صححه، والحقيقة أن الذهبى ذكره فى تاريخ الإسلام ثم بين أنه كذب موضوع لا أصل له.

(٢) أن هذا الحديث يوجب على المسلمين منع معاوية من ولاية أمور المسلمين، والقيام بمصالحهم فمن هذا حاله كيف يستأمن على كتابة الوحى للمسلمين.

(٣) فيه ـ أى الحديث ـ اتهام واضح للصحابة بعدم الحفاظ على الدين، والسمع والطاعة للنبى الأمين، فإذا بلغهم هذا الحديث، عليهم أن يناجزوا معاوية ويقتلوه، فكيف وقد بايعوه إمامًا وخليفة.

(٤) أكبر ناقض ومعارض له فعل الصحابة رضوان الله عليهم، وتولية عمر بن الخطاب لمعاوية على الشام بل والثناء عليه.

(٥) ثناء الصحابة وسلف الأمة الصالح من التابعين وغيرهم على معاوية كمسلم وأمير حاكم.

(٦) لم يرد الحديث كما أسلفنا بسند يستحق حتى النظر إليه لا دراسته، فلا تحل رواية الحديث ولا المعنى، ومن فعل هذا فهو آثم.

---

(١) موضوع: «لسان الميزان» (٥٠٤٤، ٤١٤٩، ٢١٧٨)، و«المجروحين» (١/١٥٧)، (٢/٧٢)، و«الكامل» لابن عدى (٢/٥٦٩، ٦٢٧).

**• الإضاءة الرابعة:**

مدة خلافة معاوية رضى الله عنه كانت خيراً وأماناً، ورحمة واستقراراً بالمقارنة بمجريات الأحداث السابقة لخلافته، واللاحقة بعد موته.

ويوضح ما قاله ابن حجر الهيثمى، نقلاً عن ابن تيمية، قال: قال ابن تيمية رحمه الله: لم تحدث فى خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس، حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج المكفرة لعلىّ، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته ونبوته أو إلهيته، ثم لما كان فى آخر عصر الصحابة فى إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية ثم لما كان فى أول عصر التابعين فى أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية المعطلة، والمشبهة الممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك، وكذلك فتن السيف، فإن الناس كانوا فى ولاية معاوية متفقين يغزون العدو فلما مات معاوية قتل الحسين، وحوصر ابن الزبير بمكة، وغير ذلك.

فالحاصل: أن معاوية رضى الله عنه دون على بن أبى طالب، وخير ممن جاء بعده.

ولذا قال ابن تيمية بعد ذلك: فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خير من معاوية، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيراً منهم فى زمن معاوية، إذا نسبت أيامه إلى من بعده، وأما إذا نسبت إلى أيام أبى بكر وعمر ظهر التفاضل.

فمعاوية جامع الكلمة، داحض البدعة، وعلىّ بن أبى طالب هو أول من بدأ قتال البدعة المسلحة فى النهروان حين قاتل الخوارج.

**• الإضاءة الخامسة:**

جواز إمامة المفضول على الفاضل، إذا تمت له البيعة بشروطها.

نعم، هناك من كان أفضل وأعلم وأتقى من معاوية إلا أنه بعد تنازل

الحسن ابن علىّ له قد بايعه الصحابة وأثبتوا له إمامته.

فلو كان معاوية غير خليق بتلك البيعة ما بايعوه ولما تبين لذلك الصحب الأطهار، صحابة رسول الله ﷺ، اجتماع الأمة كلها على معاوية، وكذا سابق علمهم بمنزلة هذا الصحابى الجليل عند الله ورسوله، وفضله عند الموحدين المؤمنين دخلوا كلهم فى إمامته وبايعوه، حتى المعتزلين للفتنة من بعد عثمان، أسرعوا لبيعته، ومنهم سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وعبد الله بن عمر وغيرهما.

ومعاوية يعلم ذلك ويقدره.

فقد ذكر الحافظ فى «فتح البارى»، وغيره: عن أبى دريد بن أبى حاتم الضبى أن معاوية خطب فقال: يا أيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو أفضل منا عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمر، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية وأنكاكم فى عدوكم[1].

فهل كان معاوية رضى الله عنه صادقًا فى دعواه ـ أى أنه أنكى للعدو ـ نعم والله كان كذلك، وسأسوق الدليل، ولكن أذكر أولاً أنه حول سيوف المسلمين من نحور المسلمين إلى نحور الأعداء يقول الشيخ محب الدين الخطيب: فسمى ذلك عام الجماعة ـ أى العام الذى تنازل فيه الحسن بن على عن الخلافة ـ لاجتماع المسلمين بعد الفرقة، وتحلفهم للحروب الخارجية والفتوح ونشر الدعوة الإسلامية بعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة خمس سنوات كان يستطيع المسلمون أن يسجلوا أمجادًا لا يستطيع غيرهم تحقيق مثلها فى خمسة قرون ولله فى كل شىء حكمة.

وأما الدليل فقد ذكره ابن كثير: «بلغ علمه ـ أى معاوية ـ وهو فى معمعة القتال مع على فى صفين وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود فى

---

(١) سبق تخريجه.

جيوش عظيمة، فكتب إليه - أى معاوية - يقول: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك لأصطلحن عليك أنا وابن عمى ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت.

فخاف ملك الروم وانكف ورجع».

قلت: لله درك يا معاوية، وكم أنت قوى على أعداء الإسلام، فانظر إلى لهجة معاوية وقوة شكيمته على أعدائه، وهذا لا يكون إلا إذا كان المهدد قويًا يستطيع حماية ثغور الإسلام، وإذا قورن بين معاوية وبين ولاة أمور المسلمين اليوم، تعجب والله، فلا مقارنة.

**• الإضاءة السادسة:**

تحليل رائع جيد، ذكره ابن خلدون[1] قال: «إن دولة معاوية وأخباره كانت ينبغى أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين».

وأزيد هذه المسألة وضوحًا بذكر الحديث الصحيح الذى أورده الترمذى وأبو داود وغيرهما، قال: قال ﷺ: «الخلافة ثلاثون ثم تكون بعد ذلك ملكًا»[2].

وأزيد المسألة وضوحًا بما رواه أحمد فى مسنده من حديث الشعبى عن مسروق بن الأجدع الهمدانى قال كنا جلوسًا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله كم يملك هذه الأمة من خليفة، فقال عبد الله بن مسعود: «اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسرائيل»[3].

---

(١) المقدمة (٤٥٨).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٧٤٦)، والترمذى (٢٢٢٦)، والنسائى (٥٧)، وأحمد (٥/ ٢٢٠)، والحاكم (٣/ ١٤٥) «المستدرك»، والطبرانى (٢٤٤٤)، والطحاوى (٤/ ٣١٣) «مشكل الآثار»، وابن حبان (٦٩٤٣)، و«السلسلة الصحيحة» (٤٦٠).

(٣) أخرجه البخارى (٦٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١)، بلفظ: «لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش»، ولفظ البخارى يقوى اللفظ السابق.

وإتمامًا للفائدة لا بد من إيضاح أمر مهم وهو أن هذا الحديث لا يعارض الصلح بين الحسن ومعاوية لأن النبى ﷺ قال: «خلافة النبوة ثلاثون». كما تقدم، ومعنى هذا أن هناك خلفاء على غير النبوة، ولا مانع من تسميتهم خلفاء، وإن كانوا ملوكًا، فلم يكونوا خلفاء بدليل ما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى، وأنه لا نبى بعدى، وستكون خلفاء فتكثر»، قالوا: فما تأمرنا؟، قال: «بيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»(١).

وكلمة: «تكثر» تفيد الكثرة ولا يمكن حصرها بالخلفاء الراشدين الأربعة. انتهى كلام ابن تيمية.

وأقول ختامًا لهذا المبحث، ألا وهى جزئية الخلافة: إنه يجوز إطلاقها على الملك طالما تحقق الشرط وهو العدل فى الرعية، والحكم بالشريعة الإسلامية الغراء، فالخلافة والملك والإمارة عناوين اصطلاحية تُكَيَّف فى التاريخ باعتبار مدلولها العملى، والعبرة دائمًا بسيرة المرء وعمله.

وأقول: معاوية قد ولى الشام للخلافة الراشدة عشرين عامًا، ثم اضطلع بأمر الإسلام العشرين الأخرى فكان هاديًا مهديًا به فى الإمارتين الخاصة والعامة.

وكان فى الحالتين قوامًا بالعدل محسنًا إلى الناس فى كل الطبقات يكرم أهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم، ويسع حلمه الجاهلين، فيعالج بذلك نقائصهم، ويلتزم فى الجميع أحكام الشريعة الإلهية، بحزم، ورفق

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، وابن ماجه (٢٨٧١)، وأحمد (٢/ ٢٩٧)، والطحاوى (١/ ٤١)، وابن أبى عاصم (١٠٧٨)، والبيهقى (٨/ ١٤)، و«مصنف ابن أبى شيبة» (١٥/ ٥٨).

ومثابرة وإيمان، يؤمهم فى صلاتهم، ويوجههم فى مجتمعهم ويقودهم فى حروبهم.

ولذا ذكر معاوية عن نفسه قوله: «أنا أول الملوك وآخر خليفة».

وأختم ذلك الفصل بما ذكره أبو بكر بن العربى فى «العواصم من القواصم»، قال: ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال، وهى أن عمر جمع له الشامات كلها وأقره بها لما رأى حسن سيرته، وقيامه بحماية بيضة المسلمين، وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على الأعداء، وسياسة الخلق، وقد شهد له فى صحيح الحديث بالفقه، وشهد بخلافته فى حديث أم حرام: أن ناسًا من أمته يركبون البحر ملوكًا على الأَسِرَّة وكان ذلك فى ولايته.

وأقول: والله كان كذلك حينما صار خليفة وأميرًا للمؤمنين.

فرضى الله عنه، وعن صحابة النبى أجمعين.

كتبه أبو عبد الرحمن

**جمال بن محمد بن محمود**

الراجى عفو ربه



# فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع الصفحة

* * *